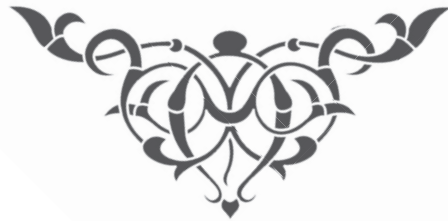




مَجْلَدُ بَحْثِ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ السَّنَوِيِّ الْعَاشِرِ لِفَكْرٍ

الْإمام الحسن المجتبي عليه السلام



- الجزء الأول -

البحوث الأكاديمية



العنوان: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي
العاشر لفكر الامام الحسن المجتبي عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية - قسم النشر
الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري
أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: علي عبدالحليم - احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م



دار الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:978-9922-680-64-4

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.
البحوث الأكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر
الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. الجزء الأول. -الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة
العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤.
مجلد ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٣٦١
١. الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام، ٣-٥ هجري -- مؤتمرات. أ.
العنوان.

LCC : BP193.12 .A836 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة أثناء النشر

٢٣٩ ، ٢٠٦٣

م ٦٨٩ المؤتمر العلمي الدولي السنوي (١٠ : ٢٠٢٤ : كربلاء).

المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر الإمام
الحسن المجتبي (ع) / المؤتمر . - ط١ - كربلاء : جمعية
العميد العلمية ، ٢٠٢٤ .

ج ١ (٣١٢ ص) . ٢٤٤ سم.

١. الحسن المجتبي (ع) - الإمام الثاني - مؤتمرات ٢. أهل بيت
النبي. أ. العنوان.

رقم الإيداع / ٢٠٢٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥١٩) لسنة ٢٠٢٤

المحتويات

٩	الشخصية القيادية للإمام الحسن عليه السلام - قراءة في كلماته وخطبه -	أ.د. حسين علي الشرهاني جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية
٤٨	استراتيجيات الخطاب الوظيفي التواصلية عند الإمام الحسن بن علي عليه السلام	أ.د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية أ.د. عدوية عبد الجبار الشرع جامعة بابل / كلية الآداب
٦٩	الأجوبة الحسان عن أسئلة أمير البيان: دراسة دلالية في حوار الإمام علي مع ابنه الحسن المجتبى عليه السلام	أ.د. سليمة جبار غانم جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية
٨٩	المرتكزات الشعرية - الجمالية في مراقي المجتبى عليه السلام	أ.د. كريمة نوماس محمد المدني جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١٠٤	الإمام الحسن عليه السلام سيرته، ومناقبه الشريفة الواردة في كتاب (ينابيع المودة) للشيخ القندوزي	أ.د. فراس سليم حياوي جامعة بابل / كلية التربية الأساسية أ.د. وفاء كاظم ماضي جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١٤٨	صلح الإمام الحسن عليه السلام - أسبابه ومبرراته ونتائجه -	أ.د. عبد اللطيف حمودي الطائي جامعة بغداد / كلية الآداب
١٦٨	حجاجية التناص القرآني والحديثي في خطب الإمام الحسن عليه السلام	أ.م.د. ظافر عبيس عناد جامعة المثنى / كلية التربية الأساسية

٢٠٧ دلالات الحجاج في خطب الحسن عليه السلام الاحتجاجية
أ.م.د. ضفاف عدنان الطائي
جامعة بابل / كلية الآداب.

٢٢٣ أهمية العلم والعقل في اقوال وحكم الإمام الحسن بن علي عليه السلام
أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين
جامعة الكوفة / كلية الآداب
الباحث عبد الكريم جعفر الكشفي
مدير عام تربية محافظة ديالى السابق

٢٤٢ اثر المال والاعلام على معسكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام - دراسة تاريخية -
م.د. محمد عباس حسن الطائي
وزارة التربية
أ.م.د. رشا عبد الكريم النور
مركز الخليج للدراسات والبحوث / جامعة البصرة
م.م. عباس قاسم الميراني
كلية التربية للبنات / جامعة البصرة.

٢٦٠ صلح الإمام الحسن عليه السلام، في روايات أهل السنة -دراسة تاريخية-
م.د. محمد منصور حسين البياتي
المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

٢٨٤ صورة الإمام الحسن عليه السلام في الاستشراق الايطالي: لورا فيشيا فاجلييري (انموذجاً)
م.د. نزار ناجي محمد
المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أمينك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك من عبادك إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين (عليه السلام) .. وبعد

الامام الحسن (عليه السلام) كريم أهل البيت (عليه السلام) وورث العلم عن جده المصطفى (عليه السلام) وأبيه امير المؤمنين المرتضى (عليه السلام)، اجتمع فيه شرف الإمامة والحسب والنسب وهو السبط الأكبر وسيد شباب أهل الجنة وقد وردت في خطب الامام سلام الله عليه وحواراته ومناظراته وأقواله ، كثير من الحكم والمواعظ .. نهل منها الباحثون الاكاديميون والحوزيون والدارسون ، علومهم ومناهجهم ، فكتبوا عن سيرته العطرة ومناقبه ومواقفه الفكرية ، لدراسة المزايا اللغوية والأدبية في كلامه (عليه السلام) فضلاً عن دراسة المعاني التربوية والنفسية والاجتماعية والإعلامية في خطبه المباركة ، وصولاً الى ميادين التفسير والفقه والعقيدة لفهم القرآن والسنة النبوية في كلامه الشريف وأثرها في البناء العقدي للمجتمع الإسلامي .

وقد تبنى قسم النشر في جمعية العميد العلمية والفكرية طباعة وقائع البحوث العلمية المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) الذي عقد برعاية العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية واقامته الهيئة العليا لمشروع الحلة مدينة الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) وجمعية العميد العلمية والفكرية وجامعتي العميد والكفيل وكلية الآداب في جامعة بابل ، الذي وسم بعنوان: (الامام الحسن (عليه السلام) وريث البيت النبوي) وشارك فيه باحثون من جامعات عراقية (بغداد، كربلاء، بابل، الكوفة ، ذي قار ، البصرة، المثنى...) تضمن العديد من الدراسات الفكرية ، منها ما سلط الضوء على الشخصية القيادية للامام الحسن (عليه السلام) في خطبه وأخرى عن استراتيجيات الخطاب الوظيفي التواصلية عند الامام ، مروراً بدراسة شعرية في مراثي المجتبي (عليه السلام) وورقة بحثية في سيرته ومناقبه الشريفة تبين محطات من حياة الامام (عليه السلام) ، فضلاً عن أوراق بحثية دلالية ، تكشف عن حجاجية التناص القرآني والحديثي في خطب الامام الحسن (عليه السلام) بوصف الحجاج جوهر

الخطابة ، وصولاً الى بعض الدراسات التاريخية والاجتماعية والفقهية واللغوية . فضلاً
الى الدراسات الاستشرافية التي سلطت الضوء على سيرة الامام الحسن عليه السلام في الفكر
الاستشراقي .

وختاماً تجدد جمعية العميد العلمية والفكرية الشكر والامتنان والعرفان لجميع الباحثين
المشاركين في المحفل العلمي المبارك على جهودهم الفاعلة لأحياء أمر أهل البيت عليه السلام ،
حفظهم الله سبحانه وتعالى وجزاهاهم الله خير الجزاء .. ومن الله التوفيق

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

رئيس قسم النشر

الشخصية القيادية للإمام الحسن عليه السلام
قراءة في كلماته وخطبه



أ.د. حسين علي الشراهي
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

يتغيا هذا البحث منح مزيد من الاهتمام لحضور الإمام الحسن (عليه السلام) الفاعل في الأحداث التي شهدتها الدولة الإسلامية، وذلك عبر قراءة خطابه (اللفظي والسلوكي)، وبالتالي التعرف عن كذب على شخصيته القيادية التي حاولت أن تشوهها الروايات التاريخية. وهو محاولة للوقوف عند المفارقة التاريخية التي جعلت الإمام الحسن (عليه السلام) - بفعل التشويه الروائي - شخصية ضعيفة وخاملة سياسياً وإدارياً، وغير قادرة على القيادة. ولما كانت الرواية التاريخية مشوهة وزائفة في الغالب، فإن البحث سيعمد لاستجلاء شخصيته الشريفة من خلال خطابه سواء أكان خطاباً لفظياً أم سلوكياً؛ لأنه التمثيل المباشر والعملية لشخصيته بعيداً عن ذاتية الراوي والمؤرخ وتقييمها بنسبة معتد بها. وهو المعبر الحقيقي عن تعامله مع المجتمع وسلوكه الشخصي وبالتالي طبيعة شخصيته التاريخية التي عُييت. وهذا يمنحنا مزيداً من الاهتمام للقراءة الموضوعية في شخصيته القيادية وقدرته على قيادة الأمة، وذلك عبر استكشاف شامل لطبيعة مشاركاته بعد وفاة الرسول ﷺ، وتشخيص الأسباب التي أدت إلى جملة الافتراءات الموجهة له، وذلك عبر التركيز على النسق الداخلي للأحداث وتجاوز الصور النصية المشوهة التي أريد منها رسم فكر مشوه، هدفه تغييب وعي الأمة وإبعادها عن القيادة الإلهية، عن طريق ضرب صورتها القدسية، وصورتها العملية.

Abstract

This study aims to investigate the active role of Imam Hassan (peace be upon him) in the events experienced by the Islamic state by examining his speeches and actions. The objective is to accurately comprehend his leading figure that historical narratives have attempted to distort.

It aims to rectify the historical anachronism that has portrayed Imam Hassan (peace be upon him) as a feeble and politically inactive figure incapable of leadership. Due to the distortion of historical narratives, the research endeavours to demonstrate his noble character through his speeches and conduct. These manifestations of his character are immediate and practical, free from the biases of narrators and historians, and evaluated with a reasonable degree of objectivity. They reflect his authentic interaction with society and personal behaviour, and thus the nature of his historical personality has been marginalized.

Such grants us an impetus to objectively examine his leading personality and his ability to lead the nation. This can be achieved through a comprehensive exploration of the nature of his contributions; following the Prophet's (peace be upon him and his pure progeny) death, and by diagnosing the causes that led to the series of accusations directed against him. This can be done by focusing on the internal order of events and going beyond the distorted textual images that were intended to depict a distorted thought, whose goal is to conceal the awareness of the nation and distance it from divine leadership of him.

المقدمة

انتهى حكم عمر بن الخطاب بعد أن استمر عشر سنوات، وذلك عندما تعرض لحادثة اغتيال أدت إلى وفاته بعد أربعة أيام^(١)، لكنه لم يسلم الخلافة لأحد بل اختار ستة أشخاص ينتسبون لقبيلة قريش؛ ليختاروا من بينهم خليفة، بناءً على رأي رآه، مفاده إن رسول الله ﷺ توفي وهو راض عنهم^(٢)، وهؤلاء الستة هم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وفرض عليهم اختيار أحدهم ليكون خليفة في غضون ثلاثة أيام^(٣). ورتب عمر قضية الشورى على النحو المعروف من أجل أن يتولى عثمان بن عفان الحكم^(٤).

كان الإمام الحسن عليه السلام حاضراً في مجلس الشورى هذا^(٥)، وهو آنذاك بعمر (٢٠) سنة، الأمر الذي يعني أنه كان مؤهلاً للدخول في السياسة، وإصلاح أمر العباد والبلاد منذ بواكير عمره الشريف، وقد قبل الإمام عليه السلام حضور جلسات الشورى، وكان حضوره يعني اعترافاً من عمر بأنه ممن يحق له المشاركة السياسية في أعظم وأخطر قضية تواجهها الأمة الإسلامية في مراحلها المبكرة. وفي المقابل، أنتجت السلطة الأموية ومؤسساتها الإعلامية - فيما بعد - نصوصاً كثيرة هدفها الأساس تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام؛ من أجل شرعنة حكم معاوية، وتبرير وصوله للحكم بالسيف، في الوقت الذي بلغ عمر الإمام الحسن عليه السلام حينها (٤٧) عاماً، ثم تابعتها السلطة العباسية في إنتاج نصوص أخرى مشوهة، لاسيما بعد صراع أبناء الإمام الحسن عليه السلام مع حكام بني العباس، فجنّدت الأقلام، ووظف الرواة في البلاطين، وهؤلاء لم يألوا جهداً في إيجاد تاريخ مشوه بئس، لا شأن له بالواقع، ولا يمت له بصلة؛ وكان الهدف الأساس من كل هذا إزاحة آل البيت عليهم السلام عن مكانتهم الحقيقية ورفع غيرهم إلى تلك المكانة.

ولأجل ذلك يحاول البحث الوقوف عند هذه المفارقة التاريخية البائسة، فالإمام الحسن عليه السلام الذي كان من رجالات الإسلام المبكر، وحاضراً في أعقد قضاياها وهو بعمر (٢٠) سنة، أمسى بفعل التشويه الروائي شخصية ضعيفة وخاملة سياسياً وإدارياً وهو خليفة للمسلمين، وبعمر (٤٧) سنة!.

ولما كانت الرواية التاريخية - كما أسلفنا - مشوهة وزائفة، فإن البحث سيعمد لاستجلاء شخصيته الشريفة من خلال خطابه سواء أكان خطاباً لفظياً أو سلوكياً؛ فهو التمثيل المباشر والعملي لشخصيته بعيداً عن ذاتية الراوي والمؤرخ وتقييمها بنسبة معتد بها. وهو المعبر الحقيقي عن تعامله مع المجتمع وسلوكه الشخصي وبالتالي طبيعة شخصيته التاريخية.

المبحث الأول

شخصية الإمام الحسن القيادية في عصر الخلفاء.

أولاً: الأحداث في عهد عثمان وحضور الإمام الحسن عليه السلام بين الرواية والواقع.

انتهت قضية الشورى التي استحدثها عمر بن الخطاب إلى النتيجة المخطط لها سلفاً، فتولى عثمان الحكم، وبدأ عهد جديد في الدولة الإسلامية عنوانه الرئيس استبداد بني أمية بالحكم، وسيطرتهم المطلقة على كل مرافق الدولة، من دون أن يكون لعثمان أي دور لكبح جماحهم^(٦)، وفي هذه المرحلة الزمنية الحرجة التي مرت بها الدولة الإسلامية، كان الإمام الحسن عليه السلام قد بلغ مبلغ الرجال، وبدأ يشارك فعلياً في الأحداث، بوصفه أحد قادة الأمة ومراجعها الفاعلة، ومن هذه الأحداث المهمة:

١ - اعتراضه على نفي أبي ذر الغفاري والإساءة إلى مكانته، من قبل عثمان وبطانته الأموية، هؤلاء الذين تجاوزوا كل حد ولم يراعوا تقدمه في الإسلام، أو مكانته عند الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فعاقبوه ونفوه خارج المدينة؛ لأنه اعترض على سياستهم، ومنعوا أي شخص من توديعه أو الكلام معه، فبادر الإمام علي عليه السلام إلى توديعه ومرافقته، حتى يعلم الأمة على الاعتراض وعدم الاستكانة للظلم، وكان معه الإمامان الحسنان عليهما السلام، يؤديان الدور نفسه؛ لأنهما مرشحان حقيقيان لقيادة هذه الأمة، وكان خطاب الإمام الحسن عليه السلام معه دالاً على ذلك، إذ قال له: ((يا عماه، لولا إنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام، وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ))^(٧).

وهذا خطاب صادر عن شخص عرف الأمور وشخص العلل، فالحياة بالنسبة له لا تساوي شيئاً مقابل ما يرجى من الحياة الأخرى، وهو جوهر الرسالة المحمدية، وما تعلمه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

وفضلاً عن السمة الوعظية التي اتسم بها هذا الخطاب، وفارق السن بين الإمام وأبي ذر، وقدرة الإمام الحسن عليه السلام على امتصاص نقمة أبي ذر على القرار المتعسف الصادر بحقه، وتحويله

من منظور الغضب للنفس والمقاومة لسلطة جائرة، إلى مفهوم أعلى وأسمى وهو الغضب لله، ومقاومة منهج يريد أن ينحرف بالإسلام عن طريقه المثالي إلى الروح القبليّة المقيتة. لا شك أن هذا أعطى أبا ذر دفعة معنويّة عالية على المقاومة، وتحمل نتائج الوقوف بوجه هذه السلطة واحتسابها في ذات الله تعالى.

يزاد على ما تقدم فإن هذا الخطاب الموجز يكشف عن أن الإمام الحسن طلب من أبي ذر أن يميز بين سلطة الدولة، وسلطة الحكم؛ لذلك عبر عن سلطة الحكم بـ (القوم) وهو يقصد بني أمية الذين استغلوا سلطة الخلافة لظلم الناس، وهو بذلك يتماهى مع منهج أبيه (عليه السلام) الذي قال عندما استولى القوم على الخلافة: ((ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))^(٨).

مما تقدم يشير أن الإمام الحسن (عليه السلام) خاطب الأمة خطاباً عملياً عن طريق كسره الحصار المفروض على أبي ذر، ولفظياً عبر كلماته التي تحفز الأمة على أنها يجب أن تميز بين طاعة مؤسسة الحكم، والاعتراض على القرارات الجائرة.

٢ - اشتراك الإمام الحسن (عليه السلام) في الفتوحات.

نتيجة لمكانة الإمام الحسن (عليه السلام) في المجتمع الإسلامي، حاول بعض المؤرخين مثل ابن خلدون^(٩) أن يزجوا باسم الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين (عليهما السلام) في الفتوحات التي حدثت في زمن عثمان بن عفان، وذلك من أجل تحسين صورة عثمان بن عفان.

وهذا يأتي ضمن سلسلة من الافتراءات الممنهجة لجعل الإمام الحسن (عليه السلام) خارجاً عن منظومة الإمام عليّ (عليه السلام). كما سيأتي،، ويبدو أن اقتران الفتوح الإسلامية بمفهوم الجهاد في سبيل الله قد أصبح سائداً ومألوفاً عند الرواة ومن بعدهم المؤرخين، وهذا أمر لا يمكن قبوله، لأن ما حدث لم يكن لنشر الإسلام، أو إقناع الآخر باعتناقه؛ بل كان الهدف الذي سعت إليه النسبة الغالبة من المسلمين هو عوائد الفتح من غنائم وغيرها؛ لذلك نأى الإمام عليّ (عليه السلام) بنفسه عن هذه الحروب العبثية، وتابعه أولاده على ذلك، لكن من زج باسم الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) في هذه الحروب، كان هدفه

تشويه صورة الإمام، عن طريق عزل الإمامين عنه، بالنظر إلى أنهما ينتميان إلى رسول الله ﷺ، وليس بالضرورة أن يكونا مؤيدين لآرائه، فيتحقق بهذا الأمر هدفان:

الأول: ما ذكرناه من عزلهما عن الإمام عليّ ﷺ.

والثاني: تلميع صورة الخلفاء والقادة الذين أسرفوا إسرافاً كبيراً في هذه الحروب.

٣ - موقف الإمام الحسن ﷺ من حصار عثمان ومقتله.

يؤيد ما قدمناه من أن المؤرخين أرادوا عزل أولاد الإمام عليّ ﷺ عنه، فمن الروايات التي تحدثت عن موقف الإمام الحسن ﷺ من الثورة على عثمان بن عفان ما نقله ابن شبه النميري^(١) بسنده عن الزهري: ((وبلغ علياً أن عثمان يراد قتله، فقال: إنا أردنا مروان، فأما قتله فلا، ثم قال للحسن والحسين اذهبا بنفسيكما حتى تقوما على باب عثمان، ولا تدعا واحداً يصل إليه، .. فقام الحسن بن عليّ ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين علام تمنع الناس من قتالهم؟ فقد والله حل قتالهم.. قال - عثمان - : أقسمت عليك يا ابن أخي لما كففت يديك، ولحقت بأهلك، فلا حاجة لي في هراقة الدماء...)). لقد جعل الراوي الإمام عليّ ﷺ من المحرضين على الثورة، وسبباً في قتل عثمان، وبهذا يكون قد شرعن تمرد معاوية وغيره، وفي الوقت نفسه جعل الثوار مجموعة خارجة عن الإجماع، بدليل أن الإمام الحسن ﷺ كان يريد حربهم، على عكس وقائع التاريخ التي ذكرت أن أغلب معارضة عثمان كانوا من الصحابة، الذين اعترضوا على أدائه السياسي والإداري والاقتصادي.

ربما نستطيع أن نتقبل وجود الإمام الحسن الفاعل في أحداث الثورة على عثمان، بوصفه ابن رسول الله الحريص على الإسلام والمسلمين، والذي لا يريد أن تراق دماؤهم عبثاً، ويريد الحفاظ على إنسانية عثمان بن عفان، كما ورد في رواية المفيد^(١١): ((فقد علم كل من سمع الأخبار أن أمير المؤمنين ﷺ لم يحضر قتل عثمان، وقد كان أنفذ إليه بابه الحسن ﷺ لما منعه الماء ليسقيه)).

كما حاول الإمام عليّ ﷺ إقناع الثوار بتهدئة الوضع، بعدما أخذ وعوداً من عثمان بن عفان بأنه سينفذ كل الاتفاقات، ويرفع الظلم الذي أوقعه بنو أمية على الناس، وهذه مسألة إنسانية لا شأن لها بميل الإمام الحسن ﷺ لعثمان بن عفان، كما أراد بعض الرواة تسويقه من خلال رواياتهم التي

ذكروها، ((وإن أهل الأمصار يسرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان يرجون في ذلك خلاصهم، واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليقترحموه، فمنعهم الحسن بن علي...))^(١٣).

وقد وصل هؤلاء الرواة حد الإسراف في هذه المسألة، فشوهوا الأحداث وأسأؤوا للصورة المثالية لآل البيت، فقالوا: ((فصعدت امرأته إلى الناس، فقالت إن أمير المؤمنين قد قتل، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهم، فوجدوا عثمان مقتولاً قد مثل به، فأكبوا عليه يكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولاً فبلغ عليا الخبر.. حتى غشي على علي ثم أفاق، فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ فرفع يده فضرب الحسن والحسين...))^(١٣).

لم يكن الإمام علي (عليه السلام) راضياً بمقتل عثمان، والاعتداء على حرمة، وانتهاك إنسانيته، إلا أن ما جاء في الرواية من توبيخه للحسين (عليه السلام) فضلاً عن ضربهما، لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال، فهما لم يكونا مسؤولين عن قتل عثمان، ولم يكونا من المحرضين على قتله، زيادة على أن مكانة الحسين عند أمير المؤمنين كانت مكانة كبيرة تتناسب مع كونها أبنَي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان حريضاً عليهما وعلى مكانتهما في المجتمع الإسلامي؛ لذلك كان يكرر القول إنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعليه فإن ما جاء في الرواية لا يعدو كونه نسخة مشوهة من الأخبار التي حاولت المساس بآل البيت (عليهم السلام) وصورتهم.

٤- خلاف الإمام الحسن مع أبيه (عليه السلام).

من الادعاءات التي أطلقها بعض الرواة في هذا المقام أن علاقة الإمام الحسن بأبيه أمير المؤمنين كانت سيئة ومتشنجة، فقد نقل الطبري^(١٤) بسنده عن سيف بن عمر التميمي من أن الإمام الحسن (عليه السلام) قال لأبيه أثناء مسيرهما لحرب الجمل: ((قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لاتزال تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟، قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تباع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله، قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به،...)).

على الرغم من أن الراوي نسب هذا النص للإمام الحسن (عليه السلام)، بعدّه خطاباً وموقفاً له تجاه الأحداث، إلا أنه يؤشر إلى حجم التضليل الذي مورس على الأمة بحق آل البيت، فسيف بن عمر الراوي المعروف بولائه لبني أمية، والمشهور بقدرته الكبيرة على تزييف الأحداث واختلاق الشخصيات الوهميّة والوقائع التي ليس لها وجود^(١٥)، لا يُعد ظاهرة فريدة في تدوين التاريخ بصورة مشوهة، بل هو واحد من بين كثير من الرواة الذين كتبوا تحت إشراف السلطة، أو تزلفاً لها أو طمعاً في امتيازاتها، ونصّه هذا شاهد على ما قلناه.

ولو تركنا جانباً التربية النبويّة للإمام الحسن (عليه السلام)، وشبهه برسول الله ﷺ خُلُقاً وخُلُقاً، وأنه سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الأعظم، وتجاوزنا تربية الإمام عليّ له، وأتينا إلى تفاصيل النصّ، نجد أنه لا يمت للحقيقة بصلة، لأنه يخالف المنطق، فالإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن على علاقة بعثمان بن عفان، إلا بمقدار دفاعه عن إنسانيته بأمر من أبيه - كما أسلفنا -، وكونه يقدم النصّ للإمام عليّ (عليه السلام) وهو يعرف مكانته وقدرته على إدارة الأمور أمر غير منطقي - الحديث هنا وفق منطق التاريخ -، لاسيما أنه كان مشاركاً لأبيه في كلّ القرارات التي اتخذها، ولم يفارقه أو ينحرف عنه، بل كان فاعلاً ومؤثراً في الأحداث بشكل كبير جداً، وهذا ما سندلمسه عندما نتحدث عن اشتراكه في المعارك ضد المتمردين.

لقد أراد هذا الراوي وغيره فصل الإمام الحسن (عليه السلام) عن أبيه، وضرب وحدة الموقف بينهما، بل أبعد من ذلك أراد الراوي أن يركز في الوعي الإسلاميّ بعدم وجود تكامل بين الإمام عليّ (عليه السلام) بعدّه وصي رسول الله و بين النبي محمّد الذي خلفه على الأمة، لاسيما أنهم أرادوا أن يضربوا مفهوم الإمامة الإلهيّة، ويحولوها إلى مجموعة الأشخاص الذين تولوا الحكم سواء بالمؤامرات أو السيف، فأظهروا الإمام الحسن (عليه السلام) - الذي ينتمي إلى منظومة النبوة عن طريق أمه الزهراء - معترضاً على أداء الإمام عليّ (عليه السلام) (الحاكم).

ثانياً: بروز شخصيّة الإمام الحسن (عليه السلام) القياديّة في خلافة أبيه.

بعد أن قُتل عثمان بن عفان اتّجه الناس إلى الإمام؛ ليختاروه خليفة للدولة الإسلاميّة، فامتنع عنهم لأن الأمور وصلت إلى مفترق طرق، فألحوا عليهم إلحاحاً شديداً: ((فتذاك الناس علي

كتذاك الإبل على حياضها))^(١٦)، ثم أتاه اصحاب النبي ﷺ ليرجوه أن يلي الأمور، ويضع حداً لمسيرة التدهور في الدولة الإسلامية، فقالوا له: ((إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحد أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، فقال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين))^(١٧)، ثم اتخذ الإمام عليّ (عليه السلام) جملة من الإجراءات عندما تسنم الخلافة، فعاد بالدولة إلى المقررات النبوية، وألغى جملة من التدابير التي اتخذها الخلفاء الذين سبقوه، وخالفوا فيها ما كان سائداً في عهد الرسول ﷺ، مع مراعاة ما استجد من أمور، فألغى الفوارق الطبقيّة التي أقرها عمر بن الخطاب، وساوى بين الناس في العطاء، ورفع الظلم عنهم، وغير الكادر الإداري بأكمله، واختار للمسلمين كادراً إدارياً ضمن مواصفات خاصّة جمعت بين حسن السيرة والسلوك والخبرة الإداريّة، وأرسى مفاهيم حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعيّة والمساواة وغيرها، لكن هذه التغييرات لم ترق لكثير من الجهات لا سيما تلك المستفيدة من العهود السابقة، فشهد عهده تمرداً ومعارضة غير مبررة، حتى وصل التمرد إلى حروب داخلية شغلت أغلب أيام خلافته. صحب الإمام الحسن أباه (عليه السلام) وأعانه في إدارة شؤون الدولة الإسلاميّة، وكان أمير المؤمنين يعتمد عليه في المواقف الحساسة كلّها التي مر بها حكمه، وهذا يؤشر إلى فاعليّته السياسيّة والعسكريّة والمجتمعيّة، وفيه رد كافٍ على الافتراءات التي أشاعها معاصروه من أعدائه، ومن تابعهم من الرواة والمؤرخين الذين كتبوا تحت إشراف البلاطين الأمويّ والعباسيّ، وسنحاول تتبع خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) في تلك المرحلة الزمنية الحرجة.

١ - سفارة الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الكوفة.

لقد كانت التجربة العمليّة الأولى التي خاضها الإمام الحسن (عليه السلام)، هي المهام التي أداها في معركة الجمل، والتي حدثت بُعيد استلام الإمام عليّ (عليه السلام) للخلافة، فكانت أنموذجاً على خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)، وميداناً مناسباً لمعرفة إمكاناته القياديّة، كما أنها كانت تُعد تدريباً له لمواجهة الأزمات التي تتعرض لها الدولة، وكان الإمام عليّ (عليه السلام) حريصاً على أن يسند

إليه وإلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام المهام الصعبة، وكانت استجابة الإمام الحسن عليه السلام عالية جداً لهذا التدريب.

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام سفيراً لأمير المؤمنين إلى أهل الكوفة عندما خرج إلى البصرة لإنهاء تمرد طلحة والزبير وعائشة، وهذا أول تكليف رسمي له بمهمة خارج المدينة المنورة، ويبدو أن الإمام علي عليه السلام كان يسعى من خلال تكليفه إلى تعريف المسلمين بقدراته وقوة خطابه وإمكاناته القيادية، وأنه ينتمي إلى آل البيت الذين لهم الوصاية على الأمة؛ لذلك كان دخوله الكوفة ولقاء أهلها للمرة الأولى شاهداً على ذلك، فهم سمعوا عنه لكن لم يروه في مدينتهم، فكان اعتلاؤه المنبر بمثابة استكشاف لقدراته من قبلهم، فقال بعضهم: ((قام الحسن - وهو فتى حدث، والله إني لأرثي له من حداثة سنه وصعوبة مقامه - فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون اللهم سدد منطق ابن بنت نبينا، فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان علياً من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال...))^(١٨)، وخطب فيهم خطبة موجزة ركز فيها على مكانة الإمام علي عليه السلام ومنزلته من الرسول الأعظم ﷺ، وفضائله وما اختص به من دون غيره، ثم خلافته التي تمت برضا المسلمين، وما فعله الناكثون من أفعال، وكان الخطاب يتناسب مع المقام، فهؤلاء لم يعرفوا عن الإمام علي عليه السلام إلا كونه أحد الصحابة، ولم يعرفوا عن الإمام الحسن عليه السلام إلا كونه ابن بنت النبي ﷺ، لا سيما بعد أن منع عمر بن الخطاب الصحابة في الأمصار الإسلامية من نشر أحاديث رسول الله ﷺ؛ لذلك كان خطاب الإمام الحسن عليه السلام كاشفاً عن مكانة الإمام علي عليه السلام، مركزاً على قربته من الرسول ﷺ، وعلى الرغم من قوة خطابه لكنه كان هادئاً متدرجاً يحاول أن يغير المفاهيم التي ركزت في أذهانهم طيلة عقدين ونيف من الزمان.

ولو طالعنا بعض فقرات الخطبة التي ألقاها لوجدنا هذا كله: ((.. إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرشد الله أمره، وأعز نصره - بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله، ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله ﷺ وحده، وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله

وأثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله ﷺ راضياً عنه، حتى غمضه بيده وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرتة، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من من الله عليه، ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه. فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله))^(١٩)، لقد كان الخطاب يناسب تلك المرحلة التي تحتاج إلى لم شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم؛ لذلك أتى هذا الخطاب المتوازن بالنتيجة المرجوة، وسار الناس إلى الإمام عليّ (عليه السلام) والتحقوا بمعسكره^(٢٠).

٢- مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) في معركة الجمل.

مثلاً تقدم أن الإمام الحسن (عليه السلام) وقف مع أبيه في كل الأحداث التي شهداها، ولم ينفصل عنه أبداً حتى استشهاداه على العكس من التشويه الذي مارسه الرواة بحقه، فكان في معركة الجمل على يمينه جيش أمير المؤمنين وحامل رايته^(٢١)، وله في هذه المعركة مواقف كثيرة جداً، ما يهنا منها خطابه الموجه للأمة - الذي كان مطابقاً لخطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومكملاً له - ولم يكن لمجموعة المتمردين الذين سعوا إلى مكاسب آنية؛ لأن الأمة أعلى مقاماً منهم، فاجتهد نتيجة لذلك من أجل صناعة وعيها، وسعى إلى إنقاذها من غياهب التجهيل والتضليل وتغيب الوعي؛ لذلك عندما خطب عبد الله بن الزبير في المعسكر، واتهم أمير المؤمنين بقتل عثمان، وأسرف في شتمه، أمر الإمام عليّ (عليه السلام) ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالرد عليه بإيجاز يتناسب مع المقام، من دون أن يشتم أو يسب، فكان الإمام الحسن (عليه السلام) بليغاً جداً في خطابه الموجز، إذ قال: ((أيها الناس إنه قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن أمير المؤمنين قتل عثمان، فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يحتجني عليه الذنوب ويرمي به بفضيحات العيوب، وطلحة بن عبيد الله راكد رايته على باب بيت ماله وهو حي، وأما شتيمة عليّ فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أرادته، ولو أردنا أن نقول لفعلنا، وأما قوله أن علياً ابتز الناس أمورهم، فإن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم أنه بايعه بيده دون قلبه فهذا إقرار بالبيعة...))^(٢٢).

لقد كانت الكلمات الموجزة المعبرة التي تصيب الهدف أقرب إلى مزاج العرب من الكلام الطويل الفاقد للمعنى، وقد عرف عن آل البيت بلاغتهم وقدرتهم على صناعة الكلام الذي يتناسب مع كل مقام، فهذه السلسلة التي أوصى رسول الله ﷺ الأمة باتباعها - وأبعدت حسداً وبغياً - كانت قادرة على الوصول بالأمة إلى الكمال التام، لكن من بغى على آل البيت اجتهد كثيراً في تشويه صورتهم؛ لذلك نحن هنا نتناول إمكانات الإمام الحسن عليه السلام القيادية، من خلال تتبع خطابه عبر النباش في ركام التاريخ الذي تجنى على آل البيت، فالإمام الحسن عليه السلام الذي افتري عليه ونالت سيرته قسماً كبيراً من التشويه، كان حضوره فاعلاً في تاريخ المسلمين حتى شهادته، غير منفصل عن خط أبيه - خط الإمامة - مكملاً وملازماً له فهو خليفته على الأمة؛ لذلك كلفه الإمام علي عليه السلام بمحاورة عائشة؛ من أجل الرجوع إلى المدينة والاستقرار في بيتها، وإنهاء هذا التمرد الذي فتح أبواب الفتن على الأمة.

كان الموقف حساساً جداً فهؤلاء الذين لم يعاصروا النبي ﷺ، ولم يشهدوا ما قدمه الإمام علي للإسلام، كانوا ينظرون إلى عائشة بقدسية عالية كونها زوج الرسول ﷺ وابنة أبي بكر (الخليفة الأول)، بعدما مورس عليهم تعتيم كامل لم يعرفوا طيلة عقدين ونصف من الزمان شيئاً عن آل البيت عليه السلام، وذلك بعدما سيطر أصحاب سقيفة بني ساعدة على مقاليد الأمور، ولم يسمحوا لأحد بالحديث عن فضائل آل البيت ومكانتهم الحقيقية.

كانت مهمة الإمام علي عليه السلام صعبة جداً بين القضاء على التمرد، والحفاظ على زوج الرسول ﷺ، وبين إفهام الأمة أن الحق لا يقاس بالأشخاص، بمعنى أنه كان يريد إيجاد وعي مغاير لما ثبته من كان قبله، ويعود بالناس إلى روح الرسالة المحمدية؛ لذلك نراه متوازناً جداً في تصرفه مع عائشة، فلم يذهب إليها بنفسه، فتارة أرسل إليها أخاها محمد بن أبي بكر، وأخرى أرسل لها عبد الله بن عباس، وعندما أراد الحسم أرسل إليها ابنه الإمام الحسن عليه السلام؛ لمقدرته على حسم الأمور أولاً، وكونه ينتمي إلى الرسول الأعظم ﷺ، ولإظهار إمكاناته أمام هؤلاء الذين لم يعرفوا عنه شيئاً ثانياً، فتكلم مع عائشة وقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: ((أما والذي فلق الحبة والنوى وبرأ النسيمة، لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين))^(٢٣)، ((فلما قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحلوني، فقالت

لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك، ثم خرج من عندك وهو مغضب، ثم جاءك برسالة أبيه (الفتوح، ج ٢، أحمد بن أعثم الكوفي، ص ٢١٨)، فأقلقك وقد كان أبوه جاءك، فلم نر منك هذا القلق والجزع، فقالت عائشة: إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله ﷺ وسلم فمن أحب أن ينظر إلى رسول الله ﷺ وسلم فلينظر إلى هذا الغلام)) (٢٤).

٣- مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) في الكوفة.

استمر خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) وحضوره في المجتمع الإسلامي فاعلاً ومؤثراً، لاسيما بعد انتقال العاصمة إلى الكوفة، هذه المدينة التي أريد لها أن تكون مثلاً للولاء لآل البيت؛ لما تتمتع به من مزايا تؤهلها لذلك، وكان الإمام عليّ (عليه السلام) حريصاً على ضمان ولائها، فبدأ يعيد تشكيل إدراكها لحقيقة الإسلام، ومكانة آل البيت، وطبيعة الرسالة المحمدية، فأوقف الفتوح؛ لعدم قناعته بجدواها، ولإعادة بناء المنظومة الإسلامية، وكانت تحركاته تسير وفق منهج مخطط على الرغم من حجم التحديات التي فرضت عليه، وكان أول ما بدأه عند دخوله الكوفة هو إشاعة العدالة الاجتماعية والمساواة ورفع مكانة الانسان واحترام حقوقه، ثم عرج على القلة الموالية لآل البيت لجعلهم دعاة لمنهجهم؛ من أجل توسيع رقعة الولاء، فكان لقاءه بالصحابي سليمان بن صرد الخزاعي دالاً على ذلك، فهذا الأخير تخلف عن الإمام عليّ (عليه السلام) في معركة الجمل ولم يلتحق به، فعاتبه عتاباً شديداً لما يعرف عنه من إمكانات ومعرفة بحقوق آل البيت على الأمة، فأتجه الأخير إلى الإمام الحسن (عليه السلام) يشرح له موقفه، ويبين حرجه من الكلام الذي سمعه من الإمام، فقال له: ((ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ والتبكي))، فقال له الإمام الحسن: ((إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال: لقد وثبت أمور ستشرع فيها القنا، وتتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصيحتي، فقال له الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بالضنين)) (٢٥).

بهكذا خطاب هادئ وموضوعي كان يتعامل الإمام الحسن (عليه السلام)، وهو يدعم مشروع أبيه بإعادة إنتاج وعي الأمة، فسليمان الذي تخلف عن الإمام عليّ (عليه السلام) في الجمل كان قد تحول بعد هذا الحوار إلى أقرب الموالين للإمام، فتولى إحدى الولايات الإسلامية، وشارك في المعارك التي شهدتها خلافة الإمام، وبقي موالياً حتى استشهد وهو يطلب الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام).



٤- مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) في معركة صفين.

لم يكن الحوار الذي قدمناه في النقطة السابقة إلا أنموذجاً يعرفنا بمستوى خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)، وقدرته على إدارة الأمور، وهو يخالف تماماً ما دأب الرواة الموالون للسلطة على ترويجه، ففاعليته كانت عالية جداً، ووقف بوجه مشروع التمرد، ودعم مشروع أبيه، وفند حجج الناكثين، وكان خطابه شاهداً على ذلك، فمعاوية الذي استغل ظروف انقلاب السقيفة وما أنتجه من واقع معكوس، كان يركز على تضليل الأمة وتغيب الحقائق، ونجح هذا الأمر في بلاد الشام التي أحكم قبضته عليها منذ أن ولاه عمر بن الخطاب على أجزاء منها، وأراد بعدها أن يوسع دائرة سيطرته ورقعة نفوذه إلى باقي أجزاء البلاد الإسلامية.

ولم تكن خطورته تكمن في سيطرته العسكرية فحسب، بل في المفاهيم التي أراد تثبيتها، والخطاب الذي تبناه، فقد أنفق كل جهده في إزاحة آل البيت عن مكانتهم، ووضع نفسه مكانهم، وجند لهذا صحابة وتابعين ورواة أغراهم بالجاء وأغدق عليهم الأموال، فانتقل بقسم كبير من الأمة من مرحلة الإسلام المحمدي إلى الإسلام الأموي، الذي يقوم على مفاهيم الجاهلية، وهذا المشروع الذي ما زالت آثاره باقية إلى اليوم، فمعاوية (الباغي) تحول من طليق إلى ابن عم الرسول الأعظم، خال المؤمنين، الصحابي الذي يروى عنه ويحتج بحديثه!

لقد تحولت الأمة الزاهدة المؤمنة بفعل معاوية ومن نصّبه إلى مجموعة غزاة استباحوا المدن والقرى، وأساءوا إلى صورة الإسلام، وهم يظنون أنهم فعلوا ذلك لرضا الله، فغيب إسلام النبي تغييباً تاماً وحل محله إسلام بدوي جاهليّ تبناه معاوية وأشباهه؛ لذلك كان لابد من أن يكون هناك، مشروع آخر يقف بالضد من هذا المشروع، ولا بد أن يحمل خطاباً قادراً على مواجهة هذا التحدي الذي يستهدف أس الإسلام ووجوده، ولم يكن هناك أحد قادر على أن يقف بوجه هذا المشروع الهدام سوى أمير المؤمنين الوصي على الأمة.

ووسط كل هذه التناقضات والظروف غير الطبيعية كان الإمام علي (عليه السلام) يعد الأمة للرجوع إلى إسلام الرسالة، ولم يكن ذلك من خلال حملات عسكرية هنا وهناك، بل بإيجاد منظومة فكرية قادرة على الصمود، يسانده في ذلك مجموعة من أصحابه المخلصين، الذين تربوا على يديه وعرفوا



الإسلام المحمدي، لكن التناقض الذي كانت تعيشه الكوفة أثر على نتائج هذا المشروع، فأغلب الكوفيين كانوا ينظرون إلى الإمام علي (عليه السلام) على أنه حاكم زماني وخليفة، ويؤمنون بأحقية في الحكم، ليس بوصفه وصيًا على الأمة بل بالبيعة التي بوع بها وهي ملزمة للجميع، وكانت القلة من هؤلاء يعرفون حق أمير المؤمنين؛ لذلك عمل بمعية أبنائه على إنجاح هذا المشروع.

وكان الإمام الحسن (عليه السلام) يعمل بكل جهده على دعم مشروع إنقاذ الإسلام، فوجه في كلمة لأهل الكوفة عندما عزم أمير المؤمنين التوجه إلى معاوية، قال فيها: ((.. ونحن إنما غضبنا الله ولكم، فإنه من علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ..))^(٢٦)، أراد من خلال كلماته الموجزة توجيه أهل الكوفة نحو العدو الحقيقي للإسلام الذي يريد هدمه من الداخل، وهو خطاب تعبوي للالتحاق بالمشروع الاصلاحى، الذي لا يمكن أن ينجح إلا بدعم المؤمنين به.

لقد كان هذا الخطاب خطابًا عمليًا كما هو خطاب أبيه، فلم يكتفِ بالتنظير والخطب الحماسية، وإنما كان في قلب الحدث، حتى يعرف الآخر أن مشروع آل البيت كان واحدًا لا يتجزأ؛ لذلك نراه في تلك الحقبة التاريخية قائدًا للقلب الجيش المتوجه لإنهاء مشروع معاوية^(٢٧)، وهذه حالة تفرد بها آل البيت من دون غيرهم، فالقادة دائمًا يجلسون في الأماكن المحصنة، حتى يضمنوا سلامتهم؛ لأن تفكيرهم ينحصر بالحفاظ على حياتهم ومكتسباتهم الآتية، إلا من ولاهم الله تعالى أوصياء على الأمة كانوا لا ينفسون بأنفسهم على الموت من أجل الوصول إلى الهدف الذي رسموه.

كان معاوية يعي جيدًا معنى أن يكون الإمام الحسن (عليه السلام) - ابن رسول الله - في قلب جيش الإمام علي (عليه السلام)، فهو لا يسعى إلى النصر فقط بل يفكر في شرعة انتزاعه على الحكم وهو طليق، فأرسل عبيد الله بن عمر بن الخطاب إلى الإمام الحسن (عليه السلام) بعدما رأى أن الكفة مالت لجيش الإمام (عليه السلام)؛ ليمنيه ويرغبه ويعرض عليه خلع أبيه وتنصيبه خليفة للمسلمين^(٢٨)، فكان رد الإمام الحسن يتناسب مع الخطاب الذي تبناه آل البيت (عليهم السلام): ((لكأنى أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما أن الشيطان قد زين لك وخذعك، حتى أخرجك مخلقًا بالخلق ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويطحك لو جهك قتيلاً))^(٢٩).

والسؤال هنا ألا يعرف معاوية آل البيت ومكانتهم وإمكاناتهم ووحدة موقفهم وخطابهم المتكامل؟ نعم كان يعرف ذلك جيداً لكنه لم يكن يريد الإمام الحسن (عليه السلام) بنفسه، بل كان يهدف إلى خلق جو مشوش في جيش الإمام، من خلال التواصل مع الإمام الحسن (عليه السلام) الابن الأكبر لأمير المؤمنين، حتى يوحى لمن لم يكن لهم موقف ثابت أنه يريد الخير للأمة، وهذه المحاولات لم تنجح مع الإمام الحسن (عليه السلام) وهذا طبيعي، لكنها نجحت مع قسم كبير من جيش الإمام، لا سيما أولئك الذين ينظرون إلى الإمام علي (عليه السلام) على أنه حاكم فقط.

يمكن أن نلمس هذا في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) بعد قضية التحكيم وانخداع أبي موسى الأشعري بحيل عمرو بن العاص، إذ خاطب جيش الخلافة الذي شهد انشقاقاً كبيراً قائلاً: ((أيها الناس إنكم قد أكثرتم في أمر عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، فإنما بعثنا ليحكم في كتاب الله فحكمنا بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لا يسمى حكماً ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله بن قيس في أن أوصى إلى عبد الله بن عمر، فأخطأ في ذلك في ثلاثة خصال، في أن أباه لم يرضه لها، وفي أنه لم يستأمره، وفي أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين نفذوها لمن بعده، وإنما الحكومة فرض من الله، وقد حكم رسول الله ﷺ، سعد بن معاذ من بني قريظة فحكم فيهم بحكم الله لا شك فيه، فنفذ رسول الله ﷺ حكمه، ولو خالفه ذلك لم يجزه)) (٣٠).

المبحث الثاني

قيادة الإمام الحسن (عليه السلام) للأمة.

أولاً: تولي الإمام الخلافة والصراع مع معاوية:

ما قدمناه من خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) لا يعني أننا أحصينا كل خطابه، بل انتقينا نماذج بسيطة من هذا الخطاب تجنباً للإطالة، وقد كان خطابه الأكثر وضوحاً بعدما استشهد الإمام علي (عليه السلام)، إذ أصبح هو المنظور إليه لاستكمال المشروع النبوي.

وقف الإمام الحسن (عليه السلام) مخاطباً الأمة بعدما فرغ من دفن أمير المؤمنين: ((لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله ﷺ يوجهه برأيه فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي (عليه السلام) في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم (عليه السلام)، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يتنازع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمُدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (٣١) فالحسنة مودتنا أهل البيت)) (٣٢).

لقد حكمت الظروف على الإمام الحسن (عليه السلام) أن يخاطب الأمة ويذكرها بمكانة آل البيت، ومنزلتهم في كتاب الله، وقربهم من رسول الله؛ لأن المشروع الإصلاحية الذي بدأه الإمام علي (عليه السلام) كانت بيئته الحاضنة أرض العراق، هؤلاء الذين لم يشهد أغلبهم عصر الرسول ﷺ، ولا يعرفوا عن مكانة آل البيت إلا القرب النسبي من النبي ﷺ، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد بدأ يروض هذه البيئة ويرفعها إلى مقام الوعي، حتى تستطيع مساندة المشروع الذي تبناه، فخلق قاعدة نوعيّة وليست كمية قادرة على الدفاع عن المشروع.

وكان دور الإمام الحسن (عليه السلام) استكمال بناء هذه القاعدة؛ لذلك نلاحظ أول خطاب له ركز فيه على مكانة آل البيت (عليهم السلام) ومنزلتهم عند الله تعالى وعند رسوله ولم يتعد ذلك، لكنه عندما

ببيع بالخلافة التي كانت تعني له استكمال مشروع الإصلاح، بدأ يطرح مفاهيم أخرى منه، علمهم اليقيني لا الظني بكتاب الله، وطاعتهم الملزمة لكل المسلمين^(٣٣)، بمعنى أنه يريد أولاً ضمان الولاء لا على أساس البيعة، بل على أساس أنه الإمام الوارث للوصية الإلهية، وهذا هو الفهم الذي أراد أن يثبت في أذهان الأمة، لكن من روى تاريخ المسلمين في تلك الحقبة الزمنية، تعامل مع شكيلات الحدث فوضع الإمام الحسن عليه السلام قبالة معاوية بن أبي سفيان، وهذا وضع غير طبيعي ولا يمكن قبوله، لأن نزول معاوية على الحكم لا يعني أنه أصبح نظيراً للإمام الحسن عليه السلام، وهذه هي المأساة التي ابتلي بها آل البيت، التي عبر عنها الإمام عليّ بالقول: (أنزلني الدهر حتى قيل عليّ ومعاوية).

وعلى الرغم من أن الجبهة الداخلية في الكوفة كانت مليئة بالتناقضات، ولم تكن موحدة أو متماسكة، إلا أن خطاب الإمام الحسن عليه السلام بقي خطاباً قوياً متماسكاً، فهو يعرف كيف يدير الأمور، وما قام به كان ينسجم من الواقع العملي، ومع ما اختطه أبوه لمستقبل الخط الراسلي، فتعامل مع كل الفئات التي كانت تشكل المجتمع الكوفي، وفق خطاب يمكن أن نسميه (الخطاب الداخلي)، يقوم على وحدة الصف والتماهي مع أهداف الرسالة، وقد أنتج هذا الخطاب المتوازن إيجاد نواة موالية لخط آل البيت، هذه النواة التي استمرت بالنمو حتى أصبحت الكوفة، ومن بعدها العراق موالياً لآل البيت، من أمثال: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي^(٣٤)، وسعيد بن قيس الهمداني، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وعدي بن حاتم الطائي، والمسيب بن نجية^(٣٥)، وزباد بن صعصعة^(٣٦)، وآخرين من هؤلاء الخلفاء الذين أسهموا في إفشال المخطط الأموي القاضي بتهديم الإسلام ومحوه.

في الجهة المقابلة كان معاوية يتحرك على أطراف العراق من خلال غارات هدفها السلب والنهب وبث الخوف؛ يرمي من خلالها زعزعة أركان الدولة وتحقيق انتصارات آتية؛ من أجل أن يحقق الغاية الكبرى له، وهي الانتقال بوعي الأمة من مرحلة الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من الله تعالى من مثل وقيم عالية، إلى مرحلة الإيمان بأحقية بني أمية بالحكم، وتقديسهم بعدهم أئمة للأمة وورثة لدين محمد صلى الله عليه وآله.

لقد كان الإمام الحسن واعياً لكل خطط معاوية، ويعرف جيداً ماهية عدوه، ويقدر إمكاناته الكبيرة في التأثير في العامة، فهو يعطي الأموال ويصطنع الرجال، يغدر ويفجر ولا يبالي بشيء، يهدم الدين ويغير السنن، يقتل من لا يستحق ويكرم من خرج على الدين والإنسانية، كل هذا وله أتباع يؤمنون به وبأحقيقته في الحكم، وهم موحدون خلفه لا يعصون له أمراً!!، وهذا نتاج طبيعي لانقلاب السقيفة، الذي استبعد الوصي وحاول تحجيمه وفصله عن الأمة، ومن ثم تمكينهم لمعاوية في الشام، وفتح الباب أمامه لضرب الإسلام المحمديّ ومحو آثاره.

كان معاوية يغري الزعماء ويمنيهم بالمال والجاه، ويرسل لهم الرشى ويدس الجواسيس لتفكيك الجبهة الداخلية، لكن الإمام الحسن (عليه السلام) كان يعرف طبيعة تحركات معاوية، فعندما أُلقي القبض على شخصين يتجسسان الأخبار لمعاوية في الكوفة والبصرة، كتب له: ((فانك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء، وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله...))^(٣٧)، وهو غير عاجز عن ملاقاته، لكنه كان يعرف الأمور ويعرف ما آلت إليه الأمة من استكانة وخنوع، فأراد أن لا يعاجلها بمعارك تزهق الأرواح، ولا تأتي إلا بنتائج آتية؛ لذلك كان خطابه مع الآخر (المخالف) قوياً في ذاته غير مستكين أو مستسلم، وفي الوقت نفسه لم يكن عنيفاً؛ لرغبته في حلحلة الأمور من دون أن تراق الدماء.

لقد كانت غاية معاوية الوصول للحكم، وهدم الدين الذي حطم مجد أسرته الجاهلي، وقد اشتهر عنه القول: ((يا أهل العراق أترون إني إنما قاتلتكم لأنكم لا تصلون، والله لأني لأعلم أنكم تصلون أو إنكم لا تغتسلون من الجنابة، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم...))^(٣٨)، ومن بعد ذلك يستطيع استكمال غايته، وقد نجح ولو بشكل جزئي في إيجاد دين أمويّ جاهليّ ما زال هناك من يؤمن به.

في مقابل هذا المشروع كان الإمام الحسن (عليه السلام) يهيئ الأمة للمرحلة القادمة، فلما بايعه الناس قال لهم: ((تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت...))^(٣٩)، وهو اختبار للطاعة، إذ لم يستعجل حرب معاوية وبادره بإرسال الرسل؛ ليلزمه الحجة ويفند أطروحاته، وهذا هو الخطاب المتعقل الحريص الذي يتغيا الحفاظ على الأمة، والذي يحرص على حفظ صورتها وضمان ديمومة الإسلام المحمديّ، ولم يكن هناك أحد قادر على مواجهة معاوية

وابطال غاياته سوى الإمام الحسن (عليه السلام)، فارسل إليه رسولين^(٤١) بكتاب يدعو فيه للطاعة^(٤٢)، ونصّه: ((من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، .. أما بعد: فإن الله عز وجل بعث محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين، ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤٣).. وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا ﷺ، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساد، فاليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكن الله خبيك وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد، إن علياً لما مضى لسبيله يوم قبض يوم من الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً، ولآني المسلمون الأمر بعده فأسال الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته، وإننا حملني على الكتاب إليك الإعتذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك، ولك في ذلك أن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التهادي في الباطل، وأدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أي أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أبواب حفيظ ومن له قلب منيب، واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به، وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التهادي في غيك فمهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين))^(٤٤).

يبدو من خلال كتاب الإمام الحسن (عليه السلام) أنه اختصر الواقع السياسي للدولة الإسلامية منذ وفاة الرسول ﷺ وحتى عهده، وبين فيه أن منهجه لا يختلف عن منهج أبيه، كما حدد مواقع الخلل في مسار الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول التي تمثلت بانقلاب السقيفة، والسؤال هنا هل من الممكن أن يعي معاوية ويلزم جادة الحق عندما يقرأ هذا الكتاب؟ يقيناً أن هذا ليس ممكناً أن لم نقل مستحيلاً، إذا ما الفائدة من الكتاب؟ أو ما هو هدف هذا الخطاب؟ ومن هو المستهدف؟

أسئلة اجتهد المؤرخون للإجابة عليها، وكان العنوان الأبرز هو إلقاء الحجة على معاوية، وهذا تعليل منطقي نوعاً ما، لاسيما أن الإمام الحسن كان وصياً على الأمة، حريصاً عليها، وخطابه موجه لكل أفرادها الموالين منهم والمخالف وهذا هو تكليفه، لكن لا يمكن أن يكون هذا هو الهدف الأساس من هذا الخطاب، لأن معاوية لا يستحق هذا الخطاب وليس أهلاً له، لكنه كان خطاباً للأمة التي ضللت وجُهلّت وعُيِّب وعيها، خطاب يفرق بين الحق والباطل، بين الجاهلية والإسلام، بين الإسلام المحمدي والإسلام الأموي، وهو في الوقت نفسه خطاب مستقبلي كاشف يشرح لعموم المسلمين ما جرى في تلك المرحلة التاريخية.

لقد تضمن الكتاب أروع العبارات وأرقى درجات التسامح والنفس العالية، إذ على الرغم من معرفة الإمام الحسن (عليه السلام) بطبيعة معاوية والمعسكر الذي ينتمي إليه، إلا أنه مارس أسلوب التسامح المعروف عند البيت النبوي فأسدى إليه مجموعة من النصائح، ولم يبدأ بخطاب الحرب ثم ختمه بعبارات صريحة وواضحة يحذر فيها معاوية إن استمر في غيه فإنه لن يتوانى عن ردعه، وهذا رد على المؤرخين الذين صوروا الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه يريد تسليم الأمر لمعاوية، ولمحوا إلى أنه لم يكن أهلاً للخلافة.

لو تتبعنا خطاب معاوية في هذه المرحلة التاريخية، لوجدناه قد تغير تغيراً كلياً، فبعد أن كانت غايته البقاء على حكم الشام في أيام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أصبح يطالب بحكم الدولة الإسلامية نتيجة لتخاذل المسلمين عن الحق، لاسيما بعد أن ضعفت جبهة العراق التي يركز عليها الإمام الحسن (عليه السلام)، وبعد أن استطاع كسب بعض قياداتها بالأموال والوعود، فكتب للإمام: (.. فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت معونة لك...) (٤٤).

لقد كان معاوية متيقناً من أنه سيتنصر نصراً عسكرياً آتياً بعد أن استكان المسلمون، وتخاذلوا عن الحق، وبعدما ضمن ولاء الكثير من الزعامات القبلية، وهو يظن أنه استطاع أن يغير حتمية التاريخ القاضية بانتصار الحق، ويعيد مجد بني أمية بحلة جديدة، بعد أن استسلموا للإسلام ودخلوا فيه آيسين من دينهم، طامعين في مكاسب الدين الجديد، فبدأوا

يهدمونه من الداخل، وكانت البداية مع وصول معاوية إلى أول منصب في الدولة الإسلامية بولايته للشام حتى توليه الحكم، فجند على إثر ذلك الفقهاء والمحدثين والرواة والمؤرخين والحفاظ والقصاص؛ ليكتبوا له تاريخاً جديداً ويزيخوا تاريخ الرسالة، ويخلقوا فضائل ليست موجودة، ويقلبوا حقائق ثابتة، ويصنعوا ديناً جديداً أرادته معاوية، لكن مع كل هذه السيطرة والسطوة والحاكمة على المسلمين، لم يستطع أن يطفئ النور المحمدي ويوقف ديمومة الدين؛ لأن خط آل البيت (عليهم السلام) بقي حاضراً وفاعلاً، والنصر الآتي الذي حققه ليس إلا انتصاراً مرحلياً. ما تقدم لا يعدو كونه بياناً وقراءة لظروف الدولة الإسلامية في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)، فالناس متثاقلة لا تريد الدفاع عن حقها، والزعماء استلموا الرشاوي وأصبح ميلهم لبني أمية واضحاً^(٤٥)، والجيش كان منقسماً ضعيفاً؛ لذلك كله وللحفاظ على دماء المسلمين، والحفاظ على ما تبقى من الدين، كان لابد من تغيير لنمط المواجهة، بعد أن ثبت أن المواجهة العسكرية لا يمكن أن تأتي بالتائج المرجوة، فكان القرار الذي أتخذه الإمام هو مهادنة معاوية لمرحلة زمنية معينة، وهو ما عرف بصلح الإمام الحسن (عليه السلام).

ثانياً: الإمام الحسن (عليه السلام) في مواجهة الافتراءات:

كما قدمنا كان خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) واقعياً، إذ حفظ للأمة دينها، وحافظ على البقية الباقية من الموالين، الذين أنيطت بهم مهمة نصره الخط النبوي، لكن هذه الواقعية دفعت الرواة إلى اختلاق مجموعة كبيرة من الروايات تحت إشراف السلطة هدفها تشويه صورته (عليه السلام)، وإزاحته عن المكانة الحقيقية التي يستحقها، من أجل شرعة حكم البغاة وجعلهم أصحاب الحق الشرعي، فألصقوا بالإمام الحسن (عليه السلام) مجموعة من التهم؛ لإثبات ضعفه وعدم أهليته للحكم، وبالتالي ضرب صورة آل البيت (عليهم السلام).

فقالوا إنه كان ضعيفاً ميالاً للسلم لا يستطيع إدارة الدولة، وكان هواه قد غلب عليه فانشغل بميله للنساء عن الحكم والسياسة، وغير ذلك من التهم، وهذا خلاف الواقع ولا يمت له بصلة، وكلامنا هذا ليس كلاماً نطلقه لميلنا لآل البيت (عليهم السلام) وتعلقنا بهم، بل لأن وقائع التاريخ تثبت هذا الرأي، وخطاب الإمام الحسن (عليه السلام) يؤكده، فقد اختبر الأمة وحثها وحرصها، وحاول

أن يرفع شأنها وينقذها من استكانتها وخنوعها؛ لكنها أبت إلا أن تبقى مستسلمة خائفة، وقد حث الأمة حال استلامه الخلافة وطالبها بنصرة الحق، فكان يرسل الوجوه البارزة والمؤثرة من أصحابه كحجر بن عدي؛ ليحثوا الناس على الجهاد^(٤٦)، ومعه وجوه أصحابه من الخطباء أمثال عدي بن حاتم الطائي، ومقل بن قيس الرياحي، وزباد بن صعصعة التميمي، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فأنبوا الناس ولا موهم وحرصوهم^(٤٧)، لكن من دون نتائج تذكر، وبعدها لجأ إلى الخطاب المباشر، فخاطبهم مرّات عدّة من دون أن يجد استجابة فاعلة، ومن باب الاختيار لا الحصر نورد خطابه في مسجد الكوفة: ((أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤٨)، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، أنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر ونرى وترون، قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له، قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف))^(٤٩)، ولم يلتحق بالمعسكر سوى عدي بن حاتم وقومه وخلص أصحابه^(٥٠)، حتى أنه عندما غادر النخيلة متوجّهاً للقاء معاوية، لم يكن معه سوى أربعة آلاف مقاتل^(٥١)، ثم تكامل معه اثنا عشر ألفاً في المدائن هؤلاء هم كلّ جيشه، فولى عليهم عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد^(٥٢)، وما أن غادر الجيش حتى تعرض الإمام الحسن (عليه السلام) لمحاولة اغتيال من أحد الأشخاص، وكاد أن يقتل^(٥٣)، ثم تعرض إلى الخيانة الكبرى بعد التحاق عبيد الله بن العباس قائد الجيش بمعاوية^(٥٤).

لم يكن الإمام الحسن (عليه السلام) متردداً ولو للحظة واحدة في قتال معاوية؛ لكن ظروف العراق وتفكك الجبهة الداخلية أربك وضع الخلافة، فالزعماء كاتبوا معاوية سراً بالطاعة، بل ضمنوا له تسليم الإمام الحسن إن هو وصل الكوفة^(٥٥)، وكان الإمام الحسن (عليه السلام) على معرفة تامّة بما خططوا له، وأنهم عزموا على تسليمه مكتوف الأيدي لمعاوية، وهذا غاية ما يتمناه الأخير؛ لأنه كان يتمنى أن يأسر الإمام الحسن (عليه السلام) ثم يطلقه، وبذلك يكون الإمام طليقه، فينفي بذلك عار الطليق عن نفسه وأسرته.

لقد كان الإمام الحسن قادراً على ديمومة المعركة ضد الباطل، لكن بحساب نتائج هذه الحرب يتضح أن معاوية هو من يفيد منها، والخاسر الأكبر منها ما تبقى من دين الله؛ لذلك لجأ إلى الصلح مع معاوية، ويمكن أن نقرأ هذا في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) عندما سأله أحدهم عن سبب الصلح: ((والله ما سلمت الأمر إليه إلا إني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه))^(٥٦)، والأنصار هنا العارفون بحقه، المؤمنون بمشروعه، القادرون على الصبر والتحمل، الذين يميزون بين الحق والباطل مهما أضلت عليهم الفتن، لكنه لم يجد ووجد نفسه وحيداً مع قله من أنصاره.

لقد كان خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) واضحاً عند إجابته لحجر بن عدي الكندي لما اعترض على الصلح: ((إنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا، فتغير وجه الحسن (عليه السلام) وغمز الحسين (عليه السلام) حجراً فسكت، فقال الحسن (عليه السلام): يا حجر ليس كل الناس يحب ما تحب، ولا رأيهم رأيك، وما فعلت إلا إبقاء عليك والله كل يوم في شأن))^(٥٧)، كان متيقناً بأن أغلب من حوله كان هواهم مع الصلح: ((إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن))^(٥٨). كما أن الإمام الحسن (عليه السلام) خطب أهل الكوفة وبين لهم أن الصلح ما كان ليحصل لولا تخاذلهم والتسليم لعدوهم، فقال (عليه السلام): ((إنا والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشييت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم إلى صفيين ودينكم إمام دنياكم، ألا وأنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، وأصبحتم اليوم ودينكم أما دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهر وان تطلبون ثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباقي فتأثر، ألا أن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضا، فناداه الناس من كل جانب البقية البقية...))^(٥٩).

هذه هي خلاصة الموقف في الكوفة، وأي قائد يوضع في هكذا موقف سترتبك حساباته، ولا يستطيع إدارة الأمور أو أن يتخذ قرارًا حكيماً، على عكس ما لمسناه في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام)، من قدرته على إدارة الأمور وسياسة الدولة، وليس بالضرورة أن يكون حسن الإدارة مرتبطاً بالنصر العسكري؛ لأن هذا هو تفكير الطائرين الذين يبحثون عن انتصارات آنية، أما الإمام الحسن (عليه السلام) فكان يفكر في الحفاظ على الإنسان، وعلى ديمومة الدين واستمراره، والمواجهة العسكرية بظرفها الزمني وظروفها الموضوعية لم تكن ملائمة؛ لذلك لجأ إلى إجراءات بديلة لتخفيف الضرر، وهذا يناقض ما دأب رواة السلطة على تكراره من عدم قدرة الإمام الحسن (عليه السلام) على إدارة الأزمة.

وربط بعضهم عدم قدرته هذه بميله للنساء، وأنه كان يتزوج ويطلق ولا هم له إلا ملذاته الشخصية، فقيل إنه تزوج تسعين امرأة^(٦٠)، وقيل مائتين وخمسين^(٦١)، وقيل غير ذلك، ثم أضافوا روايات أخرى نسبوها إلى الإمام علي (عليه السلام)، مفادها أنه حذر أهل الكوفة من تزويج الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لأنه مطلق^(٦٢)، وهذا اختصار لما ذكر في المصادر من ولع الإمام الحسن (عليه السلام) بالنساء.

لا يخفى أن تاريخ المسلمين في الغالب كتب بأقلام قريبة للسلطة، حاولت بقدر ما تستطيع إيجاد مبررات لحكم معاوية وأشباهه، وليس هناك أفضل من تشويه صورة الإمام الحسن (عليه السلام) لتمرير ما أرادوه، ولو تركنا جانباً العصمة والخلق العظيم الذي انماز به آل البيت (عليهم السلام)، وكون الإمام قد نهل من أخلاق جده وتربى في حجر أبيه، وناقشنا القضية وفق الواقع التاريخي لتلك الحقبة الزمنية، نجد أن هذه الروايات تقع ضمن نسق روائي هدفه التجني والافتراء، وإتهام الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه صاحب شخصية فوضوية لا يهتم بعواقب الأمور.

لم يذكر الرواة أسماء النساء اللائي خطبهن أو تزوج بهن، وأسماء القبائل التي يتيمين لها، ولم يثبت للإمام الحسن (عليه السلام) إلا عدد قليل من الزوجات، قيل: (عشر نسوة)^(٦٣)، وقيل (ثمان من النساء قد تزوج)^(٦٤)، وهذا العدد مبالغ به أيضاً والذي يبدو أن هناك أهدافاً خفية غير إسقاط صورة الإمام الحسن (عليه السلام)، تتعداه لتصل إلى شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم لم يستطيعوا اتهام الرسول مباشرة؛ فلجأوا إلى سبطه واتهموه بالشهوانية المفرطة، وأنه ورث

هذه الصفات من جده، وهذا غير مستبعد على رواة بني أمية، وكيفيك أن تطالع الكتب التي اهتمت بالحديث النبوي لتجد مصاديق كثيرة جداً لهذا الأمر.

والغريب في الأمر أن معاوية على الرغم من عدائه الشديد لآل البيت (عليهم السلام)، وحربه العلنة عليهم لم يتطرق لهذه الأمور، فلم نجده يذكر في مراسلاته معه شيئاً مما ذكرته الروايات المتقدمة، وهو من كان يبحث جاهداً عسى أن يجد عثرة للإمام الحسن (عليه السلام) لكنه لم يجد، وجل ما كان يستند عليه، صغر سن الإمام (عليه السلام) وقلة تجربته في الحكم.

إذاً كل هذا الكم الروائي الذي أنتج في العهد الأموي وبعده العباسي، وما أنتجته المؤسسة الإعلامية لمعاوية في حربه مع الإمام الحسن (عليه السلام)؛ كان هدفه إظهار الإمام بمظهر الضعف، وعدم القدرة على إدارة شؤون المسلمين، وضبط أوضاع البلاد الداخلية والخارجية، لذلك سلم شؤون البلاد لمعاوية، ولم يكن بمقدوره خوض الحرب ضده؛ لأنه ضعيف الشخصية، وسوقوا الروايات لا أصل لها لتمرير هذا الهدف، منها على سبيل المثال لا الحصر رواية الزهري التي نقلها الطبري^(٦٥): ((واستخلف أهل العراق الحسن بن علي (عليه السلام) على الخلافة، وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه، فنزعه وأمر عبد الله بن عباس، فلما علم عبد الله بن عباس بالذي يريد الحسن (عليه السلام) أن يأخذه لنفسه، كتب إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها فشرط ذلك له معاوية))، ورواية البلاذري^(٦٦): ((فخطب الناس فقال: إني أرجو أن أكون أنصح خلفٍ لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة ولا حقداً ولا مريد به غائلة ولا سوءاً، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظركم خير من نظركم لأنفسكم فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية، وضعف وخار))، لقد كان هؤلاء يدورون في فلك البلاط والسلطة، فالأول كان عاملاً في بلاط الأمويين، والثاني في بلاط العباسيين^(٦٧).

لقد حرف هؤلاء خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) ونقلوه من خطاب الحاكم المثال الذي رفق بالأمة وحفظ دمائها، إلى المستسلم الضعيف الذي لا يملك قراراً، وليس لديه القدرة على

المواجهة، فرفعوا معاوية وأعطوه مكانة لا يستحقها، فلمعوا صورته وشرعنوا انتزاعه على حكم المسلمين، وبذلك حققوا الأهداف التي كان يتغياها البلاط، إذ قلبوا مبادئ الاسلام رأساً على عقب وجعلوا البغاة أصحاب حق وحكاماً شرعيين، ثم حاولوا تبرير التخاذل والاستكانة التي منيت بها الأمة، والخianات التي أقدم عليها القادة والزعماء، وذلك بعدما عصبوا كل ما حدث برأس الإمام الحسن (عليه السلام)، فحققوا هدفين: الأول: إزاحة آل البيت عن منزلتهم الحقيقية، والثاني: ثبوتوا شرعية حكم الأمويين والعباسيين، فاستحال الصراع بين الحق والباطل بين الإسلام والجاهلية، صراعاً بين أُسرتين أو تيارين متساوين في المكانة.

لقد كان خطاب الإمام الحسن واضحاً بيناً لا يحتاج إلى عميق فهم، هو مستعد قولاً وفعلاً لمواجهة الباطل لكن بأي أدوات، وما جدوى نصر عسكري آني، والأمة لا تميز ولا تعرف ما يراد بها، قد تؤدي المواجهة إلى نتائج سلبية أكثر من الصلح، الكل كان يميل إلى نبذ الحرب؛ لأنهم كانوا يظنون بأنفسهم على الموت من أجل الحق، وغير مستعدين للتضحية بأي شيء.

٣٧

معاوية الطليق أصبح ندّاً للإمام الحسن (عليه السلام)، والمؤسسة الإعلامية للأمويين فعلت فعلها وغيرت مفاهيمها، وأموال الشام وصلت إلى جيوب القادة، والمحدثين شرعوا في اختلاق أحاديث لا وجود لها، وبثوها في الأمة لتقبل الأمر الواقع، منها القول الذي نسب للرسول: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين))^(٦٨)، أي أنه وضع الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية في كفة واحدة، وجعل أحدهم نظيراً للآخر!

لم يقتصر تشويه خطاب الإمام الحسن على المدة الزمنية التي شهدت صراعاً بينه وبين معاوية، بل تخطى ذلك ليتحول فيما بعد إلى تجنب فاضح، فاتهم الإمام الحسن (عليه السلام) ببيع الخلافة مقابل الأموال، وحولوا عروض معاوية التي قدمها للإمام الحسن (عليه السلام) لإغرائه من أجل قبول الصلح إلى مطالب للإمام، فبثوا روايات تحدثت عن مجموعة من المطالب، قالوا فيها أن الإمام الحسن (عليه السلام) طلب من معاوية مجموعة من الأمور المادية لنفسه: ((إن الإمام الحسن (عليه السلام) كاتب معاوية وأرسل إليه بشروط، قال: إن اعطيتني هذا فأنا سامع مطيع و عليك أن تفني لي به، ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى

الحسن بصحيفة بيضاء مختوم أسفلها وكتب إليه: إن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك، فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتب إليه يسأله ما فيها، فلما التقى معاوية والحسن، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك، فقال: لك ما كنت كتبت إلي أو لا تسألني أن أعطيكه، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك، قال الحسن: وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه، فاختلفا في ذلك فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً^(٦٩)، وهذا أمر مناقض تماماً للواقع إذ لو كان الإمام الحسن عليه السلام يريد المال لاحتفظ بالحكم، وعنده خزائن الكوفة والمناطق التابعة لها، لكنه اشترط عليه والزمه بأمر تتعلق بالخلافة والعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وحفظ دماء الناس وأموالهم، ومعاوية هو من اشترط على نفسه شروطاً، ووعد وعوداً كثيرة أملاً منه في الوصول للسلطة التي لا يستطيع الحصول عليها مادام الإمام الحسن عليه السلام موجوداً، فهو ما يزال الخليفة الشرعي الذي يبايعه المسلمون، ومعاوية هو القادم لأرض العراق وهو من عليه أن ينفذ ما قد اشترط بنفسه^(٧٠)، وهو من قدم العروض والوعود وأرسل صحيفة موقع عليها إلى الإمام الحسن عليه السلام، وتعهده بالوفاء والالتزام بها، لكن ما قدمته الروايات كان تحريفاً للحقيقة عن مسارها.

إنَّ الهدف الأساس من تشويه خطاب الإمام الحسن، وقلب المواقف بينه وبين معاوية، وإحلال معاوية محله، بمعنى جعل الأخير هو الرحيم بالأمة الحريص على مصالحها، وإظهار الإمام الحسن عليه السلام بصورة الشخص لا تهمه أمور المسلمين، ولا يكثرث بمصير الأمة، والذي سلم رقاب المسلمين للباغي معاوية مقابل كمية من الأموال، هو ضرب للصورة المثال لآل البيت عليهم السلام وبالتالي ضرب صورة الإسلام المحمّدي؛ ليحل محله إسلام آخر يقوم على السيف والغلبة.

لقد كان خطاب الإمام الحسن سواء عند استلامه الخلافة أو بعدها متوازناً لم يتأثر بالظروف والمتغيرات، لأنه كان مستنداً على أحقيته في الحكم، سواء بالوصية أو بالانتخاب؛ ليكون خليفة

على المسلمين، وهذا أمر بين في خطابه: ((إن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركتَه لصالح الأمة وحقن دماءها...، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، وأردت صلاحكم وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر، وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين))^(٧١). بمعنى أنه أراد للأمة أن تختار فأرجع الأمر إليها، بعدما تكاسلت وتثاقلت في الدفاع عن حقها، وسمحت للطلاق بالتحكم بمصائرهما، فكان كأبيه عندما قبل التحكيم مع معاوية وهو يعرف معاوية وتطلعاته، وبالفعل ذاقت الأمة الخانعة وبال أمرها، عندما أسند أمرها لبني أمية فذاقت صنوفاً من العذاب والمآسي، وهذا ليس ضعفًا من الإمام الحسن (عليه السلام) كما حاولت الروايات تصويره.

الهوامش

- ١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٣٦٥.
- ٢- المرجع نفسه، ٣/ ٦١، ابن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، ٣/ ٨٩٥، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ٢٩٥.
- ٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦١، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٩٥.
- ٤- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٩٤.
- ٥- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٢.
- ٦- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٣٧٣-٣٧٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٣٦؛ الأميني، الغدير، ج ٩، ص ٥٣ - ٥٤.
- ٧- الجوهري، السقيفة وفدك، ص ٧٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٢٥٣، الأميني، الغدير، ج ٨، ص ٣٠١.
- ٨- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٦٦.
- ٩- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ١٢٨.
- ١٠- تاريخ المدينة، ج ٤، ص ١٣٠٤، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٤١٨.
- ١١- الفصول المختارة، ص ٢٢٨-٢٢٩.
- ١٢- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ١٤٩.
- ١٣- الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٢.
- ١٤- تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٤٧٤.
- ١٥- ابن حبان، المجروحين، ج ١، ص ٣٤٥-٣٤٦، ابن معين، تاريخ ابن معين، ج ١، ص ٣٣٦، المزي، ج ١٢، ص ٣٢٦، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٥٧٩، الجرجاني، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٣، ص ٤٣٥، المزي، تهذيب الكمال، ج ١٢، ص ٣٢٤.
- ١٦- المفيد، الفصول المختارة، ص ٢٢٨.
- ١٧- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٤٥٠، وروى ابن أعثم الكوفي الرواية نفسها لكن بلفظ آخر، ينظر: كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.
- ١٨- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٣.
- ١٩- المرجع نفسه.
- ٢٠- المفيد، الجمل، ص ١٤٣.
- ٢١- ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، ص ١٧٠.
- ٢٢- ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٦.
- ٢٣- ابن شاذان الأزدی، الإيضاح، ص ٧٩، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٩٧.

- ٢٤- ابن أئثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٤٨٤.
- ٢٥- المنقري، وقعة صفين، ص ٦-٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٥-١٠٦.
- ٢٦- المرجع نفسه، ص ١١٣-١١٤، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٤٠٥.
- ٢٧- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٠٤.
- ٢٨- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٩٩، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤٥.
- ٢٩- المنقري، وقعة صفين، ص ٢٩٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٢٣٣.
- ٣٠- النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٦-٧.
- ٣١- سورة الشورى، الآية ٢٣.
- ٣٢- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٢-٣٣، الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٧٢، المفيد، الإرشاد، ص ١٧٩، الطبرسي، إعلام الوری، ج ١، ص ٤٠٥-٤٠٦، قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٨٨، الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ١٥٥-١٥٦، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص ١٣٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦٨-٢٦٩، المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٤، ص ٤٢٠.
- ٣٣- المفيد، الأمالي، ص ٣٤٩، الطوسي، الأمالي، ص ٦٩١، الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.
- ٣٤- عمرو بن الحمق الخزاعي صحب النبي ﷺ ونزل الكوفة، وشهد مع عليّ (عليه السلام) مشاهدته كلها، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٥، وحفظ عمرو بن الحمق أحاديث عن الرسول ﷺ، وروى عنه جبير بن نفير، ورفاعة بن شداد وغيرهما، وحمل رأسه إلى زياد بن أبيه فبعث به زياد إلى معاوية وكان رأس عمرو بن الحمق الخزاعي أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد سنة خمسين للهجرة، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٧٣.
- ٣٥- المسيب بن نجية بن ربيعة بن رياح الفزاري تابعي، كان رأس قومه، شهد القادسية وفتوح العراق، كان مع علي (عليه السلام) في مشاهدته كلها سكن الكوفة، وكان بطلاً متعبداً ناسكاً، وهو أحد زعماء التوابين الذين خرجوا لأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وشارك مع سليمان بن صرد الخزاعي في معركة عين الورد، وحمل راية التوابين بعد استشهاد سليمان بن صرد، وقاتل حتى استشهاد وحمل رأسه لمروان بن الحكم فنصبه بدمشق. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٣٣٦.
- ٣٦- زياد بن صعصعة التميمي من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) الخلف، وحينما أراد الإمام التوجه إلى معسكر النخيلة حث الناس على الخروج، فقام قيس بن سعد، ومقل بن قيس، وزياد بن صعصعة التميمي فأنبوا الناس ولا موهم وحرصوهم، فقال لهم الإمام (عليه السلام): ((صدقتم رحمكم الله فجزاكم الله خيراً)). ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩.
- ٣٧- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٣؛ المفيد، الإرشاد، ص ١٧٩.
- ٣٨- النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ٢، ص ١٥٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٢، ص ٣٨٠.
- ٣٩- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٨٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٢٧٤.

- ٤٠- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٢، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٤، أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٣، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٥-٣٣.
- ٤١- ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٤.
- ٤٢- سورة يس، الآية ٧٠.
- ٤٣- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٥-٣٦، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٤-٢٨٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٣-٣٤، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٤-٢٩٥.
- ٤٤- المرجع نفسه، ص ٣٦-٣٧، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٥-٢٨٦، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٥-٣٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٥-٢٩٦.
- ٤٥- الإرشاد، ص ١٨٠، ينظر: ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٧٢٠-٧٢١.
- ٤٦- المرجع نفسه.
- ٤٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٩.
- ٤٨- سورة الأنفال، الآية ٤٦.
- ٤٩- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٨.
- ٥٠- المرجع نفسه، ج ١٦، ص ٢٦.
- ٥١- قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٧٤.
- ٥٢- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٤٠، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٦.
- ٥٣- المرجع نفسه، ص ٤١، الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٦٩.
- ٥٤- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٤١-٤٢، المفيد، الإرشاد، ص ١٨١، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٤٢، ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٧٢٣، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٠٣.
- ٥٥- المفيد، الإرشاد، ص ١٨١؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٠٢-٤٠٣، قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٧٥، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٠٠.
- ٥٦- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١١-١٢.
- ٥٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٥٧.
- ٥٨- أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- ٥٩- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٢٦٨، وينظر: باختلاف بعض الألفاظ والكلمات، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٣-١٤، النويري، نهاية الارب، ج ٢٠، ص ٢٢٨.
- ٦٠- ترجمة الإمام الحسن، ص ٦٨.
- ٦١- الحارثي، قوت القلوب، ج ٢، ص ٤١١-٤١٢.
- ٦٢- ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن، ص ٦٨.
- ٦٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٥٢، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٠٥-٣٠٦.

- ٦٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٢.
- ٦٥- تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٥٨.
- ٦٦- جمل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٧٩ - ٢٨٤.
- ٦٧- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٢٩ - ٤٣١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٢٦.
- ٦٨- ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٤، البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٧٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٣.
- ٦٩- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- ٧٠- الكعبي، صورة أصحاب الكساء، ص ٣٤٥.
- ٧١- أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٠، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٩١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

* السقيفة وفدك ، رواية عز الدين بن أبي الحديد
المعتزلي، جمع وتحقيق : محمد هادي الاميني، شركة
الكتبي، بيروت، ١٤١٣هـ.

* الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد (ت :
٤٠٥هـ / ١٠١٤م).

* المستدرک على الصحيحين ، تحقيق : يوسف المرعشي،
دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٦هـ.

* ابن حبان ، أبو حاتم بن حبان بن أحمد التميمي
البستي (ت : ٣٥٤هـ / ٩٦٥م).

* ابن حبان ، المجروحين من المحدثين والضعفاء
والمترولين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الباز،
مكة المكرمة ، (د.ت).

* ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله
(ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)،

* شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢م.

* ابن حنبل، أحمد بن محمد بن أحمد الشيباني (ت :
٢٤١هـ / ٨٥٥م)، مسند أحمد ، دار صادر ، بيروت
(د.ت).

* أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت :
٢٨٢هـ / ٩٠٤م)،

* الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط ١ ، دار
احياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٦٠.

* ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد المغربي (ت :
٨٠٨هـ / ١٢١٧م)،

* العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الأعلمي،
بيروت ، ١٩٧١.

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت :
٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)،

* سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ، ط ٩
، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم
عبد الواحد الشيباني (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣١م).

* الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦.

* الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت :
٦٩٣هـ / ١٢٩٣م).

* كشف الغمة في معرفة الأئمة ، مطبعة النجف
الأشرف، د م ، ١٣٨٥هـ.

* ابن أعثم الكوفي، أحمد بن أعثم الكوفي (ت :
٣١٤هـ / ٩٢٦م)

* ٣- كتاب الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، ط ١ ، دار
الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،
١٤١١هـ.

* البخاري ، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن
إبراهيم بن المغيرة بن برونزية الجعفي (ت :
٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

* صحيح البخاري ، دار الفكر، (د.م)، ١٩٨١م.

* البلاذري، أحمد بن يحيى (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

* جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد باقر
المحمودي ، ط ١ ، دار التعارف للمطبوعات ،
بيروت ، ١٩٧٧.

* الترمذي، محمد بن عيسى (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

* سنن الترمذي، نشر محمد عبدالمحسن ، مطبعة
الفجالة ، القاهرة ، (د.ت).

* الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عدي (ت :
٣٦٥هـ / ٩٧٦م).

* الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق يحيى مختار غزاوي
، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م.

* الجوهري، أحمد بن عبد العزيز (ت : ٢٢٣هـ / ٩٣٤م).

- * السرخسي، أبو بكر محمد بن أبي سهل (ت : ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) ،
* المبسوط ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ .
- * ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت : ٢٣٠هـ / ٩٤١م) ،
* ترجمة الإمام الحسن ، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي، ط ١ ، مؤسسة اهل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث العربي، قم، ١٤١٦هـ .
- * الطبقات الكبرى ، بيروت ، (د.ت).
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ،
* الدر المنثور ، نشر محمد أمين ، بيروت ، (د.ت).
- * ابن شاذان الازدي، الفضل بن شاذان الازدي (ت : ٢٦٠هـ / ٨٧٤م) ،
* الإيضاح ، تحقيق : جلال الدين الحسيني، طهران ، ١٣٥١هـ .
- * ابن شهر آشوب ، مشير الدين محمد بن علي (ت : ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ،
* مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٧٦هـ .
- * - ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد (ت : ٨٥٥هـ / ١٤٦٤م) ،
* الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، حققه وعلق عليه : سامي الغريزي، ط ١ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٢هـ .
- * - الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت : ٣٨١هـ / ٩٩١م) ،
* أمالي الصدوق ، تقديم : محمد مهدي الخراسان ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف، ١٩٧١ .
- * الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي ابن أبي طالب (ت : ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ،
- * الاحتجاج ، تحقيق محمد باقر الخراسان ، دار النعمان ، النجف الأشرف، ١٩٦٦ .
- * إعلام الوري بأعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث العربي، ط ١ ، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧هـ .
- * الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت : ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ،
* تاريخ الأمم والملوك، مراجعة نخبة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، (د.ت).
- * الطوسي، محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) ،
* الأمالي، تحقيق : مؤسسة البعثة ، ط ١ ، دار الثقافة ، قم، ١٤١٤هـ .
- * ابن عبد البر ، أبي محمد يوسف بن عبدالله (ت : ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ،
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- * ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت : ٥٧١هـ / ١١٧٦م) ،
* تاريخ دمشق ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- * ترجمة الإمام الحسن ، تحقيق : محمد باقر المحمودي، ط ١ ، مؤسسة المحمودي، بيروت ، ١٩٨٠ .
- * أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت : ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ،
* مقاتل الطالبين، تقديم كاظم المظفر ، ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ١٩٦٥ .
- * ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ،
* الإمامة والسياسة ، تحقيق : علي شيري ، مطبعة امير ، قم ، ١٤١٣هـ .
- * قطب الدين الراوندي، أبو الحسين بن هبة الله (ت : ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) ،

* الفصول المختارة ، تحقيق : نور الدين جعفران
الاصبھاني، يعقوب الجفري، محسن الأحدي، ط ٢
، دار المفيد ، بيروت ، ١٩٩٣ .

* المنقري، نصر بن مزاحم (ت : ٢١٢هـ / ٨٢٧م)،
* وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،
ط ٢ ، الموسوعة العربية الحديثة ، مصر ، ١٩٦٢ .
* النعمان المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي
(ت : ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)،

* شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق :
محمد حسين الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين ، قم ، (د.ت).

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت :
٧٢٣هـ / ١٣٢٢م)،

* نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد
القومي، مصر ، (د.ت).

* ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت :
١٣هـ / ٨٢٨م)،

* السيرة النبوية، تقديم : طه عبد الرؤوف، مكتبة
الكليات الأزهرية، مصر ، ١٩٧٩ .

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
بن واضح (حيا ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)،

* تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
* أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي
(ت : ٣٠٧هـ / ٩١٩م)،

* مسند أبو يعلى ، تحقيق حسين سليم أسد ، ط ٢ ، دار
المأمون ، (د.م)، ١٩٩٢

ثانياً: المراجع

* الأمين ، محسن
* أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف
، بيروت ، (د.ت).

* الخرائج والجرائح ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي
عليه السلام، محمد باقر الموحّد الابطحي، ط ١ ، المطبعة
العلمية ، قم ، ١٤٠٩هـ.

* المنتقى الهندى، علاء الدين عليّ المتقي بن حسام
الدين (ت : ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)،

* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ط ٢ ، حيدر
آباد الدكن، الهند ، ١٩٦٧م.

* المجلسي، محمد باقر (ت : ١١١١هـ / ١٧٠٠م)،

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار
، تعلّق جواد العلوي، دار الكتب الإسلامية ،
طهران ، ١٣٨٥هـ.

* محب الدين الطبري، أحمد بن عبدالله (ت :
٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)،

* ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مراجعة :
جميل إبراهيم حبيب ، بغداد ، ١٩٨٤ .

* المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت :
٧٤٢هـ / ١٣٤١م)،

* تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط ٤ ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢ .

* ابن معين ، يحيى بن معين بن عون الدوري (ت :
٢٣٣هـ / ٩٤٤م)،

* تاريخ ابن معين ، تحقيق عبدالله أحمد حسين ، دار
اعلم ، بيروت ، (د.ت).

* المفيد ، أبو عبدالله محمد بن النعمان العكري
البغدادى (ت : ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)،

* الإرشاد ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ،
٢٠٠٨ .

* الأمالي، تحقيق : عليّ أكبر الغفاري ، نشر جماعة
المدرسين ، قم ، ١٤٠٣هـ.

* الجمل ، مكتبة الداوري، قم ، (د.ت).

- * الأمين، عبد الحسين أحمد،
* الغدير، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٦.
* الكعبي، شهيد كريم محمد،
* صورة اصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة
الخطاب الإستشراقي هنري لامنس أنموذجاً
دراسة تحليلية نقدية (اطروحة دكتوراه) جامعة
البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٤. نشرها المركز
الإسلامي للدراسات الاستراتيجية التابع للعتبة
العباسية (١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م).
* المرعشي، نور الله الحسيني (ت: ١٤١١هـ)،
* شرح إحقاق الحق، تعليق: شهاب الدين المرعشي،
منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم، (د.ت).

استراتيجيات الخطاب الوظيفي التواصلي
عند الإمام الحسن بن علي عليه السلام



أ.د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري

جامعة بابل / كلية العلوم الاسلامية

أ.د. عدوية عبد الجبار الشرع

جامعة بابل / كلية الآداب

ملخص البحث

انطلقت الفكرة لدراسة استراتيجيات الخطاب الوظيفي التواصلي عند الامام الحسن بن علي عليه السلام من منطلقات استقرت عليها قناعتنا في مقدمتها أن هذا النوع من الخطاب يظهر أثر المتكلم في المتلقي من خلال استعمال المنهج التداولي، والاستلزام الحواري، ليحقق الوظيفة التواصلية، لذا نلاحظ من خلال بعض نماذج خطب الامام الحسن عليه السلام الكلامية والكتابية أن الوظيفة التواصلية تحققت فيها فغيرت معتقدات خاطئة عند المستمعين، من خلال خطبة او الإجابة عن سؤال محير حتى يصل بالمتلقي الى درجة الاقتناع، وهو الهدف الذي يرمي إليه في خطابه .

لذا ارتأينا تقسيم البحث على تمهيد واربعة مطالب وخاتمة، قسمنا المطالب فيه وفق تقسيمات محمود طلحة في كتابة تداولية الخطاب السردى .

فخصصنا التمهيد بالحديث عن الخطاب الوظيفي التواصلي وأثره على المتلقي واران الخطاب (المتكلم ، والمتلقي) ودورهما في تحقق التواصل الوظيفي، والفرق بين الخطاب الكتابي، والخطاب الكلامي ودور المتلقي فيهما.

أما المطالب فكان تقسيمنا لها كالاتي أولا: استراتيجية الخطاب التوضيحي، وثانيا: استراتيجية الخطاب التلميحى، وثالثا : استراتيجية الخطاب التوجيهي، وأخيرا : استراتيجية الخطاب الحجاجي.

Abstract

The idea of studying the strategies of functional communicative discourse in the speeches of Imam Hassan (peace be upon them) based on certain premises that we firmly believe in. At the forefront of these premises is the notion that this type of discourse demonstrates the impact of the speaker on the recipient through the use of dialogical methods and interactive engagement, in order to achieve communicative functionality. Thus, we observe through some examples of the verbal and written speeches of Imam Hassan (peace be upon him) that communicative functionality is realized, as it alters the misconceptions held by the listeners. This is achieved through delivering his sermons or responding to a perplexing question, aiming to persuade the recipient to the point of conviction, which is the objective he sought in his speeches.

Therefore, the research is divided into an introduction, four sections, and a conclusion. The sections are subdivided based on the divisions of Mahmoud Talha in his book 'The Pragmatic of Narrative Discourse'. In the introduction, the researcher discusses the functional communicative discourse and its impact on the recipient, the pillars of discourse (the speaker and the recipient) and their role in achieving functional communication, and the difference between written and spoken discourse and the role of the recipient in both. The first section is entitled 'Explanatory Discourse Strategy' while the second one is entitled 'Allusive Discourse Strategy'. The third section is entitled 'Directive Discourse Strategy' and finally the last section is entitled 'Argumentative Discourse Strategy'.



التمهيد : الخطاب الوظيفي التواصلي وأثره على المتلقي :

إن الخطاب النصي يتكون من مفردات لغوية تترتب مع البعض لتشكيل تركيباً مفهوماً للمتلقي، وكلما كان اختيار المتكلم للمفردات دقيقاً، فضلاً عن اعتناؤه بالروابط التي تربط هذه المفردات فإن الخطاب سيخرج بليغاً ومؤثراً وأكثر وقعاً على المتلقي.

فالأثر الذي يحدثه الخطاب في المتلقي بكل ما يتضمن من دلالة صوتية، وصرفية، وتركيبية (نحوية)، مع تضافر المقام والحال وكل ما يحيط بالنص هو ما يسمى بالوظيفية. أو الدلالة الوظيفية؛ لأن الكلمات معانيها في المعاجم عامة، وبمجرد دخولها في سياق معين ستخصص وتحدد، ويكون تأثيرها أقوى، وتؤدي دوراً أعمق في النص.

إن الخطاب يكون على نوعين: إما كلامياً، أو كتابياً، فأما الخطاب الكلامي، فتكون وظيفته تواصلية آتية يؤديها المتكلم ليعالج أمراً معيناً، أو ليوضح فكرة معينة للمتلقي؛ لذا فإن المتكلم يجب أن يتصف بصفات خاصة كأن يكون على مستوى رفيع من الفصاحة، والبلاغة، والحكمة وذو شخصية مقنعة وحجة قوية؛ ليكون قادراً على إيصال أفكاره إلى المستمعين بشكل مؤثر يقلب فيها الموازين، لا قناعهم فيصل بهم إلى درجة الاقتناع.

أما الخطاب الكتابي فلا يعده البعض من الخطابات المؤثرة على المجموع كما في الخطاب الكلامي؛ لأن التواصل فيه يكون محدوداً، إذ هو يتم بين المرسل والمرسل إليه فقط، لذا يتسم بالمحدودية، ومن ثم بقلّة الانتشار، إذ العملية فيها، هي عملية (تبادل أدلة بين ذات مرسل، وذات مستقبل، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى)^(١)، فيكون تواصلًا مقيداً بينهما.

وهذا النوع من الخطابات الكتابية المقيدة ورد عند الإمام الحسن عليه السلام، إلا أن صفة التقييد لا تنطبق على حواراته؛ لأنه على مستوى واحد من الأهمية والوظيفية التواصلية والانتشار، إذ نلاحظ أن فيه من الأخبار، والأهمية، والتوضيح، ما يجعله خطاباً مؤثراً قائماً وكأنه يتحدث عن الحال الحاضرة لكل شخص؛ إذ هي رسالة عامة للجميع، مما يضفي عليها صفة الكونية. وقد وضع علماء اللغة قوانيناً للخطاب تتضمن مجموعة من القواعد والظواهر التحاورية البديهية المتفق عليها؛ ليتم التواصل بين المتحاورين.

فالخطاب التواصلي يقتضي (جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه ،الذي هو الاشياء والكائنات أو بعبارة اشمل « موضوعات العالم »، ويتطلب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن حتى يتم التواصل والتفاهم على الوجه الاكمل كما اراد له المجتمع اللغوي)^(٢)، إذ لا يمكن التحاور بين طرفين لا يوجد بينهما اشتراك معرفي حول موضوع النقاش، فضلا عن الاشتراك في الثقافة والسنن، والقواعد الخاصة بالاستراتيجية الحوارية؛ ل يتم من خلال هذه المعارف، والامور المشتركة بين المرسل والمرسل اليه ، أو المتكلم والسامع التواصل الحواري ،أو نستطيع أن نقول تتحقق الوظيفة الابلاغية ؛لأن (المستمع او القاريء ينبغي ان يفهم ما يقوله المتكلم أو ما يكتبه الكاتب. فما يريد المتكلم أو الكاتب ايصاله الى الآخرين ينقله عن طريق وضعه في كلمات ويقوم المتلقي بفك رموز الرسالة كاشفا بذلك عن هدف المرسل ومحملا كلماته الى افكار)^(٣)؛ لذا فإن (الاستراتيجيات المستعملة فيها لا يمكن كشفها إلا في ظل هذه القواعد)^(٤).

إن العملية التحوارية تتم بارسال المتكلم للرموز اللغوية وفق القوانين والنظم الموضوعة لها في موضوع معروف ومشارك لدى المتلقي، فيقوم المتلقي بدوره بتفسير هذه الرموز اللغوية برموز اخرى تكون جليلة أكثر منها؛ إذ يزيل الغموض الموجود في النص الحواري؛ ليصل الى الهدف الرئيس من هذه المحاور اللغوية؛ لذا حددت دكتورة نادية رمضان العمليات التي يقوم عليها التواصل الحواري، ووجزتها في محورين، الأول : المحور الاستبدالي، القائم على بناء الرسالة لغويا، من خلال انتقاء المتكلم للكلمات لتناسب مع الغرض المراد، أما المحور الثاني، فهو المحور :النظمي الذي يقوم على نظم الكلمات وفق قواعد اللغة، فيكون جملا صحيحة وقوية السبك ليرسلها الى المتلقي)^(٥).

وهو ما نلمسه بشكل كبير في خطابات الامام الحسن بن (عليه السلام)؛ إذ هي قائمة على المحورين الاستبدالي ، والنظمي.

إن للاستراتيجيات الخطابية خصائصا أربعة^(٦) بها يتم المعنى، وتتحقق الوظيفة التواصلية، وهذه الاستراتيجيات هي :

١- استراتيجية الخطاب التوضيحي

٢- استراتيجية الخطاب التلمحي

٣- استراتيجية الخطاب التوجيهي

٤- استراتيجية الخطاب الحجاجي

وسندرس هذه الاستراتيجيات اجرائيا في خطابات الإمام الحسن عليه السلام، وأول هذه الاستراتيجيات،

هي :

المطلب الأول: استراتيجية الخطاب التوضيحي:

تعدّ استراتيجية الخطاب التوضيحي من الاستراتيجيات الخطابية الخبرية، وهو المصطلح العام الذي تندرج تحته، إذ الغرض منها التوضيح والاعلام في الخبر؛ لأن المتلقي يكون فيها خالي الذهن عن الخبر، وهو ما يسميه البلاغيون العرب بالخبر الابتدائي^(٧)، إلا ان محمود طلحة^(٨)، يميل الى تسميتها بالاستراتيجية التوضيحية؛ لأنه يبين ان الغرض من هذه الاستراتيجية هي توصيل المتلقي الى مرحلة الاقناع، وكأنه يريد أن يقول : إن الحوار التوضيحي عام يندرج تحته الخطاب الاخباري، وأن الحوار التوضيحي اهم منه؛ لأنه يأتي لغرض الاقناع، بقوله: لقد فضلنا هنا تسمية هذه الاستراتيجية بالتوضيحية عوضا عن الاخبارية نظرا الى ان الاخبار لا يمثل الا احدى غايات التوضيح^(٩).

إلا أننا نخالفه الرأي؛ إذ إن الخطاب الاخباري أعمّ من التوضيح، إذ لا يمكن التوضيح قبل الاخبار؛ بل ربما في بعض الخطابات الاخبارية تكون طبيعتها خبرية وتوضيحية في الوقت نفسه، فتزيل الغموض بمجرد الاخبار من دون تكبد عناء التوضيح، فتؤدي الى اقناع المتلقي، وهو ما أقرّ به بعد ذلك، بقوله: (فقد يكون التوضيح ايضا لغرض الاقناع... كما ان الاخبارية تعد قانونا خطابيا ينبغي للمتكلم ادائه، أما التوضيح في نظرنا، فيدخل في سياق التحوارات لاقتضاءات مختلفة ومتعددة)^(١٠)، فاذا كان الخطاب الاخباري قانونا ينبغي للمتكلم أدائه، إذن هو الاصل في الخطابات وهو يعد الخطاب العام الذي تندرج تحته الاستراتيجيات الخطابية. أما التوضيح في نظره فيدخل في سياق التحوارات لاغراض متعددة ومختلفة^(١١)، قائمة

على محورين، الأول: هو أن الوضوح جزء من البيان، فبذلك يكون التوضيح أداة من أدوات الأسلوب اللغوي، والمحور الثاني: يكون في أن سبب اختيار التوضيح في سياق التحوار قائماً على مبدأ التعاون المسبق، وقانون الاخبارية والشمول والملاءمة، وإلا فإن تجاوز هذا المحور يعد خرقاً لهذه المسلمات، إذ إن أهم متطلبات هذه الاستراتيجية، هي جهل المخاطب بالموضوع ليتم الاخبار، والمفردة اللغوية منفردة لا يمكن أن تؤدي مهمة التواصل والتبادل؛ لكن بتضافر هذه المفردات مع البعض وفق نسق لغوي معين ومنظم خاضعاً لقوانين اللغة المعروفة، وضمن أساليب بلاغية، بهذه الأمور تتحدد وظيفة هذه (المفردة، وصلاحياتها للإبلاغ اللغوي)^(١٢)، ومن ذلك كله تبين لنا أن أغلب خطابات الإمام الحسن (عليه السلام) قائمة على الاستراتيجية الاخبارية التي تعتمد على التوضيح ليصل بالمتلقي إلى مرحلة الاقناع، ومن ثم الاقتناع باستعماله سياقات لغوية متعددة؛ ليصل بالمتلقي إلى هذه المرحلة، فمرة يكتفي بالخطاب الاخباري، ومرة يعتمد على الخطاب التوضيحي موظفاً سياقات لغوية موثوقة المصادر؛ لتكون حجة على المتلقي، كالنص القرآني الكريم، فلا يمكن للمتلقي بذلك إلا الخضوع والتسليم لها، والصمت الذي قد يكون بعد الاقتناع أو الصمت من دون أي جدل مع قلب غير مقتنع؛ لكنه لا يملك الحجة القوية. ومن الخطابات الحوارية الاخبارية التوضيحية التي وردت عند الإمام الحسن (عليه السلام) ما قالها في (القدر)، عندما كتب له الحسن بن أبي الحسن البصري كتاباً يخبره فيه باختلافهم بالقدر ويسأله رأيه، ورأي آبائه، فردّ عليه الإمام (عليه السلام) بكتاب قال فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم. وصل إلي كتابك، ولولا ما ذكرت من حيرتك، وحيرة من مضى قبلك، إذا ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يُطع مُكرهاً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يَهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدارهم، بل أمرهم تخيراً، ونهاهم تحذيراً، فإن إئتَمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعلاً، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم، وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة

، ولا جبرا لهم على ما نهاهم عنه، و﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، والسلام على من اتبع الهدى ((١٣).

ذكر الامام عليه السلام في كتابه كل الامور التي اختلفت فيها المذاهب الاسلامية حول مسألة (القدر) وما فيها من الجبر والتخير، ففصل بها بالترتيب عن طريق حوار استجوابي، وهو ما يعرف عند المحدثين بالتواصل الديالوجي، وهو أن يكون التواصل بين المرسل والمرسل إليه عبارة عن تواصل مع شخص واحد على الاقل يكون فيها هو المستقبل في الخطاب التواصلية؛ لأن في (الاتصال النصي المكتوب يبقى الاتصال الديالوجي غالبا محصورا في مشاركين اثنين) (١٤)؛ لذا تسمى اتصالات فردية؛ لأن المرسل يتحاور مع اشخاص مفردين: قلّوا أو كثروا (١٥).

والامام عليه السلام هنا في كتابه الذي اجاب به عن سؤال الحسن البصري كان خطابا كتابيا تواصليا ديالوجيا؛ إذ إن كلامه لم يكن متوجها بحقيقته الى الحسن البصري فقط، بل كان للمذاهب الاسلامية جميعها.

فبدأ عليه السلام بالحديث الاخباري عن ان القدر فيه الخير والشر، وان الله يعلمه، والمنكر لهذه الحقيقة الاخبارية يعد كافرا، فبكلمة (الكفر) التي تعد عقوبة المنكر لحقيقة علم الله ﷻ اثار انتباه المتلقي؛ ليصل به الى فكرة عدم احالة المعاصي الى الله عز وجل، فإن من قال بذلك فقد (فجر)، أي ارتكب المعاصي من دون اكرثا وفسق، وانغمس فيها (١٦)، بقوله: (ومن احال المعاصي على الله فقد فجر)، ويستمر في التواصل الاخباري الحوارية موضحا عن طريق توظيفه للادوات اللغوية، فعّلّ قوله مؤكدا بتوكيد واحد، وكان بالاداة (إن)؛ لان كلامه موجه لمتلق في داخله شك ويطلب الحقيقة، بقوله: (إن الله لم يطع مكرها، ولم يعص مغلوبا، ولم يهمل العباد سدى من المملكة)، ثم وضع باختياره للألفاظ اللغوية المناسبة كل تركيب من تراكيبه النصية بنظم عال الدقة والسبك، فيصل به الى تفنيد فكرة الاجبار والاختيار بأن الله ﷻ أمرهم بتخير، ونهاهم تحذيرا، فاستعمل المتضادات اللغوية ومزجها لتناسب النص المتحاور فيه، وهي فكرة مليئة بالتناقضات والاضداد التي حيرت المسلمين عامة، إلا الذي كان على درجة خاصة، أو منزلة رفيعة عند الله ﷻ؛ ليكون علمه من علم الله تبارك وتعالى، ثم بعد ذلك بسط امامهم

جميع الاحتمالات؛ ليفصل لهم ويقنعهم بحقيقة الامر، بأن الله ﷻ هو الذي (منّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم، وأمرهم ونهاهم لا جبلاهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة)، إذ إن الانسان اذا كان منزها من الذنوب عدّ من جنس الملائكة وهذا غير معقول، ثم اردف قوله ﷺ بحجة نقلية لا يمكن ردها وهي استشهاده بآية كريمة عندما قال (ولا جبرا لهم على ما نهاهم عنه)، و﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، إن تضمنين كلامه ﷺ بالآية الكريمة في نهاية كلامه وكأنه اراد بذلك ان يغلق بابا مفتوحا للنقاش لا يمكن الفصل به إلا الله ﷻ والاولياء الصالحين ﷺ، إذ لا نقاش بعد هذا الدليل ثم ختم قوله بالسلام: (على من اتبع الهدى)، وهو سلام ناسب مضمون الخطاب؛ إذ اقتصر سلامه على من اتبع هدى رب العالمين واخذ به.

نلاحظ من ذلك أن الامام ﷺ رتب كلامه وحججه وفق دواعي القضية، إذ لم يستعمل ادوات الربط اعتباطا؛ بل استعمل قواعد النحو ومفردات اللغة بدقة عالية جدا فكانت متتاليات نصية مترابطة أو كما يسميها محمود طلحة متتاليات توضيحية^(١٧)، وضح من خلالها الصيغ النحوية؛ ليصل الى القصد، فيؤدي وظيفته التواصلية، ومن التراكيب اللغوية والتوضيحية، الجملة الشرطية؛ لأن السؤال يحتاج الى تفصيل وجوابه يكون متشعبا؛ لذا نلاحظ أن الامام الحسن ﷺ استعمل اسلوب الشرط بكثرة وبشكل ملحوظ في كتابه؛ ليحيط بالقضية بكل جوانبها فيتم المعنى الوظيفي والتواصل بشكل تام بعد كسب قيمة حجائية غايتها الاقناع في استعمال الاخبار والتوضيح؛ اذ تعدان غايتين اساسيتين في التحوارات.

ومن كلام الامام الحسن ﷺ الذي تتجسد فيه خطاباته الاخبارية التواصلية، قوله بعد أن طعن اقوام من اهل الكوفة في فصاحته وبلاغته، وقالوا عنه: (إنه عي لا يقوم بحجة)^(١٨)، وبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فدعا ولده الحسن ﷺ، وطلب منه أن يصعد المنبر، ويخطب في الناس، فخطب خطبة بليغة وجيزة ضج المسلمون بسببها بالبكاء، ثم قال ((إيها الناس! اعقلوا عن ربكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ ﷻ ﴿... اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فنحن الذرية من آدم

والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم والسلالة من اسماعيل، وآل من محمد ﷺ. نحن فيكم كالسما المرفوعة، والارض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتون، لا شرقية ولا غربية، التي بورك زيتها النبي اصلها، وعليّ فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، من تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن تخلف عنها فالى النار هوى)) (١٩).

نلاحظ أن الامام الحسن بدأ كلامه بآية كريمة يعرفهم بها مكانتهم الرفيعة عند الله عز وجل، ومن ثم يبدأ بتأويل الآية مع التفاصيل الاخبارية التوضيحية لها، فيقول: (نحن الذرية من آدم والأسرة من نوح والصفوة من ابراهيم والسلالة من اسماعيل وآل من محمد ﷺ)، ثم بعد ذلك بيّن ووضح مكانتهم (أل البيت) ﷺ بين الناس، بقوله: (نحن فيكم كالسما المرفوعة... وعلي فرعها)؛ ليصل بهم الى نتيجة بعد هذا الخطاب الشامل الذي استوفى المعاني والافكار فيقبلونها، وهي (نحن والله ثمرة... ومن تخلف عنها فالى النار هوى)؛ ل يتم بذلك الغرض الوظيفي الحاصل من خطابه الاخباري التوضيحي، ويصل الى غرضه الاساس من الخطاب، وهو اثبات فصاحته وبلاغته كيف لا؟ وهو ربيب الامام علي (عليه السلام)، الذي هو بدوره ربيب القرآن الكريم، فتحقق غرضه من خلال خطابه التوضيحي الشامل والبليغ.

-المطلب الثاني: استراتيجية الخطاب التلمحي:

يدخل الخطاب التلمحي في الدراسات اللغوية الحديثة ضمن ما يسمى بـ (متضمنات القول)، التي تشمل: الافتراض المسبق، والقول المضمر، والاستلزام الحوارية (٢٠)، وهي جميعها تدخل في اطار مفهوم عام يسمى بالتداولية، التي تهتم بدورها بدراسة (الاثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب، ويشمل هذا التداول ضمائر الشخص ومبهات الزمان والمكان، وينظر في الجانب الضمني والتلمحي، والحجاجي للكلام) (٢١)، إذن الخطاب التلمحي يدخل فيه الحجاج فضلا عن التلمحية، فيكون على مستوى عال من الفصاحة والبلاغة؛ لان الخطاب يكون فيه غير مباشر تفسره ادلة، او قرائن سياقية تشير الى المعنى المقصود، وهي تكون إما متقدمة، أو متأخرة، وتسمى في التداولية، بالشروط القبلية التواصلية، فيعدها (فرانسواز أرمينكو) جوهر التداولية (٢٢) فالتداولية تتضمن (دراسة

الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة اساسية وبسرعة استحضر تلك المعرفة^(٢٣).

إن علم اللغة الحديث، أو ما يسمى باللسانيات الذي عني بالتداولية، ولّد مصطلحات جديدة لمفاهيم قديمة معروفة اشبعت بالبحث والدراسة عند علماء اللغة والاصول والبلاغة العرب، بعد ان توصلوا الى اهمية السياق والقرائن للوصول الى المعنى المنشود، فكان استواؤها ونضجها على يد العالم العربي عبد القاهر الجرجاني الذي عني بدراسة المعنى ومعنى المعنى، أو ما يسميه بـ (المعنى الضمني)^(٢٤)، ووصول هذا العالم العربي الجليل لهذه المفاهيم التي فتحت باب امتزاج الدراسات الدلالية مع بقية العلوم المختلفة كان بسبب تبحره في نصوص عالية الفصاحة والبلاغة، والدقة في النظم وهي القرآن الكريم، والتراث العربي (نظمه ونثره).

إن الاحاديث النبوية الشريفة واقوال الامام علي والائمة من ولده ﷺ هي ايضا على مستوى عال من الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير، وجزالة العبارة، وراقيها وتكثيف المعاني مما يجعلها دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وخير دليل على ذلك هو ما بين ايدينا من كلام الامام الحسن ﷺ الذي نلاحظ في خطابه البليغة توفر شروط الخطاب التلميحى منها قوله ﷺ لا صحابه عندما مرّت به بقرة: (هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبينها، ورأس ذنبها ابيض)^(٢٥)، فبعد قوله هذا ذهب اصحابه الى القصاب ؛ ليذبحها ويتأكدوا من قوله، فوجدوا (العجلة) كما وصفها، هنا بدأ الحوار بينه وبين اصحابه بعد تعجبهم من الامر؛ إذ بعلمهم أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فسألوه بعد ان بينوا له سبب تعجبهم من علمه بأمر العجلة، وهو الدليل النقلي في قوله تعالى: (أوليس الله ﷻ يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾، فكيف علمت؟)^(٢٦)، إن سؤال اصحابه له ﷺ، كان بحرف الاستفهام الهمزة الذي يفيد التصديق هنا بعد دخوله على نفي (ليس) على افتراض ان يكون الجواب (بلى)، أو (لا)، إلا إننا نلاحظ أن جواب الامام الحسن ﷺ كان عاما شاملا وجامعا، ولم يتضمن الجواب التصديقي المنشود لهم ؛ بل قال: (ما يعلم المخزون المكنون المجزوم المكتوم، الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، غير محمد ﷺ وذريته ﷺ)^(٢٧)، وجوابه هذا كان بحكم علمه بالامور وهو علم

محمد وآل محمد عليهم السلام، فلم يكن جوابه واضحاً؛ بل كان تلميحياً مفصلاً وغير موجز وفيه من الغموض مما يعد في التداولية والاستلزام الحوارية لكرايس خرقاً لمبدأ الطريقة القائمة على الكلام الواضح والمحدد والموجز الذي يكون بعيداً عن الغموض واللبس^(٢٨).

نلاحظ ان بهذا الخرق قد تمت الوظيفية التواصلية من خلال تحديد العلاقات بين مجموعة المفردات التي مثلت الفكرة خير تمثيل، فكان جوابه ابلغ وافصح مما لو كان واضحاً ومباشراً، إذ التلميح يبعد الكلام عن السطحية والرتابة في التعبير.

ومنها ايضاً قوله عليه السلام عندما اخبر احد رجلين كانا عنده بما تكلم به حديث مع رفيقه الآخر فعجب الرجل من كلام الحسن عليه السلام، كيف عرف؟!، فرد عليه الامام عليه السلام بكلام تلمحي غير مباشر فيه من الغموض والاطناب البليغ، وغير الموجز ليصل بالسامع بحواره التلمحي الى تعريفه بمكانته من خلال مكانة جده وأبيه؛ إذ جعل الجواب متجسداً بهما لمن يفهم القصد، فقال: (إن الله تبارك وتعالى علّم رسوله الحرام والحلال والتنزيل والتأويل، فعلم رسول الله علياً علمه كله)^(٢٩)، فكان فيه خرقاً لاكثر من مبدأ من مبادئ الطريقة، وهي: عدم الایجاز، والوضوح، أي: اكتفى الامام عليه السلام بالتلميح، وعدم التحديد، وهو المبدأ الآخر الذي انتهكه؛ إذ ذكر علم النبي ﷺ، وعلم الامام علي عليه السلام، واكتفى بهما عن ذكر علمه، وترك الباب مفتوحاً لافق المتلقي، للوصول الى أن علم الامام الحسن عليه السلام هو امتداد لعلمهم عليهم السلام، وهي من البدييات. نلاحظ مما سبق ان الخطابات التواصلية بنوعها الملفوظ والمكتوب كان تواصلًا ديلوجيًا، الذي تحدده حالة المرسل إليه، في عملية التواصل بينه وبين المرسل، إذ يكون المرسل إليه (مشاركاً في الاتصال واحداً على الأقل هو المستقبل)^(٣٠)، فضلاً عن كون حواراته كانت تلميحية، وهي ابلغ في الموضوعين، لأن القول (ليس هو دائماً القول تصريحاً، فالنشاط الخطابى يشابك باستمرار بين المقول وغير المقول، وليس اقل فوائد التداولية اعطاء الجمل التضمنية احقية كاملة)^(٣١)، ولأنهما برأى ان موضعهما على مستوى عال من الاهمية، فهما يتعلقان بمكانة الامام وأبيه وجده، وهي مكانة معروفة عند الجميع، فلو افصح ودافع بكلام خبري مباشر لدلّ على جهل المتلقي بمكانتهم السامية، فتكون حجة على الامام عليه السلام واهل البيت بأن



المتلقي لا يعرف مكانتهم، أما اذا كانت حواراته تلميحية، فهذا يدل على أن المتلقي يعلم ومتيقن بمكانتهم عند الله عز وجل فتكون حجة عليه.

-المطلب الثالث: استراتيجية الخطاب التوجيهي:

تتميز الخطابات التوجيهية في اغلبها بأنها تكون بين متكلم ذو سلطة عالية ومتلق اقل منه منزلة . ويكون الخطاب التوجيهي متضمنا اساليب خاصة وادوات تضغط على المتلقي وتوجهه، إما بالابتعاد عن عمل ماض، أو التوجه لعمل مستقبل؛ لذا يجب ان يكون هذا النوع من الخطابات، أو الحوارات واضحا ويتعد عن الغموض ويتجنب التكرار في التواصل بين الطرفين، ومن الاساليب المستعملة في الخطاب التوجيهي، هو الأمر والنهي، والاستفهام، والدعاء، والعرض، والتحضيض، والتمني، والترجي، والنداء.

وهذه الاساليب تقابل عند العرب ما يسمى بالإنشاء الطلبي، والانشاء المقصود منه هو كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته^(٣٢).



إن للخطاب دورا رئيسا في توجيه هذه الاساليب للدخول في حوارات حجاجية لا قناع المتلقي بفكرة معينة، وهو الغرض الاساس الذي يقوم عليه الخطاب التوجيهي^(٣٣)، أو ما يسمى بالاستراتيجية التوضيحية، والقصد منها هو: (استعمال المتحاورين لبعض الافعال الكلامية المندرجة تحت مسمى التوجيهات، وهي استعمالات تختلف باختلاف سياقات اندراجها ومقتضيات قوانين التخاطب بين المتحاورين)^(٣٤).

أن الخطابات التوجيهية هي حوارات ذات وظيفية تواصلية عالية ؛ لأن المتكلم فيها ينتظر من المتلقي استجابة، ورد فعل قولي أو عملي، على توجيهه له، وهو ما نجده متمثلا في كلام الامام الحسن (عليه السلام)، في حثه الناس على المبادرة الى العمل للأخرة بقوله: (اتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطّعات النقمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيعتها، ولا تتوقى مساوئها، غرور حائل، وسناد^(٣٥) مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بأثر، وازدجروا بالنعيم، وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معصما ونصيرا، وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما، وكفى بالجنة ثوابا، وكفى بالنار عقابا ووبالا)^(٣٦).



نلاحظ إن الامام (عليه السلام) استعمل اسلوب الامر في خطابه التوجيهي الذي يكون الكلام فيه لا يقبل الصدق والكذب، كبقية انواع الانشاء الطلبي^(٣٧) ليبين من خلاله للناس منزلته ومكانته الدينية والسياسية بوصفه امام زمانهم، والخليفة بعد الامام علي (عليه السلام)، التي تبيح له ان تكون اوامره حقيقية، ومباشرة من خلال صيغة الامر (افعل) التي تنماز عن بقية صيغ الامر بالصلافة، والشدة والقوة في طلب الفعل؛ إذ وردت هذه الصيغة في كلامه إحدى عشرة مرة، وهي (اتقوا، جدوا، بادروا، اتعظوا، اعتبروا، ازدجروا، انتفعوا) وبصيغة الامر كفى اربع مرات.

إن اختيار الامام الحسن (عليه السلام) لاسلوب الامر في خطابه يكون قد ادى من خلاله الاستراتيجية التوضيحية حتى لا تكون للناس حجة في معاصيهم فتتحقق بعد ذلك الاستراتيجية التوجيهية للخطاب، إذ يعد اسلوب الامر بطبيعته قائما على مبدأ التعاون المفترض بين المتكلم (الامر)، والمستمع (المأمور)، لذا يحتاج للاستجابة بقول أو فعل، وهو ما يناسب نوع الخطاب.

واستعمل أيضا الامام الحسن (عليه السلام) الاستراتيجية التوجيهية في موضع آخر، بقوله: (افعل خمسة اشياء، واذنب ماشئت: لا تأكل رزق الله، واذنب ماشئت

واطلب موضعا لا يراك الله واذنب ماشئت

واخرج من ولاية الله واذنب ماشئت

واذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ماشئت.

واذا دخلك مالك النار فلا تدخل النار واذنب ماشئت^(٣٨)

إذ نلاحظ أنه زواج فيها بين اسلوبين توضيحين، هما النهي والامر، فبدأ حوار المتخيل باسلوب النهي، وكأن شخصا امامه يريد ان يستمر بملذاته، من دون ان يغضب الله عز وجل، وفمثل نهى الامام له رفضا للافعال الخمسة التي ذكرها، ثم امطره بوابل من الاوامر التي تتسم بالتناقض والضدية؛ إذ يأمره أمرا حازما بصيغة مباشرة وشديدة، وهي صيغة (افعل) لاقتراف ذنب، فيوجهه بأن هذا الذنب الذي اباحه له مشروط بما يناسبه من الامور حتى يكون مقبولا، وهي استراتيجية راقية جدا؛ لأنه بها يناغم فيها الطبيعة البشرية في عدم تقبلها للنصح والوامر القسرية، وبالوقت نفسه يغلق امامه جميع المنافذ التي يمكن ان تعلل، أو تبيح

له اقراراف ذنب من أي نوع ، فبدأ قوله:ب(افعل خمسة اشياء واذنب ماشئت)،لو اطلنا النظر في هذه العبارة لتأكد لنا أنه بها يثبت مكانته العظيمة ؛لأنه قالها وهو وثق كل الثقة ويعلم ما يقول، إذ شمل كل ذنوب الدنيا تحت هذه الافعال الخمسة وكأنه يتحدى الآخرين ان يأتوا بفعل سادس ،فاستعمل النهي في بداية خطابه في أكل رزق الله عزوجل بقوله: (لا تأكل رزق الله) ،والمرة الثانية في نهاية الخطاب بقوله: (وإذا دخلك مالك النار فلا تدخل النار) ، إذ بدأ الافعال الخمسة ،وانتهى بأسلوب النهي،وتخلل هذه النواهي في خطابه التوجيهي عشرة أوامر ،وضح بها ووجه خطابه الاستراتيجي بطريقة بليغة جميلة ومشوّقة للمتلقي التي اكتسبها من سلطته الدينية والسياسية المبنية على مبدأ التعاون المتمثل بالناهي أو الأمر (المتكلم) من جهة،والمنهي أو المأمور (المتلقي) من جهة أخرى.

نلاحظ من خطاب الامام عليه السلام، أنه خطاب مرسل الى اشخاص آخرين من دون ان يجيبه هؤلاء وهي تحصل في الخطبة أو المحاضرة ،وتسمى في الدرس اللغوي الحديث بالتواصل المنولوجي^(٣٩)، الذي يكون فيه المتلقي لا دور له في عملية التواصل سوى الاستماع بمعنى انه لا يشارك في الحديث أو يحاور، بل يستمع فقط .

-المطلب الرابع: استراتيجية الخطاب الحجاجي:

يعد الحجاج من عناصر التداولية المهمة الذي يهتم ب(طريقة عرض الحجج، وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا)^(٤٠)، فالحجاج، هو (كل منطوق به موجه الى الغير لفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها)^(٤١)، والخطابات الحجاجية تقوم على ركيزتين مهمتين، هما الاولى، المستمع الذي يتوقف نجاح الخطاب الحجاجي على مدى مناسبته وتقبله له، والركيزة الثانية التقنيات الحجاجية المستعملة، ومدى قدرتها على اقناع المستمع؛ إذ الهدف من الخطاب الحجاجي هو الوصول الى اقناع المتلقي، من خلال تقديمه للحجج المناسبة للسياق، فالحجة (عنصر دلالي متضمن في القول، يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي الى عنصر دلالي آخر، والذي يصيرها حجة... هو السياق، فما يمكن ان يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى لو تعلق الامر بالمحتوى القضوي نفسه، أو

بالحدث نفسه المعبر عنه داخل القول^(٤٢)، وليس بالضرورة ان ينتج عن هذا الحجاج الذي يحاول المتكلم فيه اقناع المستمع ان يحصل عنده اقتناع.

ورد الخطاب الحجاجي عند الامام الحسن (عليه السلام) بشكل واضح وملحوظ بسبب الظروف والمواقف السياسية والفتن التي مرّ بها بعد استشهاد ابيه واقتتال معاوية له، من اجل السلطة، فنراه هنا مثلاً يستعمل الاستراتيجية الحجاجية في علّة ترك القتال ضد معاوية، بقوله: (والله لو قاتلت معاوية لآخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لأن اسأله وأنا عزيز، خير من ان يقتلني وأنا اسيره، أو يمنّ عليّ فيكون سبّة^(٤٣) عليّ بنّي هاشم الى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منا والميت)^(٤٤).

نلاحظ ان الامام الحسن (عليه السلام) وظّف الحجة العقلية والاستدلال الذهني لتحقيق خاصية الاستراتيجية الحجاجية، وهي عدم الاكراه؛ لان المحاور عندما (يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته فإن مطالبتة لا تكتسي صبغة الاكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جراً، الى الاقتناع برأي المحاور)^(٤٥)، فضلاً عن استعماله لظاهرة السلم الحجاجي في اقناع المستمع باسبابه الحقيقية في ترك قتال معاوية الذي استعمل بدوره كل الحيل للحصول على الخلافة وانتزاعها منه، إذ إن غاية الامام (عليه السلام) في خطابه الحجاجي هو بيان سبب ترك القتال ضد معاوية، فرتب الاسباب بعد ذكره أنه كان بين خيارين احلاهما مرّاً، الاول: أن يقاتل معاوية فيغدر به اصحابه خوفاً من القتال، ويسلمونه الى معاوية سلماً ويصبح اسيراً عنده ثم يقتله، ثم يجعله سبّة لاهله ولبنّي هاشم جميعاً، والثاني: ان لا يقاتل معاوية فيحقن الدماء ولا يغدر به ويسلم الى معاوية فيبقى عزيزاً ولا يكون سبّة لاهله ولبنّي هاشم؛ لذا اختار الخيار الثاني، والتمثيل لهذا السلم كالآتي:

عدم قتال الامام (عليه السلام) لمعاوية

لا يسلم الى معاوية

يبقى عزيزاً بين أهله

لا يقتله معاوية

لا يصبح سبّة بعد موته

قتال الامام (عليه السلام) لمعاوية

يسلمه اصحابه الى معاوية غدراً

يصبح اسيراً عند معاوية ويذله

يقتله معاوية

يصبح سبّة بعد موته



نلاحظ من ذلك أن الامام عليه السلام استعمل اسلوب الاقتناع في سلمين حجاجيين كان خيرا بينهما؛ لأنه دفع إليهما دفعا بسبب معاوية واصحابه .

استعمل الامام الحسن عليه السلام الحجاجي ايضا في موضع آخر بين فيه مكانتهم عند الله عز وجل بطريقة بليغة، إذ جعل المتلقي يصل الى هذه النتيجة بنفسه من خلال الحجج المتسلسلة بعلاقة تربيبية معينة تؤدي احدهما الى الاخرى موجهة لموضوع واحد، وذلك بقوله: (إن الله مدينتين، احدهما بالمشرق، والاخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحدة منهما ألف ألف مصراع، وفيها ألف ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف صاحبه، وأنا اعرف جميع اللغات، وما فيهما، وما بينهما، وما عليهما حجة غيري وغير الحسين اخي)^(٦).

نلاحظ أن الحجج التي استعملها المام عليه السلام كانت حججا داخل سلم علاقاته تربيبية متفاوتة القوة؛ إذ بدأ، بقوله: (إن الله مدينتين واحدة بالمشرق والاخرى بالمغرب)، ثم بين أن المدينتين المختلفتين فيهما لغات مختلفة، كثيرة (ألف ألف)، ثم اردفها بحجة أنه على الرغم من هذه اللغات المختلفة الكثيرة في المدينتين التي تدل على سعتهما، إلا أن لا حجة على البشر فيهما غيره وأخيه عليه السلام، ليصل بالمتلقي الى نتيجة الاعتراف بمكانتهم العظيمة عند الله عز وجل التي يجب ان يعرفها الناس جميعا، ويمكن تمثيلها بالجدول الآتي :

علو منزلته مع أخيه

وجود مدينتين عظيمتين في المشرق والمغرب

كل مدينة تضم (ألف ألف) لغة تدل على سعتهما يعرفها جميعا الامام

كل ما المدينتين وفوقهما وبينهما لا يوجد حجة فيها

أنه وأخيه عليه السلام حجة الله عز وجل على أرضه

نلاحظ من الحجج السابقة أن كل واحدة منها حلقة وصل الى الثانية التي بدورها توصل المتلقي الى النتيجة عن طريق التوضيح، والتوجيه، ثم الحجاج الذي يريد المتكلم (الإمام عليه السلام)، أن يصل بالمتلقي الى الاقتناع وهي غايته الاولى بحكم مكانته الدينية والسياسية بين الناس .



الخاتمة

- يعد الخطاب الاستراتيجي التواصلي الوظيفي من الخطابات المهمة التي تترك أثراً على المرسل إليه، لذا فإن له أهمية كبيرة في الخطاب .

- يكون المرسل إليه (السامع) في الخطاب التواصلي الوظيفي على نوعين: الاول لا يشارك فيه المتلقي الحوار مع المرسل ، فقد يكون الخطاب بين المرسل وذاته، أو بينه وبين مرسل إليه لا تأثير له سوى الاستماع، وهو ما تسميه الدراسات اللغوية الحديثة بالتواصل المونولوجي، أما النوع الثاني فيكون المرسل إليه له دور في العملية الخطابية، ويسمى بالتواصل الديالوجي، ويكثر النوع الثاني في الخطابات الكتابية (الكتب والرسائل)، وهو ما لمسناه في خطب وحوارات الامام الحسن بن علي (عليه السلام) .

- يدخل الخطاب التوضيحي ضمن الخطاب الاخباري، إذ يعد الخطاب الاخباري شاملاً وعاماً، فلا يمكن التوضيح قبل الاخبار وهو رأينا الذي شاكسنا فيه رأي محمود طلحة الذي يرى أن الخطاب التوضيحي أعم من الخبري

- استعمل الامام الحسن (عليه السلام) في خطابه الكتابية الدينية، الاستراتيجية التوضيحية ليوحه بها الناس ويبين لهم مكانة الله عز وجل او مكانتهم (أهل البيت) (عليهم السلام).

- وظف الامام الحسن (عليه السلام) الخطاب التواصلي التلمحي في خطابه وحواراته، التي خرق فيها بعض مبادئ الاستلزام الحواري، وهو مبدأ الطريقة .

- تميزت خطابات الامام (عليه السلام) التواصلية التوجيهية بأن غلب عليها اسلوب الامر أكثر من بقية الاساليب ثم النهي وهو ما ناسب مكانته الدينية والسياسية .

- إن للسلم الحجاجي دوراً فعالاً ومؤثراً في خطابات الامام الحسن (عليه السلام)، إذ لجأ إليه في محاولة اقناع المتلقي بأسبابه وتعليل قراراته المصيرية.

الهوامش

- ١- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: د. نادية رمضان النجار: ٢٠٩.
- ٢- اللغة والخطاب: عمر اوكان: ٣٦.
- ٣- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١٠.
- ٤- تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: محمود طلحة: ١٤١.
- ٥- ظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١٠.
- ٦- ظ: تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١٤١.
- ٧- ظ: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني: ١٢٨-١٢٩.
- ٨- ظ: تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١٤١.
- ٩- المصدر نفسه: ١٤١.
- ١٠- المصدر نفسه: ١٤١.
- ١١- ظ: المصدر نفسه: ١٤١.
- ١٢- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١٠.
- ١٣- كلمة الامام الحسن عليه السلام: آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي: ١٨-١٩.
- ١٤- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١١.
- ١٥- ظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١١.
- ١٦- مادة (فجر) لسان العرب: ابن منظور.
- ١٧- ظ: تداولية الخطاب السردى: ١٤٦.
- ١٨- كلمة الامام الحسن عليه السلام: ٣٣.
- ١٩- المصدر نفسه.
- ٢٠- ظ: تداولية الخطاب السردى: ١٤٦.
- ٢١- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: مؤيد آل صوينت: ٢٥.
- ٢٢- ظ: المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو: ٨٤، والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٢٦.
- ٢٣- السيميائية وفلسفة اللغة: ٤٥٥ امبرتو ايكو، و ظ: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٢٦-٢٧.
- ٢٤- ظ: دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني: تح محمود محمد شاكر: ٢٦٣.
- ٢٥- كلمة الامام الحسن عليه السلام: ٢٣.
- ٢٦- المصدر نفسه.
- ٢٧- المصدر نفسه.
- ٢٨- ظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٨١.
- ٢٩- كلمة الامام الحسن عليه السلام: ٢٥.
- ٣٠- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١١.

- ٣١- تداولية الخطاب السردى: ١٤٦.
- ٣٢- ظ: الاساليب الانشائية في النحو العربي: عبد السلام محمد هارون: ١٤-١٥.
- ٣٣- ظ: تداولية الخطاب السردى: ١٥٤.
- ٣٤- المصدر نفسه: ١٥١.
- ٣٥- الناقة الشديدة القوة، ومن الشيء عماده. مادة (سند): لسان العرب
- ٣٦- كلمة الامام الحسن: ١٩٦.
- ٣٧- ظ: أدب الكاتب : ابن قتيبة: ٤.
- ٣٨- كلمة الامام الحسن: ١٩٥.
- ٣٩- ظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٢١١.
- ٤٠- التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة: ٢١
- ٤١- اللسان والميزان او التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن: ٢٢٦، وظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ١٠٤.
- ٤٢- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ١٠٤.
- ٤٣- غير يسب به : مادة سب: لسان العرب
- ٤٤- كلمة الامام الحسن: ٧٩
- ٤٥- في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن: ٣٨.
- ٤٦- كلمة الامام الحسن: ٣٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: د.

نادية رمضان النجار : مؤسسة حورس الدولية:

مصر اسكندرية ط١: ٢٠١٣م

* أدب الكاتب : ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ).

تحقيق محيي الدين عبد الحميد: مطبعة السعادة:

مصر: ط٣: ١٩٥٨.

* الاساليب الانشائية في النحو العربي: عبد السلام

محمد هارون: مكتبة الخانجي: مصر القاهرة: ط٥:

٢٠٠١.

* البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد

الرحمن الميداني: دار القلم، دمشق، الدار الشامية،

بيروت: الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

* تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي

القلم للرافعي : محمود طلحة : عالم الكتب

الحديث : اربد الاردن: ٢٠١٢م

* التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر

الحباشة: الاصدار الاول: ٢٠٠٨م سوريا دمشق.

* الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:

مؤيد آل صوينت: اطروحة دكتوراه: الجامعة

المستنصرية: كلية الآداب : ٢٠٠٩م.

* دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني: تح محمود

محمد شاكر: محمود محمد شاكر أبو فهر: الناشر:

مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة: الطبعة:

الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

* السيميائية وفلسفة اللغة: امبرتو ايكو: تر احمد

الصمعي: المنظمة العربية للترجمة : بيروت: ط١:

٢٠٠٥.

* في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد

الرحمن: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء

المغرب: بيروت لبنان: ط٢: ٢٠٠٠م.

* كلمة الامام الحسن عليه السلام : آية الله الشهيد السيد حسن

الحسيني الشيرازي: دار العلوم للتحقيق والطباعة

والنشر والتوزيع .

* لسان العرب : ابن منظور. جمال الدين ابن منظور:

دار صادر - بيروت: الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

* اللسان والميزان او التكوثر العقلي: د. طه عبد

الرحمن: المركز الثقافي العربي: ط٨: الدار البيضاء:

١٩٩٨م.

* اللغة والخطاب : عمر اوكان: افريقيا الشرق: الدار

البيضاء: ٢٠٠١م

* المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو: تر: سعيد

علوش: مركز الانماء القومي: الرباط: ط١: ١٩٨٦.

الأجوبة الحسان عن أسئلة أمير البيان
دراسة دلالية في حوار الإمام علي مع ابنه الحسن المجتبي (عليه السلام)



أ.د. سليمة جبار غانم

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سليل النبوة السبط الأكبر لرسولنا الاكرم ﷺ، ورث العلم عن جدّه الرسول المصطفى، وأبيه المرتضى، وقد رزقه الله (جلّ في علاه) الفطرة الثاقبة، والفطنة الصائبة، وله عليه السلام من الكلام، والمواعظ والحكم ما لا يسعه مدى، ولا تستوعبه اقلام الباحثين، وسنقف في بحثنا عند أجوبة الإمام الحسن المجتبي عن اسئلة أبيه الإمام علي عليه السلام، ودراسة هذه الأجوبة دلالية وفي محورين: الاول: دلالة الألفاظ، والكشف عن صيغتها، وأثر ذلك في توجيه مفاهيم الأجوبة بما يتناسب و مضامين الاسئلة، وما بين الألفاظ من تعالق دلالي، أما المحور الثاني فسيكون في دلالة التراكيب للاسئلة من جهة، واجوبتها من جهة أخرى وصولاً إلى الترابط الدلالي بينهما، وبيان أثر هذه التراكيب في الكشف عن مقاصد الحوار... وقبل الشروع بالدراسة الدلالية رأينا من المناسب توثيق النص الحواري من مصادره المختلفة، والإشارة إلى التفاوت المحدود بين العلماء الذين نقلوه. إن أجوبة الإمام عليه السلام كانت - كما وصفها العلماء - شاهدة له ببصيرة باصرة، وبديهة حاضرة، ومادة فضل وافرة... نسأله تعالى السداد والتوفيق لما فيه خدمة رسولنا الحبيب وآل بيته الطيبين الطاهرين، الصلاة والسلام عليهم أجمعين. والله من وراء القصد.. والحمد لله رب العالمين.

Abstract

Imam Hassan, the grandson of the Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny), and the son of Imam Ali (P.B.U.H). He inherited knowledge from his grandfather and his father who granted him keen insight, sound judgment, and he (peace be upon him) possessed such eloquence, sermons, and wisdom that cannot be encompassed by any extent, nor can it be absorbed by the pens of researchers. The researcher investigates the answers of Imam Hassan al-Mujtaba to the questions of his father, Imam Ali (peace be upon them), and studies these answers semantically in two axes: The first is the semantics of the words, revealing their formulations, and their effect on directing the concepts of the answers in a manner consistent with the content of the questions, and the semantic interdependence between the words. The second is the semantics of the structures of the questions from one side, and their answers from the other, to reach the semantic coherence between them, and to clarify the effect of these structures in revealing the intentions of the dialogue. The text of the conversation from various sources, before embarking on the semantic analysis, is documented to point out the limited difference between the scholars who narrated it. The Imam's answers (peace be upon him) were - as the scholars described them – an evidence of his keen insight, his present wit, and his abundant source of virtue.

المقدمة

تشكل النصوص المروية من خطب، وأقوال، ومواعظ، وحكم للائمة أهل البيت عليهم السلام إرثا تتمثل فيه قيم الرسالة الإسلامية، ويتجلى فيها الفهم الحقيقي لكتاب الله العظيم القرآن الكريم، وهذا الفهم الذي يؤكد عمق العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم، وقد أثمرت هذه العلاقة حفظاً لآياته المباركة، وقُدرة على تفسيرها ظاهراً وباطناً، فكتاب الله تعالى لا يصل إلى كُنه مقاصده إلا من كان ناشئاً في فيوض الوحي، أو متميلاً له، أو ناهلاً منه، ومن كان لصيقاً وقريباً من بيت النبوة، وتلقى الوحي عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١)، والتأويل: ((ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً أو فعلاً...))^(٢)، ومما لا شك فيه أن من يصل إلى مرتبة فهم كتاب الله، النص القرآني، له من الإيمان، والبيان، والعلم ما يُمكنه من ذلك، فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في تفسير الآية الكريمة السابقة: ((نحن الراسخون في العلم، نحن نعلم تأويله...))^(٣)، والرسوخ في العلم له مظاهر، ودلائل مختلفة، بل يحتاج توفيقاً الهيا لا يتهيأ للناس كلهم، وانما خاصتهم بشروطها وحياتها، كما أن له مقومات ومنطلقات، فالإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام قد أنعم الله عليه إذ كان في حجر الرسول صلى الله عليه وآله قبل الاسلام، وتولى الرسول تربيته، واستخلصه لنفسه^(٤)، وهذه العلاقة آتت أكلها في الفعل والقول والعمل، وفي مجالات الحياة المختلفة الدينية الإيمانية، والجهادية، والسياسية وغيرها، ومن ثمارها (نهج البلاغة): مادة، وأثر، وإبداعاً، وامتدادها يتحدى الزمن، حتى عُدَّ ((آية في الاتقان، والروعة))^(٥)، فكلامه عليه السلام أدنى من كلام الله تعالى، وأعلى من كلام البشر، بلاغة، وبياناً، وصياغة، وإحكاماً، وقد نهل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام من المنهل ذاته، فأهل البيت عليهم السلام لهم أثرهم العظيم في تفسير كتاب الله الكريم، وكشف مبهماتهِ ومغاليق معانيه إذ كانوا لها مفسرين، ومنهم الإمام الحسن المجتبي وهو السبط الأكبر للرسول الأكرم، يقول أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ): ((فأما السيد المُجَبَّب، والحكم المُقَرَّب الحسن بن علي عليه السلام فله من معاني المتصوفة الكلام المُشرق المُرتَّب، والمقام المؤتَّق المُهذَّب.....))^(٦).

إنَّ ما وجهه أمير المؤمنين لابنه الحسن المجتبي (عليه السلام) من أسئلة لها أبعادها العميقة ، كونها نمطا حواريا له مقاصده ، وأهدافه العظيمة ، فهو - اي الحوار - وسيلة لإيصال الأفكار ، والقيم الأخلاقية والإنسانية ، فأهل البيت (عليهم السلام) جميعا سبل الهداية ، ولا نجد لهم خطابا أو حوارا الا وفيه العبرة ، والرشاد والتعليم ، وهذه الوظيفة التعليمية إلى جانب الإرشادية من خصائص كلامهم بمستوياته ومسمياته كلها ولم يكن أمير المؤمنين قاصدا الاسئلة لذاتها ، أو مُستفهِما عنها لجهل - وهو باب مدينة علم الحبيب المصطفى - أو مُختَبِرا الإمام الحسن ليرى ما يقوله فيها ، فلا سئلة تميزت بدقة اختيارها ، ولا تقلَّ أجوبتها عند هذا الوصف ، يقول أبو الحسن عيسى الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) في الإمام الحسن المجتبي : ((كان يجلسُ في مسجد رسول الله ﷺ ، و يجتمع الناس حوله ، فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ، ويقطع حُجَج القائلين ..))^(٧) ، فلا سئلة واجوبتها ، أو مجمل الحوار بين أمير المؤمنين وابنه الحسن (عليه السلام) في معان مختلفة ، تعبر عن أفكار ، ورؤى ، و تتسم بوضوح العبارة ، وعمق الفكرة ، بما يُسهم في إثراء التجربة الإنسانية ، لما فيها من قيم الرسالة الإسلامية ، وشمولية المحتوى ، و ما تقدمه من مفاهيم في الاتجاه الصحيح ، وكأنها - اي الاسئلة واجوبتها - مصابيح يُتَدَي بها من الوهم والظلام ، والمعتقدات الشائبة ، ويجد المتأمل فيها دروسا لبيان حدود ما عُرض منها: إرشادا ، وتوجيها ، وتصويرا ، وتطبيقات ، لمفاهيم الاسئلة والأجوبة معا ، فجاءت بعيدة عن التناقض ، واضحة المقاصد .

ويُعدّ الحوار - بصورة عامة - نوعا من الوسائل التي تتبنى أفكارا نشرها ، فهي ذات أبعاد يزدوج فيها الفكر والسلوك ، والنظرية والتطبيق ، والنص الحواري الذي نحن بصدد دراسته أحد أنماط الحوار ، وله مقصديته وآلياته ، فهو كما تبين يدور بين شخصيتين : (أمير المؤمنين وابنه الحسن المجتبي (عليه السلام)) ، وقبل الشروع في دراسة أجوبة الإمام ، ومعالجتها دلاليا من خلال الكشف عن ألفاظها وتراكيبها وما تحمل من دلالات ، سنقف عندها أولا وبايجاز فالنص الحواري عبارة عن تساؤلات من أمير المؤمنين إلى ابنه الحسن (عليه السلام) وقد تبين لنا - وبحسب ما أحاط به علمنا القاصر - أن المصادر تتفق على هذا الحوار بتفاصيله ، والفاظه ، وعباراته ، مع بعض التفاوت المحدود بين العلماء الذين نقلوه ، زيادة لفظة ما ، أو تصحيف أو

تحريف في عدد قليل جدا من الألفاظ حصرا ، وستتابع هذا النص وبحسب ما ذكره العلماء، مع الإشارة إلى مواطن الاختلاف فيما بينهم ، ويُعدُّ كتاب (تُحَفُّ العقول عن آل الرسول) لابي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّانيّ (من اعلام القرن الرابع الهجري) اقدم مصادرنّا ، ويليه كتاب (حلية الأولياء وطبقات الاصفياء) للحافظ أبي نُعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) ثم كتاب (كشف الغمة في معرفة الائمة) للعلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) وفي كل كتاب من هذه الكتب الثلاثة نجد توطئة أو مدخلا لهذه الاسئلة واجوبتها _ النص الحواري _ وهذا يوثق الحوار ، وكما يأتي :-

_ قال أبو محمد الحراني: ((... وروي عن الإمام السبط التقي ابي محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما ورحمته وبركاته في طوال هذه المعاني في اجوبة عن مسائل سأله عنها أمير المؤمنين ﷺ ... في معان مختلفة))^(٨).

_ قال الحافظ أبو نُعيم الأصفهاني : ((..... ثنا شعبة بن الحجاج عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، قال : سأل علي ابنه الحسن عن أشياء من أمر المروءة))^(٩).

_ قال أبو الحسن الإربلي في الإمام الحسن ﷺ : ((بأنه يستخرج الجواب بفهمه من خزائن علمه ...))^(١٠) ، وعند الموازنة بين الأسئلة وأجوبتها بين هذه الكتب الثلاثة تبين ما يأتي :-
١ _ بلغت الاسئلة في حلية الأولياء لابي نعيم الأصفهاني سبعة وعشرين سؤالاً ، ويتفق معه في العدد نفسه كتاب كشف الغمة للإربلي .^(١١)

٢ _ ورد في كتاب (تحف العقول) للحراني اثنان وثلاثون سؤالاً .^(١٢).

٣ _ تكررت في (تحف العقول) بعض الاسئلة ، مما أسهم في حدوث التفاوت في العدد ، فقد تكرر سؤال (ما الكرم ؟) في موضوعين ، وتكرر سؤال (ما الشرف ؟) مرتين أيضاً ، وتكرر سؤال (ما اللؤم ؟) مرتين ، وتبين كذلك مجيء سؤالين مضمونها واحد ، ولكن يبدو أن تحريفا قد وقع ، والسؤالان هما (ما السّفَه ؟) و (ما السفاه ؟) فهما مشتقان من الجذر نفسه ، ولكنّ بناءهما مختلف (فَعَلَ و فَعَّال) . ونرجح حدوث التحريف بين السؤالين أو اللفظين.^(١٣)

وبعد أن اتضحت بعض مسائل النص الحواري توثيقاً، ومتناً، وعدداً في أسئلته، سنقف عند ألفاظه وتراكيبه والنظر إلى دلالات التعبير سواء أكانت بالألفاظ أم بالتراكيب، وسنقسم الدراسة على محورين، وكما يأتي: -

المحور الاول: دلالات الألفاظ

إن اللغة العربية بمستوياتها اللغوية المتعددة كانت وما زالت مدار عناية العلماء، واللغويين، والفقهاء، والأدباء، كونها وسيلة التواصل المعرفي والعلمي والاجتماعي، فهي أداة التواصل لمختلف المقاصد والاعراض، لذا نجد تفاوتاً في أساليب التعبير، وآلياته وبحسب تلك المقاصد، وما يُقِيمه المتلقي من علاقات بين المفردات أو التراكيب، فتحمل الألفاظ من الطاقة التعبيرية ما يجعلها محورا معنوياً ودالياً ينهض بما يراود إبرازه من الأفكار والآراء، وتعدد دلالات الألفاظ بحسب حقلها الدلالي، فالألفاظ الفعلية لها مدلولها العام كونها تدل على الحدث وزمنه أي أنها متجددة في أحداثها لارتباطها بالزمن الذي يعد من خصائص البنية الفعلية ((وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى (...))^(١٤) ولذلك كانت دلالة الاسم أقوى من الفعل لثبوته، وتجدد الفعل لانه مقيد بزمن . أما الألفاظ ذات الحقل الاسمي تتفاوتت بحسب صيغها، وما انتظمت فيه من أقسام إبنيتها، فدلالة الاسم المفرد تختلف عن المثنى، ودلالات الجموع غيرها في استعمال المفرد، وهكذا ... مع ملاحظة كون الاسم دالاً على الثبوت^(١٥)، ولا يغيب السياق في تلك الاستعمالات، ومن أنماط الأسماء الصفات المشبهة التي تتفاوت في دلالاتها على الثبوت، أما الاحداث التي تتجرد من الزمن فهي نوع آخر من الأسماء يسمى بالمصادر.. ولكل نوع منها قواعده ومسائله، ومما لا شك فيه أن التوظيف لكل لفظة من الألفاظ له أثره في توجيه الدلالة، على مستوى النصوص المختلفة: قرآنية، أو شعرية أو نثرية.. الخ

فالتنوعات الدلالية زمنياً، وإفرداً، وتثنياً، وجمعاً، واحداثاً، وصفات، تحقق وظائفها في مجالات استعمالها، وحسن التوظيف يمنح النص روحاً، لان الألفاظ لم تكن هياكل وصيغاً تشغل مكاناً في العبارة أو التركيب، وانما هي أوعية تحمل دلالات في نفسها من جهة، ومع غيرها من جهة أخرى . وبعد تبعنا النص الحواري وما ورد فيه من الألفاظ، رصدنا الدلالات الآتية التي



سنوزعها على فقرات وبحسب التقسيم الذي تنتمي اليه، وهي كالآتي:-

أ- المصادر :

لا تخفى دلالة المصدر على الحدث الذي لم يقترن بزمان ، والحدث الذي يحققه المصدر تتعدد دلالاته بحسب الصيغ والأبنية ، كالاصوات ، والمبالغة ، والحرفة أو المهنة ، والتقلب والاضطراب ، وغير ذلك ، والأبنية المصدرية منها المصاغ من الفعل الثلاثي المجرد ومنها من المزيد ، ولكل قواعده ومسائله ، وان الكشف عن مكونات النص الحوارى - اي نص - يحتاج الماما بأساسيات اللغة وأساليبها ، لكي يعالج النص من أجل إبراز مزاياه التعبيرية ، ولكل نص هويته ، وغايته ، وفكرته .

إنّ ما تميز به النص الحوارى - الاسئلة و أجوبتها - موضوع بحثنا - تكثيف العبارة ، و وضوحها ، ولسنا نعني بالوضوح السهولة والسطحية ، وانما هو فن القول ، والتعبير والاختيار ، واذا اردنا النظر والتأمل في أجوبة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لا بد أن تسبقها بيان الاسئلة ، فالاجوبة صدى لاسئلتها ، و مفتاحا لاسرارها ، وصولا إلى رؤية دلالية تربطها معا . وقد سبقت الإشارة إلى أن الاسئلة كانت سبعة وعشرين سؤالاً ، وجاءت هي واجوبتها - غالبا - أبنية مصدرية من أفعال ثلاثية مجردة ، وان مسار الاحداث (الأبنية المصدرية) يدل على الاطلاق في الحدث ، فهي لم تقيد جميعها بزمان ، ولا ذات ، ولا عدد ، ولا هيئة ، إذ فالنص الحوارى يمثل قيا معنوية ، وان إطلاق الأحداث (المصادر) وعدم تقيدها يوحى بالعمومية والشمول ، فيفتح أفقها مدى ، وزمانا ، و متلقين ، ويمكن الوقوف عند ثنائية السؤال واجابته من خلال عرض بعض الأمثلة : (١٦)

قال : فما السّماح ؟ قال : البذل في العسر ، واليسر .

قال : فما الجُبْن ؟ قال : الجرأة على الصديق ، والنكول عن العدو .

فالاسئلة أبنية مصدرية ، السؤال الاول عن السماح وهو مصدر على وزن (فَعَال) ، يقال : سَمَحَ يَسْمُحُ سَمَاحاً ، بمعنى جاد وكرم^(١٧) ، وبالمقابل نجد إجابة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تنطلق من المفهوم نفسه : البذل و وزنه (فَعَل) بمعنى الجود والعطاء^(١٨) مبينا و محدد ا هيئة العطاء و مدته أو وقته (في



العسر واليسر) مبالغة في صفة الكرم، وهذا مصدران أيضا على وزن مشترك واحد وهو (فُعْل) فالعسر واليسر أفادا بيان حالة البذل أو الكرم وامعانا في الاتصاف به في كل حين عند العسر وعند اليسر، والمصادر في السؤال واجابته لكل دلالة، وان كانت تشترك المصادر جميعها في دلالة الحدث إلا أن لكل منها دلالة ينفرد بها اعتمادا على المعنى المعجمي، فضلا عن الوزن الصرفي، وما خصّته العربية بدلالات من اوزان الأبنية المصدرية، فالسماح والجبن يدلان على صفة سلوكية نفسية، السماح صفة سلوكية محمودة، وعند تأمل السؤال عن الجُبْن نجده صفة غير محمودة على وزن (فُعْل)، لمن يهاب الإقدام على الأشياء^(١٩)، واجابته لا تختلف مفهومها عنه، فالجُرْأ من الفعل: ((جَرُّوْ جَرَّاءة كشجع شجاعة زنة ومعنى... والاسم الجرأة))^(٢٠) وكما يتضح أن الجبن لا يوافق مفهوم الشجاعة، فإذا كانت الجرأة اسما بمعنى الشجاعة فإنها على الصديق جُبْنَا، وعن العدو نُكُولًا، والنكول من الفعل نَكَلَ عنه نكولا نَكَصَ وجُبْن^(٢١).

وتتوالى الأجوبة على غرار الاسئلة أبنية مصدرية صريحة باستثناء اجابتين وردتا مصدرا مؤولا من (أن والفعل المضارع)، ثم تلتها مصادر صريحة^(٢٢):

قال: فما الشُّح؟ قال: أن ترى ما بين يديك شَرَفًا، وما أنفقتَه تَلَفًا.

فالسؤال بالمصادر الصريحة، والجواب بالمصدر المؤول (أن ترى) بمعنى: رؤية.

قال: فما المجد؟ قال: أن تُعطي في الغُرم، وتغفو عن الجُرم.

فالسؤال بمصدر صريح واجابته بمصدر مؤول (أن تعطي) بمعنى: الإعطاء، ولكننا نجد الإعطاء مشروطا بامرئين: في الغُرم، اي ((ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جنابة منه، أو خيانة.))^(٢٣). وفي العفو عن الجرم، وان بلوغ المجد والمكانة المرموقة لا يتحققان إلا بما يليق بهما، واختيار الإجابة وحسن توظيف المصدرين، أزال وهما قد يقع فيه بعض الناس، حين يظنون أن بلوغ المجد أمر ميسر، وهذا لا يكون كما ظنوا فلا بد من أسباب، وكمالات سلوكية، وتكلف وعناء، ومشقة، وإيثار، وصولا إلى الارتقاء الاخلاقي. ومن المصادر التي وظفها الإمام المجتبي (عليه السلام):

— إتيان على وزن (فِعْلان)، في جوابه عن سؤال ((فما السناء؟ قال: إتيان الجميل...))^(٢٤)

من الفعل أتى : ((... والاتيان يقال للمجيء بالذات ، وبالأمر ، وبالتدبير ، ويقال في الخير وفي الشر))^(٢٥) ، وقد تبين من سياق المصدر الذي ورد مضافاً إلى صفة مشبهة (الجميل) أن الإتيان بهذه الصفة المحموده على وجه الثبوت والدوام ، وكأنها ذات يؤتى بها توضيحاً عملياً لمفهوم السناء (الرفعة) .

وأما المصادر المصاغة من الفعل المزيد فدلالاتها مستمدة مما صيغت منه ، وسنقف عن بعضها في أجوبة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ، فمما ورد مصدراً مُصاغاً من الفعل المزيد بالهمزة ، (أفعل) على (إفعال) :-

_ (إحراز) في جوابه عن سؤال : ((فما اللؤم ؟ قال : إحرازُ المرء نفسه ، وبذلُّه عِرْسُه))^(٢٦) وهو من الفعل المزيد بالهمزة أحرز ((وأحرزُهُ إحرازاً : جعله في حرز ... و أحرزتِ المرأة فرجها : أحصته ..))^(٢٧) فالإحراز الحرز والحفظ ، ولكن النظر في تنمة العبارة يبدو التضاد ، فاللئيم يحفظ نفسه وفي الوقت نفسه لا يصون عِرْسَه ولا يحصنها ، وهذا تصوير بليغ لصفة من صفات اللؤماء .

_ اصطناع : في جوابه (عليه السلام) عن سؤال : ((فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيّة ، و تحمّل الجريّة))^(٢٨) من الفعل المزيد بحرفين الهمزة والتاء (افتعل ، افتعالا) اصطنع اصطناعاً ، ولما كانت الزيادة قد حققت في الفعل (اصطنع) التكلف والمشقة والشدة^(٢٩) فإن ما صيغَ منه يحمل دلالته ، فحسن القيام بأمر العشيّة ، من إعانة وخير ومعروف ، ودفاع عنها ، يحتاج مشقة وشدة ومعاناة ، لذلك جيء بهذا المصدر .

ب _ التضاد في الألفاظ :

يعد التضاد ظاهرة من ظواهر العلاقات الدلالية بين الألفاظ في العربية ، ، والتضاد معروف منذ القدم ، وهو يكون بمجرد ذكر معنى معين يستدعي معنى آخر بالضد منه ، والليل والنهار ، والموت والحياة ، وغير ذلك ، ومصطلح التضاد يراد به لفظان مختلفان يدلان على معنيين متناقضين ، وفي لغتنا العربية علاقة دلالية لفظية هي الأضداد ويراد بها دلالة لفظ واحد على معنيين متناقضين كما في لفظة (المولى) للسيد والعبد ، واللون الأبيض والأسود ، وذكر بعض اللغويين المحدثين

مصطلحات متقاربة لمفهوم التضاد والتباين ، والتخالف ، والتعاكس ، إن العلاقة الضدية بين الألفاظ _ اي أن يؤتى باللفظ ونقيضه بالمعنى _ تخلق عنصراً مؤثراً عند المتلقي بما يسهم في تفعيل دقة التأمل من خلال ما يُنطق من ألفاظ متضادة ، تقف خلف توظيفها اغراض معينة يراد لها البروز والتأكيد^(٣٠) يمنح هذا التضاد اللفظي النص جمالية في التعبير ((ويستوقف المتلقي أمام فكرة النص))^(٣١)، وتوجد ألفاظ في أجوبة الإمام المجتبى (عليه السلام) تعدّ مصاديق لذلك ، وسنقف عند نمط الضدية في الألفاظ دون التراكيب ، ومنها:

_ ((قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا...))^(٣٢) تتجلى الضدية في : الرغبة وضدها الزهادة ، الأمر الذي يؤكد المعنى أو الدلالة عن طريق هذه العلاقة ، فالرغبة تتبين ملامحها وحدودها مع نقيضها الدلالي (الزهادة) وبين اللفظتين بون شاسع أن ترغب بشيء وتزهد بشيء ، ولا يجتمع المتضادان في آن واحد ، ومن هنا يتحقق الغرض من توظيف هذه العلاقة ، ويمكننا أن نصف استعمال التضاد بحالة من الصمت يتخللها صخب ، وهذا الصخب بمثل عنصراً فاعلاً للتخلص من رتابة الصمت أو السكون .

_ ((قال : ما السداد ؟ قال : دفع المنكر بالمعروف))^(٣٣) . فليس أبين لمعنى اللفظة من المجيء بضدها ، وبالأضداد تتضح مفاهيم الألفاظ ، ولا نعني أن أساليب الصياغة الأخرى قاصرة ، ولكن المقصد من ذلك _ فيما نرى _ أن الضد يستثير الذهن ، فالمنكر والمعروف متعاكسان في الدلالة ، والتعبير عن مفهوم السداد في إجابة الامام الحسن (عليه السلام) بهذين اللفظين المتضادين أسهم في إثبات حدود ما سُئل عنه ..

_ ((قال : فما السناء ؟ قال : إتيان الجميل ، وترك القبيح))^(٣٤) . والمراد ب(السناء) الرفعة^(٣٥) ، وقد وردت المتضادات _ إتيان وضده بالمعنى _ ترك ، والجميل بالضد منه _ القبيح . فإجابة الإمام الحسن (عليه السلام) في طرفها الاول (إتيان الجميل) وقد اردفها بالطرف الثاني (ترك القبيح) وهذا التعاكس المعنوي لافت لانتباه السامع أو المتلقي ، فما أن استقرّ في ذهنه معنى منها كالجميل مثلاً ، حتى تفاجأ بلفظة أخرى وهي القبيح وتكرار أكثر من لفظة فيها تضاد يعمل على اتساع ابعاد المعنى ، ونشاط التفكير والتأمل ، مما يعزز رسوخ المعنى بسبب ما أحدثه التضاد من تداعي المعاني



المتضادة ف (إتيان الجميل) تعني (ترك القبيح) .

العدو والصديق وقد سبق ذكر السؤال وجوابه في موضع سابق ((فما الجُبْن ؟ قال : الجرأة على الصديق ، والنكول عن العدو)) والصدية في المعنى جلية في لفظتي العدو والصديق ، اكل منهما معنى يخالف الآخر .

المحور الثاني :-

دلالات التراكيب :

إن العلاقات التي تربط الألفاظ بالجمال او التراكيب تحكم إلى قواعد ، وأسس ، وهذا الاحتكام إلى القواعد لا يلغي مبدأ الاختيار لتكوين دون آخر تحقيقاً لأغراض مقصودة ، والأساليب او التراكيب عموماً التي يعبر بها المنتج أو المتكلم إنما هي إفصاح عن مراده ، فكيف والمنتج للحوار أو النص أمام معصوم ؟!

و البحث في دلالات التركيب في أجوبة الإمام تتحدد على وفق ما جاء فيها من مظاهر تركيبية نحوية ، ويعد أسلوب الاستفهام أسلوباً طاغياً في الحوار وبالاداة (ما) وهي اسم استفهام تأتي نكرة تتضمن معنى الحرف ، اما معناها فهي تعني (اي شيء) ويستفهم بها عما لا يعقل ، و عن صفات العاقل^(٣٦) ، واذا كان الاستفهام ((لطلب الفهم لما ليس مفهوماً ، أو لما هو غامض ، أو لطلب حصول الصورة الذهنية بوساطة ادوات محددة ، ولكن الاستعمال الخاص للاستفهام يُفرغ هذه الأدوات من دلالة الاستفهام إلى دلالات بديلة يعكسها السياق الذي ترد فيه))^(٣٧) ، فالسياق هو من يمنح التركيب أو الجملة دلالة معينة تختلف اذا قيلت في سياق آخر^(٣٨) . وعند البحث في أجوبة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام و ما وُجّه له من اسئلة مما لاشك فيه أنها تحت عنوان الاستفهام ، و جاء الاستفهام بأداة واحدة وهي (ما) التي تصدرت الاسئلة كلها ، و بحسب ما روي من الاسئلة فكانت في الكتب الثلاثة (تحف العقول ، وحلية الاولياء ، وكشف الغمة) لا تتجاوز اثنين وثلاثين سؤالاً ، وقد أشرنا في موضع سابق من البحث إلى تفاصيل في ذلك ، لا نرى مسوغات لذكرها وتكرارها ، وقد جاءت الأجوبة على قدر الاسئلة مع بعض التفصيل بما يوضح



الدلالة ، ويعبر عن رؤية ما .

أما الدلالة فتباين بما تؤديه هذه الأداة من وظيفة ، فلم يكن استفهام الإمام علي عليه السلام بحثاً عن إجابة تغيب عنه ، بل تحولت أسئلته إلى أجوبة في جمل اسمية لها مضمونها المتحقق بفعل أجزائها المترابطة نحويًا ودلاليًا فللتركيب أثره في الدلالة ، ، وسياقها الذي وردت فيه ، فالتركيب هي التي تكشف عن المعاني^(٣٩) ، وصحة الدلالة أو المعنى لا تتحقق إلا بصحة التركيب النحوي ، وهذا لا يعني قطع الصلة بالصيغة الصرفية ، فكل تركيب يؤدي دلالة ما ، وهذه الدلالة ترتبط بأجزائها وتتأثر بها ، فإداة الاستفهام مثلاً عند توظيفها في تركيب ما تنضح أبعاد التركيب الاستفهامي الدلالية بتنظيم الألفاظ ، وحقلها اللغوي^(٤٠) ، وهذا يؤكد جدلية العلاقة بين مستويات اللغة . إن أجوبة الإمام الحسن عليه السلام متوازنة مع نسق الأسئلة ، ونسق الاستفهام الموحد بأداة واحدة لم يوقع الملل والسأم في المتلقي ، وإنما حقق ((مفاجأة ذهن المتلقي بالتشابه نطقاً ، والتباين مغزى))^(٤١) فالتشابه في استعمال أداة الاستفهام التي تصدرت أسئلة أمير المؤمنين عليه السلام جميعها ، والتباين في الدلالة أو الغرض ، ولكل سؤال ، أو استفهام غاية معينة تتبع المستفهم عنه ، ، وهذا استعمال مجازي يخرج عن حدود السؤال التقليدي ، إلى ما هو أبعد مدى في ضوء الاستفهام كونه أسلوباً بما يمنح الحوار عمقا ، و جدوى ، وينأى به عن السطحية ، وهذا كله لا يتحقق بألفاظ مجردة ، و تراكيب محددة ، ما لم توجهها دلالات ، وتبناها رؤى .

إنّ نسق التركيب الاستفهامي تنضوي تحته أغراض متعددة نحو إرساء مفاهيم معينة بواسطة تساؤلات تحقيقاً لتلك الأغراض ، و منها تهذيب النفس ، والإقرار ببعض الحقائق وإبرازها والتأكيد عليها ، والنصح والتوجيه ، أما نسق الأجوبة جميعها فكان مصداقاً واقعياً ، وأخلاقياً ، نابعا من حياة الإمام الزاخرة بالنصح والإرشاد والتقوى ، والحث على الامتثال لأوامر الله سبحانه واجتناب نواهيه ، والاقتداء بالرسول المصطفى ﷺ ، ولغاية سامية هي الارتقاء بالفرد والمجتمع ، فالأهداف لم تكن ضيقة وآنية ، بل كانت شاملة ، تبلورت في حوار السائل والمجيب عليه السلام وبما يعزز مفهوم المستفهم عنه الذي جاء وفي سياقاته ومواضعه كلها متممياً إلى حقل دلالي واحد من المعاني الذهنية ، والفكرية ، والسلوكية التي لا تدرك بالحواس

ـ وهذه المعاني كلها أشياء جاءت الكناية بها بوساطة أداة الاستفهام، (ما)، فالحوار ـ اي حوار ـ إنما هو مهارة في تبادل الكلام، وإيصال رسالة ما إلى المتلقي، وانما النص الحوارى ببنائه بأسلوب الاستفهام، والاستفهام من أوله إلى آخره لا يخرج عن تلك المعاني، المروءة، واللؤم، والكرم، والسماح، والغنى والفقر... الخ ومما يقوي هذا الاستنتاج إن أجوبة الإمام الحسن عليه السلام جاءت معبرة فكريا، ورؤية، عن هذه التساؤلات، وعلى الرغم من كون الاسئلة واجوبتها محددة، ومكثفة، كمّا، وعددا، إلا أنها ثمرة إرثها، ولسنا نغالي عندما نستحضر تساؤلات أمير المؤمنين، عليه السلام، في نهج البلاغة التي منحت ((اللغة هوية استثنائية تنأى بها عن الجمود، والعلمية، والمنطق الصّرف ...))^(٤٢) وإذا كانت تساؤلات أمير المؤمنين مفتوحة لأتبحث عن أجوبة مما يجعل الاستفهام يتحول إلى وجهة جديدة في ضوء الاستفهام^(٤٣) فإن الحوار الذي ندرسه قد شُفع بأجوبة السبط الأكبر وريث النبوة والإمامة... وكلاهما من منبع واحد.

إن التراكيب أو الجمل تتنوع أوصافها بحسب عناصرها، فالجملة الاسمية ما تصدرها اسم، والفعلية تصدرها الفعل، ومما لا شك فيه أن العناصر أو الألفاظ التي تتكون منها التراكيب الاسمية أو الفعلية تؤثر في أحكامها ودلالاتها، وبنائها.

إنّ دراستنا لأجوبة الإمام الحسن عليه السلام دلّيا لم تكن بمعزل عن اسئلتها، وهذا الربط سواء أكان على مستوى الألفاظ أم المفردات أم التراكيب أم الجمل؛ لأنها تشكل معانها لغويا متلاحما من المفردات التي يحكمها النظام النحوي التركيبي^(٤٤) فقد جاءت الأجوبة جميعها جملا اسمية، تتخللها أحيانا جمل فعلية لها محل من الإعراب، من ذلك :-

ـ جوابه عن سؤال ((فما الغنى ؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها وإن قلّ، وانما الغنى غنى النفس))^(٤٥)، نجد جملتين فعليتين، الأولى صلة الاسم الموصول (ما) : بما قسم الله لها. والثانية الجملة الشرطية المتكونة من أداة الشرط (إن) وفعل الشرط .. والجملتان الفعليتان جاءتا لإتمام دلالة التركيب، بتفاصيل تُغني المتلقي، وتُجلي ما استُفهم عنه وهو (الغنى)، وختم الإمام جوابه بأسلوب الحصر أو القصر بـ (إنما) لتوكيد مفهوم (الغنى)

بأنه غنى النفس .

ـ جوابه عن سؤال ((فما العقل ؟ قال: حِفْظُ القلبِ كُلِّما استوعبته))^(٤٦) فقد وردت الجملة الفعلية (استوعبته) وفيها إحالة بالضمير المتصل الهاء العائد على القلب ، وهذا عنصر ربط التركيب ، ويبدو الترابط جليا بين ما سئل عنه ، وما أُجيب به ، فالعقل حِفْظُ القلب ، وإذا كان ((العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة عقل ..))^(٤٧) فإن القلب يُعَبَّرُ به ((عن المعاني التي تختص به عن الروح ، والعلم ، والشجاعة ، وغير ذلك .))^(٤٨) والقلب أيضا ((يُطَلَق على النفس الناطقة ، والروح ، والعقل ، والعلم ، والفهم مجازا ؛ لتعلقها به ، وأُسْتَعِير لمحض كل شيء ولُبَّابه ، ووسطه))^(٤٩) ، وبذلك فإن حفظ القلب إمارة لحفظ العقل وتحقيقه ، ومن الجدير بالذكر أن الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه الكريم: ((لمن كان له قلب))^(٥٠) ومن العلماء والمفسرين من اشار إلى أن (القلب) في الآية الكريمة بمعنى العقل والعلم والفهم ، لان الغافل في حكم عديم القلب ، فضلا عن كون ذا القلب الذكي الفطن يستخرج المعاني ويتدبرها^(٥١) .

الخاتمة ونتائج البحث

– يمثل الحوار – على قصره – باسئلته واجوبته نصا ابداعيا مُتوقَّعا بالنظر إلى منابع المعرفة ،
والصلة بالنبوة ممثلة بالرسول الكريم ﷺ لطرفي الحوار السيدين الهاشميين الإمامين (عليه السلام) .

– أن دراسة الاسئلة واجوبتها دلاليا وعلى محوري : الألفاظ ، والتراكيب تؤكد حقايق لغوية
دلالية وُظِّفت بقصدية ، فجاءت مترابطة ، بعيدة عن التكلف ، والاغراق في التفصيل ، وهذا
التكثيف منحها عمقا ، وصدقا ، وبعدا علميا وانسانيا صالحا لكل زمان ومكان .

– تبين في البحث في محور دلالات الألفاظ شيوع استعمال المصدر في الأسئلة ، ودقة تعبيره
عن مقتضى كل سؤال ومطلبه ، فجاءت الاسئلة متصدرة بأداة الاستفهام (ما) يتبعها المصدر
الذي هو المُستفهم عنه فقط وبايجاز ، ومن جانب آخر وجدنا أجوبة الإمام الحسن (عليه السلام) موجزة
أيضا ، و موضحة بعض متعلقات كل سؤال .

– وظف الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في بعض اجوبته ألفاظا تحقق فيها التضاد الذي أحدث
فاعلية مع النص تجعل المتلقي متأملا فكرة العبارة أو الجواب .

– عند بحثنا في محور دلالة التراكيب وقفنا عند اسلوب الاستفهام ، مع الكشف عن
توظيف أداة واحدة فيه وهي (ما) وبيان أغراضه ، وقد كانت أجوبة الإمام الحسن (عليه السلام) جملا
اسمية تتطابق مع دلالة الثبوت ، تتبعها احيانا جمل فعلية تتعلق بالتراكيب موصولة أو شرطا
وغير ذلك .

الهوامش

- ١_ آل عمران ٧.
- ٢_ مفردات ألفاظ القرآن ٩٩ (أول).
- ٣_ الجديد في تفسير القرآن المجيد ١٤/٢.
- ٤_ ينظر: تاريخ الطبري ٢/ ٢١٣.
- ٥_ علي سلطة الحق ٤٥.
- ٦_ حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ٣٥/٢.
- ٧_ كشف الغمة ١/ ٥٠٩، وينظر: الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وتفسيره للقران ١٣، والحسن المجتبى (عليه السلام) / للمؤلف حسين الشاكري ١١- ١٢، وأدعية أهل البيت: دراسة في تحليل الخطاب ٣٠٢- ٣١٣.
- ٨_ تحف العقول ١٦٠.
- ٩_ حلية الأولياء ٢/ ٣٥- ٣٦.
- ١٠_ كشف الغمة ١/ ٥١١.
- ١١_ ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٣٥، وكشف الغمة ١/ ٥٠٩.
- ١٢_ ينظر: تحف العقول ١٦٠- ١٦١.
- ١٣_ ينظر: المصادر نفسها في هامشي ١١ و ١٢.
- ١٤_ دلائل الاعجاز ١٣٣- ١٣٤.
- ١٥_ ينظر المصادر نفسه.
- ١٦_ ينظر: تحف العقول ١٦٩- ١٦١، و حلية الأولياء ٢/ ٣٥- ٣٦، وكشف الغمة ١/ ٥٣١.
- ١٧_ ينظر: القاموس المحيط ٢١٨ (سمح).
- ١٨_ ينظر: المصدر نفسه ٨٨٨ (بذل).
- ١٩_ ينظر: المصدر نفسه ١٠٢٩ (جين)، و المصدر في نهج البلاغة ٥٢.
- ٢٠_ الطراز الأول ١/ ٤٣ (جرأ).
- ٢١_ ينظر: القاموس المحيط ٩٨٢ (نكل).
- ٢٢_ ينظر: تحف العقول ١٦٠، و حلية الأولياء ٢/ ٣٦، وكشف الغمة ١/ ٥٣١.
- ٢٣_ مفردات ألفاظ القرآن ٦٠٦ (غرم).
- ٢٤_ حلية الأولياء ٢/ ٣٦.
- ٢٥_ مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٠ (أتى).
- ٢٦_ حلية الأولياء ٢/ ٣٥.
- ٢٧_ الطراز الأول ١٠/ ١٤٢- ١٤٣ (حرز).
- ٢٨_ تحف العقول ١٦٠، وكشف الغمة ١/ ٥٣٢.
- ٢٩_ ينظر: اكتشاف الضرب ٢/ ٤٩٥.

- ٣٠_ ينظر : علم الدلالة (جون لاين) ٩٥ ، و البلاغة العربية قراءة أخرى ٣٤٩-٣٥٩ ، و ظاهرة التضاد في اللغة العربية (بحث) ٣-٢ .
- ٣١_ المستويات الجمالية في نهج البلاغة ٧٤ .
- ٣٢_ حلية الأولياء ٣٦ / ٢ ، و كشف الغمة ١ / ٥٣٢ .
- ٣٣_ المصدرين نفسهما .
- ٣٤_ كشف الغمة ١ / ٥٣٢ .
- ٣٥_ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ٤٢٩ (سنا) .
- ٣٦_ ينظر : معاني الحروف ٥٩ ، و مغني اللبيب ١ / ٣٩٢-٣٩٣ ، والنحو والدلالة ١٨٣-٢٨٤ .
- ٣٧_ جدلية الأفراد والتركيب ١٩٤ .
- ٣٨_ ينظر : الدلالة والنحو ١٤٤ .
- ٣٩_ ينظر : شرح الكافية ١ / ١٥٥ .
- ٤٠_ ينظر : النحو والدلالة ٧٣ ، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٣-٢٤ .
- ٤١_ البناء الفني في شعر المهذلين ٣٣٢-٣٣٣ .
- ٤٢_ المستويات الجمالية في نهج البلاغة ١٥٢ .
- ٤٣_ ينظر : المصدر نفسه ١٥٣ .
- ٤٤_ ينظر : النحو والدلالة ٢١٠ .
- ٤٥_ حلية الأولياء ٣٦ / ٢ .
- ٤٦_ المصدر نفسه ، و ينظر : كشف الغمة ١ (٥٣٢) .
- ٤٧_ مفردات ألفاظ القرآن ٥٧٧ (عقل) .
- ٤٨_ المصدر نفسه ٦٨١ (قلب) .
- ٤٩_ الطراز الأول ٢ / ٤٠٨ (قلب) .
- ٥٠_ سورة ق ٣٧ .
- ٥١_ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ٦٨١-٦٨٢ (قلب) ، و تفسير غرائب القرآن ٦ / ١٧٩-١٨٠ ، والطراز الاول ٢ / ٤١١-٤١٢ .

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة

* القرآن الكريم.

* أدعية أهل البيت: دراسة في تحليل الخطاب / د.

عباس عبد السادة ، دار الولاية ، بيروت ، ط / ١

٢٠٢١

* ارتشاف الضرب من لسان العرب (ابو حيان

الاندلسي) (ت هـ) تحقيق د. رجب عثمان محمد ،

ط / ١ مكتبة الخانجي - مصر ١٩٩٨

* الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وتفسيره للقران الكريم:

دراسة تحليلية / د. عبد الحكي عبد النبي العبادي

_ الرافد للمطبوعات - بغداد ، ط / ١ ٢٠٢٢

* البلاغة العربية قراءة أخرى / محمد عبد المطلب ،

الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط / ١

١٩٩٧ .

* البناء الفني في شعر الهذليين / اياد عبد المجيد

ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ،

ط / ١ ١٩٩٧ م .

* تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) / الطبري

(ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،

دار المعارف بمصر ، ط / ٢ ١٩٦٧ .

* التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة.... / د.

محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة

، ط / ٢ - ٢٠١١ .

* تحف العقول عن آل الرسول / ابو محمد الحسن بن

علي بن شعبة الحرّاني (من اعلام القرن الرابع)

، قدمه وعلق عليه محمد حسين الاعلامي ،

منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ،

بيروت - لبنان ، ط / ١٩٩٦ .

* جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي / محمد

عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية

العالمية للنشر ، لونجمان ، ط / ١ ، ١٩٩٥ .

* الجديد في تفسير القرآن المجيد / الحجة الشيخ محمد

السبزواري ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ،

لبنان ، ط / ١ - ١٩٨٢

* الحسن المجتبي عليه السلام / حسين الشاكري ، موسوعة

العترة ، نشر الهادي ، قم ط / ١ ١٤١٥ هـ .

* حلية الأولياء وطبقات الاصفياء / ابو نعيم

الأصفهاني (ت ٤٣٩ هـ) مكتبة الخانجي ،

القاهرة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٠ .

* دلائل الاعجاز / عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)

تح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة

، دار المدني بجدة - ط / ٣ - ٢٩٩٣ .

* شرح الكافية / لابن مالك (٦٧٢ هـ) تح د. عبد

المنعم احمد هريدي ، دار المأمون للتراث ، ١٩٨٢ .

* الطراز الأول لما عليه من لغة العرب المعول / ابن

معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) تحقيق مؤسسة آل

البيت عليه السلام لإحياء التراث ، مشهد ، ط / ١ ١٤٢٦ هـ)

* علم الدلالة / جون لاينز ، ترجمة مجيد الناشطة وآخرين

، مطبعة جامعة البصرة - كلية الآداب ، ١٩٨٠ .

* علي بن ابي طالب عليه السلام سلطة الحق / عزيز السيد

جاسم ، تح صادق جعفر الروازق ، دار الغدير

للطباعة والنشر والتوزيع ، إيران ، قم المقدسة ،

ط / ١ - ٢٠٠٧ .

* القاموس المحيط / الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)

اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار

احياء التراث ، بيروت ، ط / ٢ ، ٢٠٠٣ .

* كشف الغمة في معرفة الاثمة / لابي الحسن علي بن

عيسى الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) قدم له السيد احمد

الحسيني ، منشورات الشريف الرضي ، ط / ١ ،

١٤٢١ هـ

* المستويات الجمالية في نهج البلاغة..... / د. نوفل

* مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) تح صفوان عدنان داوودي ، انتشارات ذوي القربى _ قم _ ط / ٤ ، ١٤٢٥ هـ .
* النحو والدلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي / د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب _ القاهرة ، ٢٠٩٦ .

ثانيا : البحوث

* ظاهرة التضاد في اللغة العربية وأثرها في المعنى : دراسة اخصائية في معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) (بحث) م افيان رمضان سليفاني ، مجلة الفنون والآداب ... العدد (٥٠) مايس ٢٠٢٠ . تصدر عن كلية الامارات التربوية .

ابورغيف ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط / ١ - ٢٠٠٨ .

* المصدر في نهج البلاغة : دراسة في البنية والدلالة / د. وسام جمعة المالكي ، دار الولاء ، بيروت ، ٢٠١٩ .

* معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي ، ط / ١ جامعة الكويت ، كلية الآداب ، ١٩٨١ .
* معاني الحروف / للرماني (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق عرفات حسونه ، المكتبة العصرية ، بيروت (د . ت) .

* مغني اللبيب / ابن هشام الانصاري (٧٦١ هـ) حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، الناشر : سيد الشهداء ، قم ط / ٥ ، ١٣٧٨ .

المرتكزات الشعرية - الجمالية

في مراقبي المجتبى عليه السلام



أ.د. كريمة نوماس محمد المدني

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

تمثل المرتكزات الشعرية من سمات القصائد الشعرية الحداثيّة -الابداعية كونها تعد ايقونات علاماتيّة كاشفة عن رؤى الشعراء ووعيهم الجمالي في تشكيل قصائدهم المرتكزة على استلهاهم التراث والاتكاء على الموروث الثقافي وتوظيف الصور الشعرية المدهشة وتكثيف الدلالات النصية لمعانيها والاسنادات المبالغية ذات البراعة الانزياحية والمهارة في صنع التشكيل الايقاعي والمونطاجي ، وقد جاءت هذه الدراسة كاشفة عن اهم المرتكزات الشعرية لهذه القصائد التي عرضت لشخصية الامام الحسن عليه السلام وتمثلت الدراسة بثلاثة محاور ، في المحور الأول تمت دراسة جمالية المونطاج الشعري بأنواعه المختلفة ، اما المحور الثاني فتمثل بقراءة شعرية التساؤل وعمقها التأويلي ، اما محور التكثيف الایحائي فختمت به الدراسة مع خاتمة توجز نتائج البحث .

Abstract

Poetic pillars are among the characteristics of modern creative poems, as they are iconic signs that reveal the poets' visions and aesthetic awareness in shaping their poems which based on the inspiration of heritage, reliance on cultural heritage, employing marvelous poetic images, and the skillful enrichment of textual connotations to convey profound meanings, and the unexpected attributions marked by ingenious displacement and mastery of rhythmic and structures formation. This study revealed the most important poetic foundations of these poems that presented the personality of Imam Hassan (peace be upon him). There are three sections where the aesthetics of poetic montage and its various types are tackled in the first section and the second section is represented by a study in interrogative style and its profound interpretive depth. As for the third section, it represents the conclusion of the study; the focus is on implicit enrichment and to be followed by a summary conclusion of the research findings.

المبحث الأول :

التشكيل البصري - والمونتاج الشعري

إن مصطلح المونتاج الشعري مصطلح نقدي معاصر يرافق تقنيات القصيدة الشعرية المعاصرة، وهو فكرة مقتبسة من المونتاج السينمائي، لتغدو القصيدة المعاصرة مشابهة في هندسة إيقاعها وصراعها ودراميتها للمونتاج السينمائي الدرامي، وقد أشار أحد الباحثين المعاصرين إلى هذه الفكرة بقوله: ((إن تركيب المفردات في اللغة يماثل تركيب اللقطات في الفيلم على أسس بنويّة واحدة... ومن هنا يمكن تعريف المونتاج بأنه: فن صياغة وتركيب وترتيب الصور، اللقطات في تسلسل فني لتؤدي دلالة بصرية ذات مغزي فكري وفني يجسد مضمون النصّ المراد تصويره للمتلقّي، المشاهد)).^(١)

وهذا أمرٌ يمتنّ العلاقة بين النصّ الشعري وقارئه عبر هذه التقنيات البصرية المونتاجية في تحريك الحدث الشعري وتصويره كمشاهد بانورامية تدل على حدة الصراع والتوتر في تصعيد الفعل الشعري للمشاهد^(٢)

وقد تنوعت مشاهد اللقطات المونتاجية في شعر هؤلاء الشعراء فوجد منها المونتاج الحدثي التراكمي والمونتاج الومضي.

أولاً: المونتاج التراكمي

ويُقصد به المونتاج المبني على تقنية التراكم إذ يقوم الشاعر بتراكم اللقطات بشكل مكثف بدفعة واحدة؛ دلالة على أهمية الحدث، ومحفزاته البصرية ومسبباته الشعورية للقطعة لا تكاد تنتهي^(٣) ونجد أمثلة ذلك كثير في مراقي المجتبى منها قصيدة للشاعر ناصر الزين من البحرين^(٤)

ما ان أطلت في الرؤى مرآته رسمته في كل الجهات جهاته
وتوحدت فيه الغيوب فأنجبت معنى فريدا هدهدته لغاته
سارت به مدن الحراب يشده رمل الشتات فما انتشت خطواته
اذ أنبأ الطرقات هن أحلامه حتى يعانق حلمه طرقاته
الليل ضيق بالظلام لثامه وهما فتاهت في المدى عتماته

والوقت یرکض والدقائق غلفت بالغدر فأنکفأت به ساعاته
والنخل في ماء القصيدة بايع الوطن الزكي ولم تخن سعفاته

.....

والوحي في العتبات لحن هاطل منذ الخليفة لم تزل نایاته
مذ فاض بالكلمات نهر حقيقة في قلب ادم القيت كلماته
فهو الحياة اذا المسافة اثخنت بالموت ، تقتلع الفناء حياته

.....

او كان موسى حين واعدہ الاله بطور سيناء ارتوى ميقاته
هل كان قرانا تكلمه السما حتى تصافح قلبه توراته
ام كان احمد حين مكة ازلفت للمتقين والهبت عرفاته
لم يدركوا سرا يرافق مجده كالريح حتى رفرفت راياته
يا للشرع النبض حين تنفست وحيا على رثة الدنا نسماته
في لحظة فتح الجفاف عيونه فرأه ماء سلسلت آياته

فالمشاهد واضحة منذ اللقطة الأولى التي يصورها شاعرنا لتجسيد تلك الشخصية والمنزلة التي خصه الله تعالى بها لشخص الامام الحسن ﷺ التي بنيت على فنية المونتاج التراكمي ومحفزاته البصرية عبر استحضار الشاعر لنصوص وقصص قدسية بلقطات مكثفة ذات مشاهد بانورامية تستدعي الانتباه والتلقي من خلال تراكم المعطيات المشهدية ، فالشاعر يرصد تتابع اللقطات بتراكمية المونتير وتتابعها عبر المشهد الحداثي لتجسيد مداليل عميقة تحقق ما يسمى بـ الادراك البصري .^(٥)

ومن أمثلة ذلك أيضاً في قصيدة الشاعر محمد باقر احمد من لبنان عنوان قصيدته ((رحلة الفتى التراي))^(٦)

ذاك الفتى الربى تعرفه السماء فتستقي _ ان أظلمت _ انوراه
في قلبه المكى .. في وجدانه المدني قد وضع الندى أسراراه

وبمقلتيه حكاية الوجد الشفيف تفيض .. تجري في المدى أنهاره
 فاذا طريق الليل مصقول الضياء اذا يرسخ في البلاد أنهاره
 واذا كرامات تطرز بابه واذا سماوات تسيج داره
 لا سقف للحسن الزكي .. له اختراق التسجيل اذا تلا اذكاره
 وله انسياب عبقرى فالسجود فناؤه في الله ، لما اختاره
 وهو اصطفاه سيدا في دوحه القدس الجلي مقدرا اقداره
 هو طاعن في الحسن حد تطوفه لغة الجمال وتستكين جواره
 مأوى العصافير التي ان مسها ظمأ ... تهجت في الربى امطاره

لقطة شعرية وكأنها تصوير سينمائي لإثارة الدهشة والتشويق لدى القارئ في ذلك المشهد الشعري، فتبدو اللقطات مكثفة تبعا لتراكم الصور الحسية المجسدة التي وظفها الشاعر ببراعة فائقة وفق مونثير شعري مجسد في اللقطات (الفتى الربى تعرفه السماء) (في قلبه المكى والمدني) (بمقلتيه الحكايات والانهار تجري) (الكرامات تطرز بابه والسماوات تسيج داره) (سيد في دوحه القدس الجلي) فتتراوح المشاهد بين التجسيد الحسي والمشهد الخيالي في مشاهد بانوراميا ملاصقة لبعضها لوصف شخصية الامام الحسن الزكي (عليه السلام).

ثانياً: المونتاج الومضي

وهو المونتاج المبني على تقنية الومضة الشعرية أو القصيدة البرقية والومضة الشعرية لحظة أو مشهد أو موقف أو إحساس خاطف، يمرُّ في الخيلة أو الذهن ويصوغه الشاعر بألفاظ قليلة جداً ولكنها محملة بدلالات كثيرة، وتكون الصياغة مضغوطة إلى حد الانفجار.^(٧)
 وأمثلة هذا المونتاج كثيرة في قصيدة الشاعر علي حسن الناصر من السعودية (سبحان هذا الحزن)، إذ نراه يقول^(٨).

من اين ابدأ والمسافة جرحه وهب الحقيقة ما شتهاه صلحه
 عرش سماوي الجلال يحوطه قرآنه المكنون ذلك بوحه
 صمت تأله في انسراب توجع الله ما اخفاه حزنا شره

وحكاية السبعين سهما والمدى ودم الجنائز ذات فيض قرحه
سبحان هذا الحزن في قسباته والدمع يختبر الضمائر سفحه
بفمي القباب مآذن مسكونة وعلى مداي الشوق ينثر صدحه
من ليلة القدر استفاض مكارما عظمى سلاما حين يشرق صبحه
يهب الترابي يديه ذات حنينه لو اقبل الفقراء يورق سمحه
تتنزل الرحمات منه وما به الا التبسم حين يندى نوحه
وعليه يفترش الزمان بكاءه سكت الوجود وراح ينطق جرحه

فنشاهد أن المونتاج الومضي في قصيدة الشاعر يمنح شعره ايقاعاً- بصرياً ومضياً عبر تلك اللقطات السريعة الشعرية في تقنية التكثيف المشهدي لوصف الامام الحسن ﷺ مرتكزا على مرجعية رؤيوية متجسدة بأحداث تضج بالأحزان والقداسة للحالة الشعورية والنفسية في كل بيت شعري ليعطي للمتلقي صور متنوعة مكثفة في كل صورة لقطة ومضية تعكس حدثا معيناً متفرقا عن الآخر كما في قول الشاعر (عرش سماوي الجلال يحوطه) (قرآنه المكنون ذلك بوحه) (حكاية السبعين سهما) (تتنزل الرحمات منه وما به) (عليه يفترش الزمان بكاءه).

المبحث الثاني : التكثيف الایحائي

عرف التكثيف الایحائي : بأنه خلق ايجاءات جديدة بالعبارة الشعرية لتحمل في طياتها رؤى عميقة توحى بالدلالة ، وكأن العبارة تستولد المعاني تلو المعاني وتخلق رؤى جديدة كلما عاود القارئ مداولتها وفك شفراتها المستغلقة عبر انزياحات مختلفة يخلقها النص الشعري .^(٩)
فيعمد الشاعر الى تكثيف قصيدته الشعرية بدلالات مكثفة تثير الصور المدهشة من مستوى التخيل والایحاء ، وقد انمازت قصائد مراقبي المجتبى بكثافة التخيل الایحائي لأجل تفريغ الشحنات العاطفية عندهم وتعميق معاني الدلالات الشعرية ، ولعل أوضح مثال على ذلك قصيدة الشاعر احمد جاسم الخيال في قصيدته (قرية من غدير الكرم)^(١٠)

قصدت يثرب صبا ظامنا قلقا مبللا برحيق الحرف كم خفقا
امشي ونبع الاحلام يرسمني قلبا أضرب به الترحال فاحترقا

كنت ارسم وجه الصبح في خجل أداعب اللون والفرشاة والورقا
 أشجار فرصتي الأولى بلا ثمر وشمعة الخبر ذات في رؤاك لقا
 هناك في غابة الأيام راودني صمت تقدرسه الأوفياء لو نطقا
 عبرت جسر وجودي أقتفي أثرا أغيب في واحة المعنى هوى ألقا
 وجئت عندك شدو الماء حررني من فكرة البحر يشكو الموج والغرقا
 أتيت بابا بوسع النور زاكية منها تجلى مداد الضوء متسقا
 بابا لسبط رسول الله عالية ماكف قاصده يوما لها طرقا
 فذلك الحسن السبط الزكي هفت أرواحنا في مراقبه لتنعقا
 كالغيث يجلو ضباب الوهم منفردا بعزف حق علا في الأفق مؤتلفا
 أدنو من المجتبي ذا ابن فاطمة مودعا كل فكر شتت الطرقا

....

من نور آل رسول الله حبهم فرض فلولا هم لن يستقيم تقى
 هم الادلاء في ليل الحياة على فجر السلام، بهم وحي الهدى وثقا
 ياسيدا لشباب الجنة ارتسمت على محياه آيات بها صدقا

يعتمد الشاعر في اشارة هذه القصيدة صور التخيل وفضاء التصوير لتكثيف الرؤية الشعرية في المشهد الشعري ، اذ نراه يؤسس صوره الشعرية على مؤثرات تخيلية كالاستعارات والمجازات محققا بها ايقاعا شفيفا وتكثيفا دلاليا عميقا ، لاثارة المشاهد المتابعة في تصوير المعنى الذي يريد ايصاله للمتلقي في الكلمات الاتية (أمشي ونبع من الأحلام تحملني) (أرسم وجه الصبح في خجل) (أداعب اللون والفرشاة والورقا) (وجئت عندك شدو الماء حررني) (من فكرة البحر يشكو الموج والغرقا) (لما وجدت حياض النور، قلت هنا) (احط رحل هيامي عاقلا نزلا) (يده نهران والقلب النجي سما) (ياسيدا لشباب الجنة ارتسمت) (على محياه آيات بها صدقا) فنرى الشاعر يوظف الصور الشعرية المجازية عبر فاعلية التخيل ليرسم صور المدح والولاء للإمام الحسن المجتبي عليه السلام فهم النجاة والأمان والمرفاً لكل موال ومحب لهم وهم الباب الذي يشع

نورا الهيا ليطمئن قلوب محبيه مقرونة صورته بالحراك الشعري في اسناد الأشياء بدهشة تشف
عن روح عالقة بحب البيت رسول الله ﷺ ورسم احساسه الشعوري الداخلي عبر بث صراع
الذات وقلقها .

ومن أمثلة ذلك أيضا قصيدة الشاعر أحمد رضي سلمان من البحرين بعنوان (صمت الهزيع
الآخر) (١١)

الليل ... اقرأ صمته لأفسرك أتلو صدى والنجم حتى اعبرك
كانت فراشات الكساء تبوح لي فأرتل الانسان فيك لأسهرك
واری رحي الرحمن قمح النور (عم) الحب تسقي كوثرک

...

هذي ضفافي البس ظلك ال دري أسكن فيك .. احضن جوهرک
يا الماء يانبع السلام .. اذبتني أجريت في بياض عطفك أنهرک
ودجا الظمی فغفت قنادیل السوا قی أظلم الصبح الذي قد اسفرک
هذا خريف نبوة ، واساقت وأحلامنا ، وبكاء امي بعثرك
سيرت طوفانا شرعا ابیضا والغدر رغم سواده ماسیرک
وصهرتني في ضوء قلبك صابرا قدمت دينك عابرا من اخرک
رحلت .. وقرأنا حملت جراحها تتلوه محتسبا بدنيا معترک
ودخلت للتحكيم أطهرهم ، بها مکروه تأريخا ، ولا اطرک
خان الكثير ومال دهر ، لم امل أرأيت قلبک اذ یکابد خنجرک.؟
وكانت کان الصلح محض خديعة لكنني لما ابارح محورك
وطعنت ، قالوا يا مدلل رقابنا وكانت خانک يا أبي من امرک
فصبرت انسج للجفاف غمامة حمراء ، حج دم ، واطلق مشعرک
ستظل في شفتي سؤالاً حائرا وبكاء شقشقة وصمتا مشترک
ماذا رأيت من الجراح ولم ارك؟ ماذا رأيت من الجراح ولم ارك؟

الشاعر هنا يوظف دينامية القص عبر عرض الصور الشعرية بكثافة عالية وإيضاح مداليلها العميقة المؤسسة على الانزياح المبالغ للصور المتزجة بالحقيقة والواقع والخيال عبر فاعلية تلك الصور واثارتها المشهدية ، فالصور تؤسس وجودها على دينامية الموقف واثارة اللحظات الشعورية المكثفة لما حدث للإمام الحسن (عليه السلام) من مواقف عظيمة وصبر ولم رافق حياته ، فهذه الصور الشعرية تتضمن حيزا عميقا عبر قدرة الشاعر على خلق تناسق مكثف بالايحاءات والانزياحات المبالغية وهو محايث للواقع الذي عايشه الامام الحسن (عليه السلام).

المبحث الثالث : شعرية التساؤل وتعميق المعنى

إن من جماليات القصيدة العربية انها تستجلي المضمرات عبر تساؤلات يتركها الشاعر في ثانيا قصيدته ، فالشعرية عند النقاد هي تسؤل مفتوح مسكونا بالتوتر والقلق والتساؤل اللا محدود الذي يرتاد فضاءات النص ، وهو أيضا منظومة إبداعية لتحفيز التلقي النصي واثراء المتخيل الشعري والنتاج الدلالي وتتعدد الأسئلة في النصوص الشعرية بتعدد مضامين القصيدة عند الشاعر لتوليد رؤى جديدة متفاعلة مع المعنى الشعري بشكل عام في اطار القصيدة .^(١٢)

وقد تمثلت التساؤلات الشعرية نمطا اسلوبيا فاعلا في قصائد مراقبي المجتبي الشعرية وهي ترتقي بالنبض الشعري لتعطيع معان وتفتح افق التأويل والتأمل فيه

ولعل من ابرز الأمثلة على ذلك قصيدة الشاعر عبد الله الشويرجي من مصر^(١٣):

أسروا بأسودهم عرجت جمالا أنا في شهور الحب جئت هلالا

فسرت أسئلة الوجود جميعها وبقيت في قلب الوجود سؤالا

أنا لو أقول فما نطقنت عن الهوى هو لو يقول فليس قال تعالى

بطلت صلاة والمؤذن قاتلي فالأسود العنسي ليس بلالا

الدهر يعجب والعقول استفهمت ؟ من أنت ؟ أغربا ابن هند قال

من انت ؟ يستحي السؤال بحضرتي حقا أينكر حاقدون الا لا ؟

من انت ؟ وانتفض الفؤاد قيامه ما كنت كفؤا أقيم جدالا

فأنا الذي أبأؤه وجدوده وعمومه وانا المطهر خالا

عيناى صلى الحبيب فى حدقاتها وانا الامام .. افىض جلالا
 أسقى بنا الله القلوب محبة كانت يمينا او تكون شمالا
 مىقات قلبى ان يصوم عن العدا سعى .. وفى قلبى رأوا شوالا
 بأبى أعز الله جند محمد دحروا جيوش الكافرين رجالا
 مالبدرد ؟ قلت البدر وجهى .. هل ترى الاى من نور النبوة نالا
 مالبحر ؟ قلت البحر كفى كلما مر الفقير امام بيتى طاللا
 مالأمس ؟ كان الله يبنى مسجدا مروا عليه كما تمر كسالى
 مالىوم ؟ خان الكافرون عمامة لأبى وخان الكافرون عقالا
 مالغد ؟ اعرف ان موتى فى غدى موت يراه القاتلون حلالا

يمكن القول ان القصيدة مملوءة بالتساؤلات النصية مما يجعلها بؤرة لتأويلات مفتوحة فى نمط تلك التساؤلات فهى تستثير القارئ بحس شعورى عميق وانفتاح تلك الأسئلة على جدل رىؤوى عميق عبر تلك الأسئلة التى تفصح عما تختزنه الذاكرة الجمعية من انتهاك لحرمة ال بيت الرسول ﷺ بعد وفاته ، كذلك تضمنت الأسئلة كينونة متفاعلة من مجموع صفات الامام الحسن ﷺ التى توضح السمات التى وسم بها اهل بيت الرسول (صلوات الله وسلامه عليهم) .
 ومن أمثلة ذلك أيضا قصيدة للشاعر ناصر الزين من البحرين التى جاءت ممتلئة بالأسئلة بلغة تنساب ماء وروحا على جفاف الزمن واهتزاز الأرواح^(١٤) :

مذ فاض بالكلمات نهر حقيقة فى قلب آدم القيت كلماته
 فهو الحياة اذا المسافة أثخت بالموت ، تقتلع الفناء حياته
 هو عطر ورد العرش .. وجه حضارة كونية قد فتحت شرفاته
 لم يعرفوه .. وقد تأله بعده عجل وصوت السامري لهاته
 او كان موسى حين واعد الاله بطور سيناء ارتوى مىقاته ؟
 هل كان قرانا تكلمه السما حتى تصافح قلبه توراته ؟
 أم كان احمد حين مكة ازلفت للمتقين والهبت عرفاته ؟

لم يدركوا سرا يرافق مجده كالريح حتى رفرت راياته
لم يفهموا المرأة حين هطولها في قلبه أينعت نبضاته
يا للصفاء المحض حيث صدره عبرت قيامات الضياء رثاته ؟
يا للشرع النبض حين تنفست وحيًا _ على رئة الدنا _ نسائه ؟
هو زروق الرحمن يقطع ضفة المسرى فتلقى بالهدى مرساته
يطفو على دمع العراق يشجر الفقراء اذ يأوي اليه فراته
ينساب إنسانية مثلى وكم هطلت على جذب الشقا غيماته
في لحظة فتح الجفاف عيرنه فرآه ماء سلسلت آياته

ان البنى التساؤلية في قصيدة الشاعر هي تمثل زخم من الرؤى والصفات التي ذكرها لا تتوخى إجابات لأنها ارتدادات شعورية من الذات لصفات الأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه هداية للبشر فهي تنفيس عن معاناة يعيشها الموالمون لال بيت الرسول المصطفى ﷺ فهذه الأسئلة هي كشف عن قيم العليا التي امثل بها الامام الحسن عليه السلام.

الخاتمة

عبر ما تقدم أمكننا أن نسجل مجموعة من النتائج نوجزها بالآتي:

- ١- مثلت قصائد مراقبي المجتبى الشعرية قصائد مؤثرة من حيث تحفيزها الدلالي وتوظيفها المونتاج الشعري لبؤرة حراكها الإيقاعي وعرض المشاهد الشعرية بطريقة سرديّة ..
- ٢- ان هذا التشكيل البصري- الإيقاعي للقصيدة المعاصرة وفي قصائد المراقبي الشعرية خاصة يمثل انعكاساً لمكوناتها الدلالية والذي يسهم إسهاماً فاعلاً في رسم صورها الجمالية ومقاصدها الدلالية التي يريد إيصالها للمتلقي .
- ٣- مثل التشكيل الشعري والمونتاج من أبرز تقنيات القصيدة البصرية- الإيقاعية المعاصرة وقد حوت قصائد الشعراء على هذه التقنية البصرية بنوعيتها ((المونتاج التراكمي والمونتاج الومضي)) لإنتاج نصّ شعري تفاعلي بين الشاعر وقارئه.
- ٤- ان التكثيف الإيحائي مثل سمة اسلوبية بارزة في قصائد مراقبي المجتبى لما فيها من قيم ورؤى جمالية تكشف جمالية الصور الشعرية المؤسسة على الانزياح الاستعاري والمجازي ومقدرتها على تفسير المعنى التي تفيض به الدلالات .
- ٥- مثلت شعرية التساؤلات من أبرز الصور الشعرية التي انبنت عليها قصائد مراقبي المجتبى الشعرية لكونها تكشف عن الغموض والمسكوت عنه في تلك الوقائع التي تتركز الحدث وتكشف رؤاه النصية .

الهوامش

- ١- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث: ٢٥.
- ٢- ينظر المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصر: ٨١، حمد محمود الدخوري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩.
- ٣- حداثوية الحداثة: ٢٥٤.
- ٤- الاعمال الشعرية الكاملة: مج١، ٦٣.
- ٥- ينظر حداثوية الحداثة : عصام شرحت : ٢٥٥.
- ٦- مراقبي المجتبى : ٥٩.
- ٧- آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر: خليل الموسى، ٥٤؛ منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠.
- ٨- مراقبي المجتبى : ٧١.
- ٩- ينظر قراءات جمالية في بنية القصيدة الحداثية : د. عصام شرحت : ١٠٤.
- ١٠- ينظر مراقبي المجتبى : ٨١.
- ١١- المصدر نفسه : ٩٧.
- ١٢- ينظر الحداثة في صدمتها الجمالية : د. عصام شرحت : ٣٥، ٣٤.
- ١٣- ينظر مراقبي المجتبى : ١٠٧.
- ١٤- مراقبي المجتبى : ٣١.

المصادر والمراجع

وثائقي خاص بمسابقة مراقبي المجتبى للقصيدة العامودية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ١، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.

* آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر: خليل الموسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط ١، ٢٠١٠م.

* ينظر قراءات جمالية في بنية القصيدة الحدائية: د.

عصام شرّح: دار غيداء - الأردن عمان، ط ١

* ينظر الحدائنة في صدمتها الجمالية: د. عصام شرّح:

دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط ١

٢٠١٨

* التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث: محمد

الصفراي، النادي الادبي بالرياض والمركز الثقافي

العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨

* المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصر: ٨١،

حمد محمود الدخوري، اتحاد الكتاب العرب،

دمش، ط ١، ٢٠٠٩.

* حدائوية الحدائنة: دراسة تأسيسية في ماهية الجمال

الشعري - البصري، د. عصام شرّح، دار غيداء

للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن - عمان

* مراقبي المجتبى، العتبة العباسية المقدسة: اصدار

الإمام الحسن عليه السلام سيرته، ومناقبه الشريفة الواردة
في كتاب (ينابيع المودة) للشيخ القندوزي



أ.د. فراس سليم حياوي

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

أ.د. وفاء كاظم ماضي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

ورد في الحديث النبوي الشريف (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وكذلك قوله عليه السلام (ان الحسن والحسين هما ريحائتي من الدنيا)، مؤكدة للمكانة السامية للإمام الحسن عليه السلام السبط الأول للرسول الكريم وأكثر آل بيته شبيهاً به واقربهم إلى نفسه، ومن هذا المنطلق كان أساس البحث الذي يصور محطات من حياة الإمام ومناقبه الشريفة التي وردت في كتاب الشيخ القندوزي (ت عام ١٢٩٤ هـ)، الذي عني بتسجيل مناقب آل البيت عليه السلام، ومنهم الإمام الحسن عليه السلام في أجزاء كتابه الأربعة، والذي افرد فيه باباً خاصاً بالإمام الحسن؛ للوقوف على سرته الطيبة، ومكانته عند رسول الله ﷺ. اعتمد في البحث على إحصاء الأحاديث التي نقلها القندوزي، والمتعلقة بالإمام الحسن عليه السلام في أجزاء الكتاب كافة، والاتيان بالمشابهة أو المتناقض لها للوقوف على اصحتها مع تعزيزها بالمصادر والمراجع التاريخية المهمة بسيرة آل البيت عامة والإمام الحسن عليه السلام خاصة.

Abstract

The Prophet Muhammad's (peace be upon him and his pure progeny) two hadiths: "Al-Hassan and Al-Hussein are the masters of the youth in paradise" and "Al-Hassan and Al-Hussein are my two fragrant flowers from this world", such affirms the exalted status of Imam Hassan (peace be upon him), the first grandson of the Prophet (peace be upon him) and the most resembling and closest to him in character. This is the basis of this research, which portrays stages of the Imam's life and his noble virtues as mentioned in the book of Sheikh Al-Qundoozi (d. 1294 AH), who dedicated himself to recording the virtues of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), including Imam Hassan (peace be upon him) in the four parts of his book, in which he devoted a special chapter about Imam Hassan (peace be upon him) to tackle his pure biography and his status with the Messenger of Allah (peace be upon him and his pure progeny).

The researcher relies on the hadiths transmitted by Al-Qundoozi that related to Imam Hassan (peace be upon him) in all parts of the book to determine their authenticity of their sources and historical references that deal with the biography of Ahl al-Bayt in general and Imam Hassan (peace be upon him) in particular.

المقدمة

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام كريم أهل البيت وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله، كان وما زال محط اهتمام يتوقف عندها المؤرخ والباحث، ورجل الدين والسياسي، وحتى عامة الناس، لأسباب كثيرة يقف بمقدمتها مكانته الدينية السامية، فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام الأكبر، وهو أكثر الناس شبهاً واقربهم للرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن خلقه الكريم الذي كان مثلاً يحتذى به في عصره، وحكمته التي جعلته يؤثر على نفسه الحكم؛ حفاظاً على دماء المسلمين، وتجنباً لفتنة كادت أن تعصف بالأمة الإسلامية، ومن هذا المنطلق نجد الكتابات والبحوث عن الإمام عليه السلام متجددة عاماً بعد عام، وبمنهجية جديدة، ومحطات اجدد، وفي مجالات متعددة، وهذا ما يجعل هذه الشخصية متفردة في التميز والعلو، فلم نجد مجالاً من مجالات البحث الا وكان للإمام خاصة، ولأهل البيت عامة محطة فيه، سواء في مجال اللغة، أو الدين، أو الفقه، أو التاريخ، أو الجانب الاجتماعي والنفسي، فحياته عليه السلام فيها من المحطات الكثير الذي تجعلنا نستوقف عنده؛ للدراسة والبحث وأخراج انموذجاً ومدرسة باقية إلى أمد بعيد.

١٠٧

شكّل كتاب الشيخ القندوزي، المولد عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥، الموسوم (ينابيع المودة لذوي القربى) مصدر هام في مصادر البحث في مناقب أهل البيت عليهم السلام، فقد قام بكتابة هذا بإحصاء الأحاديث والروايات الواردة في أهل البيت عليهم السلام عموماً في كتاب هذا الذي جاء بأجزاء أربعة . البحث جاء بعنوان (الإمام الحسن عليه السلام سيرته ومناقبه الشريفة الواردة في كتاب ينابيع المودة للشيخ القندوزي)، وتألف من مقدمة وتعريف بحياة مؤلف الكتاب والكتاب نفسه، فضلاً عن محاور عشرة، وخاتمة وقائمة بالمصادر.

قسّم البحث على محاور عشرة، تبعاً للمادة الموجودة في الكتاب والمتعلقة بالإمام الحسن عليه السلام فتم جمعها وتصنيفها حسب مادتها، وحسب التسلسل التاريخي لحياة الإمام، فكانت المحاور بالشكل الآتي:

١. تفسير الآيات القرآنية الواردة في محبة آل البيت عليهم السلام .

٢. الأحاديث النبوية الواردة في محبة الإمام الحسن .

٣. عمره الشريف وتسميته.

٤. فضائل الإمام الحسن .

٥. خلقه الكريم.

٦. الائمة من بعد الرسول ﷺ

٧. خطبة الإمام بعد وفاة أبيه .

٨. خلافته.

٩. صلحه مع معاوية .

١٠. وفاته.

تم من خلال هذه المحاور العشرة ايراد الأحاديث التي ذكرها القندوزي، ولأن كان ورودها لم يكن بهذا التسلسل وانما يشكل توزع على اجزاء الكتاب (١ و ٢ و ٣) وفي أبواب متفرقة من كل جزء، وبروايات متعددة، اعتمدنا جمعها وإعادة ترتيبها بهذا الشكل مراعاة للتسلسل التاريخي لهذه الروايات بداية من ولادة الإمام وصولاً إلى وفاته ﷺ.

١٠٨

شكّل كتاب القندوزي العمود الفقري في مصادر هذا البحث، كونه المحور الأساس، فضلاً عن مصادر أخرى مهمة اعتمد كلياً في بيان صحة ما أورده القندوزي من روايات، أو تعزيز الروايات التي ذكرها، فشكّلت كتب الحديث مصدراً مهماً مثل صحيح البخاري، وصحيح احمد ومسند الترمذي.

اما أمات الكتب فقد كانت كتاب مقاتل الطالبين للاصفهاني في مقدمة الكتب التي تم الافادة منها للوقوف على التواريخ المتعلقة بحياة الإمام، والتي لم يرد ذكرها في كتاب القندوزي . ومن المصادر الحديثة الحسن بن علي لمؤلفه (كامل سليمان) وكتاب الحسن بن علي الإمامة المنسية لمؤلفه (صالح الطائي وكتاب المعقبون من آل أبي طالب للعلامة (مهدي الموسوي). اعتمد في كتابة البحث على المنهج التاريخي للوصف والتحليل، المعتمد على جمع المادة العلمية، وتحليلها وبيان الصادق من الكاذب في الروايات التي وردت في مصادر معينة وجاءت بأحداث وروايات عارية عن الصحة .

القندوزي حياته وسيرته الشخصية

هو سليمان بن ابراهيم الحسين البلخي الحنفي القندوزي ولد في اقليم فندوز بأفغانستان عام ١٨٠٥م / ١٢٩٠هـ^(١)، وهناك من يذكر ان اسمه هو سليمان بن خواجه كلان ابراهيم بن بابا خواجه القندوزي البلخي الصوفي، وهناك من يرجع ان ولادته كانت في بلخ، وآخرون يذكرون انها كانت فندوز، ومنها جاء لقبه^(٢).

تلقى تعليمه في بخارا، ونال الاجازة من أعلامها، سافر بعدها للمسند وبلاد الافغان، والتقى بكبار علمائها، قبل الرجوع إلى موطنه (قندوز)، حيث بنى فيها جامعاً ومدرسة، وفي عام ١٨٥٣م / ١٢٦٩هـ سافر مع (٣٠٠) طالباً من طلاب العلم زار خلالها بغداد وبلاد فارس واكرمه والي بغداد، بعدها سافر إلى (استانبول) عاصمة الدولة العثمانية، وذلك في العام ١٢٧٧ / ١٨٦١هـ، وكان قبل ان يستقر بمدينة (قونية) قد زار الموصل وديار بكر وبقي فيهما ثلاث سنوات وبمدينة (قونية) ثلاث سنوات ونصف^(٣).

أثناء مكوثه بالدولة، عين في مشيخة الشيخ مراد البخاري وكان مجدداً في عمله، فلا يكاد يمر يوماً دون تأليف أو دراسة.

لم يصل لنا من مؤلفاته سوى ثلاثة كتب هي^(٤):

١. أجمع الفوائد.

٢. مشرف الاكيوان.

٣. ينابيع المودة.

كان القندوزي من أعلام الحنفية، وهذا ما أكده ابنه وخليفته الشيخ سيد عبدالقادر افندي في ترجمته لحياة والده فذكر ان والده كان حنفي المذهب ونقشبندي المشرب، وانه في نسبه إلى السلالة الحسينية، لكن لا يوجد ما يؤكد هذا النسب^(٥).

كانت وفاته في شهر شعبان من العام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م، في القسطنطينية ودفن في مقبرته الخاصة المعروفة باسم خانقاه المرادية^(٦).

ملخص لكتاب ينابيع المودة لذوي القربى:

يُعدّ هذا الكتاب لمؤلفه القندوزي ، من أشهر كتبه، إن لم يكن من أهمها، طبع بالطبعة الأولى عام ١٨٨٥م / ١٣٠٢هـ في اسطنبول، أي بعد وفاته بثمان سنوات، واعيدت طباعته في طهران عام ١٨٩١م / ١٣٠٨هـ^(٧).

تألف الكتاب من اربعة اجزاء بـ (١٠٠) باب وزعت بالشكل التالي.

الجزء الأول:

ضم مقدمة المحقق (السيد علي جمال اشرف الحسيني) تم تعريف بالكتاب وبعدها تعريف بمؤلفه، تبعها خطبة الكتاب.

ضم هذا الجزء (٥٢) اثنان وخمسون باباً جاء اغلبها في بيان فضائل الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام ومنزلته المقربة من الرسول ﷺ.

الجزء الثاني:

ضم الأبواب من الثالث والخمسين (٥٣) إلى التاسع والخمسين (٥٩) أي سبعة أبواب فقط، ذكر فيها فضائل بيت النبوة ﷺ، والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي جاء ذكرها في الأبواب (٥٥، ٥٦، ٥٧) بشكل مفصل ، وإن ورد ذكرها في الأبواب الأخرى أثناء الحديث عن مناقب سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام والإمام الحسين الشهيد عليه السلام وأيضاً ورد من خلال الحديث عن والدتها سيدة نساء العالمين، السيدة خديجة عليها السلام.

الجزء الثالث:

ضم هذا الجزء اربعون (٤٠) جزءاً من الجزء الستين (٦٠) إلى الجزء (١٠٠)، ذكر فيه مناقب أهل البيت عليه السلام، وحسب ما وردت في كتب ومراجع متعددة بدأ من الإمام زين العابدين عليه السلام وصولاً للإمام المهدي (عجل الله فرجه القريب).

وبنهاية الجزء الثالث تنتهي أبواب الكتاب المئة (١٠٠) والتي حاول من خلالها احصاء كل الأحاديث والمناقب الواردة في ذكر الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الاطهار عليه السلام.

الجزء الرابع:

جاء هذا الجزء بمثابة ملحق أكثر من كونه جزء يضم معلومات جديدة، فهو عبارة عن فهرس لما ورد في الأجزاء الثلاثة، وكان هذا السياق في الكتابة معروف لدى عدد كبير من المؤرخين، هو ادراج جزء اضافي ليكون ملحق يضم فهرست للكتاب الاصيل، وهذه الفهارست هي:

١. فهرست الآيات القرآنية.

٢. فهرست الأحاديث النبوية الشريفة.

٣. فهرست الأعلام.

٤. فهرست الاشعار.

٥. فهرست مصادر المؤلف .

٦. فهرست مصادر التحقيق.

٧. فهرست الموضوعات.

يُعدّ الكتاب بالأصل موسوعة ضمت مناقب أهل البيت عليه السلام ومن ضمنهم الإمام الحسن عليه السلام الذي جاء ذكره احياناً بشكل منفصل و احياناً أخرى ضمن الحديث عن أهل البيت عليه السلام، وبالشكل الآتي:

١. الجزء الأول:

الباب الثالث والخامس والثاني والثلاثون والثالث والثلاثون، ضمت هذه الأبواب ذكر للآيات القرآنية الواردة في بيت النبوة عليه السلام ومنهم الإمام الحسن.

٢. الجزء الثاني:

في هذا الجزء افرد القندوزي باباً خاصاً (الباب الرابع والخمسون) بعنوان في فضائل الحسن والحسين عليه السلام، ويُعدّ من أكثر الأبواب التي سلطت الضوء على حياة الإمام الحسن عليه السلام، فضلاً عن الأبواب (٥٦ و ٥٧ و ٥٨) التي ذكرت فضائل أهل البيت ومنهم الإمام الحسن عليه السلام.

اما الباب التاسع والخمسون فكان بعنوان (خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكرامته) والذي تناول فيه الآيات الواردة في فضائل أهل البيت.



ويُعدّ هذا الجزء هو الأكثر غزارة من ناحية ذكر الأحاديث والروايات في فضائل الإمام الحسن عليه السلام.

٣. الجزء الثالث:

ضم هذا الجزء بأبين فقط ورد فيهما ذكر للإمام الحسن عليه السلام الأول هو الباب السادس والسبعون الذي جاء الذكر ضمن الحديث عن الائمة الاثني عشر واسمائهم. اما الباب التسعون فقد خصص لخطبة الإمام الحسن عليه السلام.

اعتمد القندوزي في كتابه على أمات الكتب التي شكلت مورد كتابه ، لكن منهجه كان مرتبكاً وغير موحد ولا يتسم بالوضوح، خاصة فيما يتعلق في توزيع الأحاديث على الأبواب وكثرة التكرار للحديث الواحد وللمصدر نفسه، فنجدته وفي مواضع عدة يكرر الحديث بعد صفحة أو اثنين. اتسم منهج القندوزي ، أيضاً بفقدان الوحدة الموضوعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ان ذكر الإمام الحسن عليه السلام لم يكن في جزء محدد، أو باب واحد، بل جاء في الاجزاء الثلاثة، وبأبواب مختلفة، وهذا ما شكل صعوبة لأي باحث في احصاء المادة العلمية المتعلقة بأي فرد من افراد بيت النبوة عليه السلام.

١١٢

وعلى الرغم من هذه السلبيات المسجلة على منهج القندوزي لكن كتابه يُعدّ من المراجع المهمة التي دونت مناقب تسجيلية لسيرة أهل البيت عليهم السلام التي ظهر الاهتمام بها بوقت مبكر، كونها تعد موسوعات خاصة يذكر فيها فضائل أهل البيت ومناقبهم. أولاً: تفسير الآيات القرآنية الواردة في محبة آل البيت:

وردت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة في ذكر آل النبي عليه السلام، وقد افرد القندوزي لكل آية باباً من أبوابه كتابه ، في اجزائه الثلاث لذلك سيأتي ذكر هذه الآيات تباعاً حسب ورودها في الكتاب، لسهولة الرجوع اليها، فضلاً عن مراعاة التسلسل في ذكرها، وهي كالاتي:

١. الآية القرآنية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٨).

افرد القندوزي لهذه الآية القرآنية باباً كاملاً وهو الثاني والثلاثون، في الجزء الأول من الكتاب، فذكر رواية عن أحمد في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال:



لما نزلت الآية الكريمة، قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم؟

قال: علي وفاطمة والحسن والحسين

وأخرج هذا الحديث وأيده كل من الطبراني، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المناقب، وابو نعيم الحافظ في حليه الأولياء، والثعلبي في تفسيره، والحموي في فرائد السبطين^(٩).

وفي رواية عن صحيح البخاري ومسلم سئل ابن عباس عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير:

هي قربي آل محمد ﷺ^(١٠)

وذلك يؤكد ان آل بيت النبوة هم من قصد بهم هذه الآية القرآنية الكريمة.

٢. الآية القرآنية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١١)

ذكر الترمذي، في مناقب أهل البيت، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن سليمان الاصبهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في بيت ام سلمة، فدعا النبي ﷺ علي وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وقال:

(اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً)^(١٢).

وأكد هذه الرواية الطبراني وابن جرير وابن منذر عن ام سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت هذه الآية، فجاءت فاطمة عليها السلام برمة فيها ثريد فقال الرسول ﷺ لها: ادعي زوجك وحسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينما هم يأكلون اذ نزلت هذه الآية، فغشاهم بكساء وقال:

(اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) (ثلاث مرات)^(١٣).

وأخرج ابن سعد رواية عن الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما قال في خطبته: نصف أهل البيت الذي قال الله سبحانه فينا هذه الآية^(١٤).

وفي جواهر العقدين: أخرج احمد في المناقب وابن جرير والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الآية في خمسة: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام.

وقال الرسول ﷺ ... اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

(قال ثلاثاً).

وفي رواية انه ﷺ قال عقب ذلك:

انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم^(١٥).

٣. الآية القرآنية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١٦).

هذه الآية جاءت أيضاً في أهل البيت (عليه السلام)، فعندما سئل الرسول (صلى الله عليه وآله) عن هذه الآيات، وهل

نزلت في حق الإمام علي (عليه السلام) خاصة؟.

فكان الجواب الرسول (صلى الله عليه وآله) قال:

بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة،

قالوا: بينهم لنا

قال: علي أخي ووارثي ووصي وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم

التسعة من ولد الحسين، القران معهم وهم مع القران لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا

علي الحوض.

قال بعضهم: قد سمعنا ذلك وشهدنا^(١٧).

٤. الآية الكريمة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(١٨).

ذكرت هذه الآية في مسند احمد بن حنبل والمغازي في المناقب، بسند من الإمام الحسن بن

علي (عليه السلام) قال:

فيما نزلت هذه الآية، وذكرت بسند من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أيضاً^(١٩).

٥. الآية القرآنية ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(٢٠).

ذكر في تفسير هذه الآية عن أبي سعيد الخدري وابن عباس، وانس مالك، وعن سفيان بن

عينية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، في تفسير هذه الآية الكريمة قالو:

علي وفاطمة بخران عميقان لا يبغي احدهما على صاحبه، وبينهما برزخ هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما الحسن والحسين (عليه السلام)، السلام على لآلئ بيت النبوة.

وذكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ان اباذر قال: نزلت هذه الآية في النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة

والحسن والحسين (عليه السلام)، فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم الا كافر، فكونوا مؤمنين بحبهم ولا

تكونوا كفاراً ببغضهم فتلقون بالنار^(٢٢).

هذه مجمل الآيات القرآنية التي أوردها القندوزي في جزئه الأول، والتي جاء ذكر الإمام الحسن عليه السلام في تفسيرها والذي ورد من مصادر متعددة اتفقت على تفسير هذه الآيات وانها نزلت في بيت النبوة تحديداً ومنهم الإمام الحسن عليه السلام.

في جزء الكتاب الثاني نجد ان القندوزي قد أورد جزءاً خاصاً ذكر فيه الآيات الواردة في فضائل أهل البيت جميعاً سنستعرضها مع الوقوف على الآيات التي جاء في تفسيرها ذكر الإمام الحسن عليه السلام.

١. الآية الأولى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢٣).

وذكرت هذه الآية وتفسيرها في الجزء الأول، وذكرها هنا، برواية أخرى عن أبي سعيد الخدري انه قال: انها نزلت في خمسة:

النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين (٢٤).

واشار ان نزول هذه الآية وحديث الكساء تكرر مع الرسول ﷺ في بيت ام سلمة مرة وفي بيت فاطمة مرة.

وفي رواية أخرى عن الإمام الحسن عليه السلام نفسه انه قال:

وانا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (٢٥).

وفي هذا تأكيد انه عليه السلام كان أحد أهل البيت الذي اذهب الله عنهم الرجس.

٢. الآية الثانية:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢٦).

في رواية عن كعب بن عجرة قال:

لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟

فقال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (٢٧).

وروي عن النبي ﷺ انه قال: لا تصلوا علي الصلاة البتراء فقالوا: وما الصلاة البتراء؟

قال: تقولون (اللهم صل على محمد) وتسكتون (٢٨) بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى

آل محمد (٢٩).

وذكر الديلمي^(٣٠)، انه ﷺ قال:

الدعاء محبوب حتى يُصلى على محمد وأهل بيته، اللهم صل على محمد (وآله.

ولا دليل على أهمية الصلاة على آل البيت ﷺ خيراً من قول الشافعي^(٣١):

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

كفاكم مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ^(٣٢) أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ^(٣٣)

اما الآيات التي أوردها القندوزي والتي حملت التسلسل، ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ فلن يتم التطرق إليها كونها لم يذكر فيها أو في تفسيرها ذكر الإمام الحسن (عليه السلام)، وهو محور البحث الاصيلي، لذلك ارتأينا عدم ذكرها ويمكن للقارئ الرجوع لها لمزيد من المعلومات^(٣٤).

٣. الآية التاسعة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣٥).

ذكر في الكشف^(٣٦) انه لا دليل اقوى من هذا على فضل اصحاب الكساء، وهم علي وفاطمة والحسنان، لانها لما نزلت دعاهم ﷺ فأحتضن الحسين واخذ بيد الحسن، ومشت فاطمة خلفه، وعلي خلفه فعلم انهم المراد بالآية^(٣٧).

أخرج ابو الخير الفاكهي وصاحب كنوز المطالب في مناقب بني أبي طالب.

ان علياً دخل على النبي ﷺ وعنده العباس فسلم ورد ﷺ السلام، وقام فعانقه، وقبل ما بين عينيه واجلسه عن يمينه، فقال له العباس: اتحبه؟

قال: يا عم والله، الله اشد حبا له مني. ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا^(٣٨).

وأخرج ابو يعلى والطبراني، انه ﷺ قال: كل بني ام يتمون إلى عصة إلا ولد فاطمة، فانا وليهم، وانا عصبتهم^(٣٩).

٤. الآية العاشرة:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٤٠).

عن ابن عباس انه قال: رضاء محمد ﷺ انه لا دخل احد من أهل بيته النار، وأكد ذلك الطبراني في رواية عن الإمام علي (عليه السلام) قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول من يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبني من امتي^(٤١).
الآيات التي أوردها القندوزي والتي جاءت بالتسلسل (١١، ١٢، ١٣) فجاءت في ذكر آل البيت عامة من دون تخصيص في تفسيرها، وعدم ذكر الإمام الحسن (عليه السلام)^(٤٢).

٥. الآية الرابعة عشر:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٤٣).

أخرج احمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس: ان هذه الآية لما نزلت قالو:

يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: علي وفاطمة وابناؤهما^(٤٤).

وذكر الطبراني رواية بسند الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) قال:

لا يبغضنا ولا يحسدنا احد الا رد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار^(٤٥).

هذه مجمل الآيات وتفسيرها التي أوردها القندوزي في ذكر آل البيت ومنهم الإمام الحسن (عليه السلام) ولم يتم ذكر كل الروايات التي وردت في تفسير الآيات القرآنية لكثرتها لذلك سلط الضوء على اهمها واقربها للتفسير الواضح الذي ورد فيه ذكر الإمام الحسن (عليه السلام) كونه محور هذا البحث.

ثانياً: الأحاديث النبوية الواردة في محبة الإمام الحسن (عليه السلام):

كثيرة هي الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في مكانة أهل البيت عموماً والإمامين الحسن والحسين (عليه السلام) خصوصاً؛ وذلك نابع من المكانة السامية التي كانت لهما عند رسول الله ﷺ والتي لم يصل إليها أحد غيرهما، بأستثناء والديهما الإمام علي (عليه السلام) وامهما سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وجاءت هذه الأحاديث بأسانيد مختلفة، وأورد القندوزي بعضها منها، سنحاول ادراجها لبيان المكانة السامية للإمام الحسن (عليه السلام).

١. الحديث الأول:

((ابناني هذان الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وابوهما خير منهما)).

وقد ورد هذا الحديث بصيغة أخرى في مسند احمد ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))^(٤٦).
ذكر هذا الحديث القندوزي برواية ابو بكر، وعن أبي ايوب الانصاري^(٤٧).

٢. الحديث الثاني:

((أما الحسن فله هبتي وسؤدي، وأما حسين فان له جرأتي وجودي))^(٤٨).
أورد هذا الحديث القندوزي برواية الطبراني عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام^(٤٩).
وكان الإمام الحسن عليه السلام اقرب الناس شبهاً برسول الله ﷺ، فقد ذكر البخاري بأسناده إلى
انس بن مالك انه ﷺ قال:

لم يكن احداً شبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي^(٥٠).
((ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم))^(٥١).
روي انس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))^(٥٢).

وعن عبدالرحمن بن سابط عن جابر قال:

قال رسول الله ﷺ:

((من سره ان ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي))^(٥٣).

وروي في حديث آخر عن الرسول ﷺ في حق الإمام الحسن عليه السلام:

((هو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الامة، أمره أمري، وقوله قولي، ومن تبعه

فانه مني، ومن عصاه فانه ليس مني))^(٥٤).

٣. الحديث الثالث:

((ان ابني هذين ريحائتي في الدنيا))^(٥٥).

وورد هذا الحديث بصيغة أخرى، عن رواية الترمذي مثلما أورده القندوزي^(٥٦). ان الحسن

والحسين هما ريحائتي في الدنيا.

وقيل في قصة هذا الحديث الشريف ان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كانا يثبان على ظهر

الرسول ﷺ وهو يصلي فيمسكها بيده حتى يرفع صلبه ويقومان على الأرض، فلما فرغ اجلسهما في حجره وقال هذا الحديث الشريف^(٥٧).

٤. الحديث الرابع:

((هذان ابناي وابنا ابنتي، والله اني أحبهما [فأحبهما] وأحب من يحبهما))^(٥٨).

ذكر هذا الحديث عن أبي عثمان، عن اسامة بن زيد قال:

كان رسول الله ﷺ يأخذ بيد الحسن والحسين ثم يقول ((اللهم اني أحبهما فأحبهما))^(٥٩).

وعن الإمام علي عليه السلام ان النبي ﷺ اخذ بيد الحسن والحسين وقال:

((من أحبي وأحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة))^(٦٠).

وذكر عدي بن ثابت، عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ حاملاً الحسن بن علي على

عاتقه وهو يقول ((اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه))، وقال عليه السلام: ((من أحب الحسن

والحسين فقد أحبني ومن ابغضهما فقد ابغضني))^(٦١).

وروي ان الرسول ﷺ كان يدخل فمه في فم الحسن ثم يقول:

((اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه)) قالها ثلاث مرات..^(٦٢)

وهذه الأحاديث وغيرها الكثير تؤكد ان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كانا أحب الناس

إلى رسول الله ﷺ بل واقربهما إلى قلبه.

٥. الحديث الخامس:

((ان ابني هذا سيد، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))^(٦٣).

ذكر ابن بكرة قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي عليه السلام إلى جنبه وهو ينظر

إلى الناس نظره واليه نظرة ويقول:

((ان ابني هذا سيد ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين من المسلمين))^(٦٤).

وفعلاً كان الإمام الحسن قد دفع فتنة حقن الدماء واصلح بين فئتين^(٦٥).

٦. الحديث السادس:

((أحب أهلي إلي الحسن والحسين))^(٦٦).

وذكر القندوزي حديثاً آخر بسند احمد وابن ماجه

وأبي هريرة:

((من أحبهما^(٦٧) فقد أحبني، ومن ابغضهما فقد ابغضني))^(٦٨).

وذكر انس بن مالك قال:

سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك ؟

قال : ((الحسن والحسين))^(٦٩).

وفي حديث آخر لانس بن مالك في هذا الجانب أيضاً نقل لنا رواية قال فيها:

دخل الحسن على النبي ﷺ فأردت ان اميطه عنه^(٧٠).

فقال ﷺ : ((ويحك يا انس، دع ابني وثمره فؤادي، فان من أذى هذا أذاني، ومن آذاني فقد

أذى الله))^(٧١).

٧. الحديث السابع:

((سمى هارون أبنيه (شبراً وشبيراً) واني سميت ابني حسناً وحسيناً بما سمي به هارون ابنه))^(٧٢).

وذكر القندوزي في هذا الخصوص (حول التسمية) حديثاً آخر برواية عن ابن سعد عن

عمران بن سليمان قال :

((الحسن والحسين اسمان من اسماء أهل الجنة ما سميت العرب بهما في الجاهلية))^(٧٣).

وورد في رواية عن عمران بن سلمان عن الرسول ﷺ قال:

((الحسن والحسين اسمان من اسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية))^(٧٤).

بهذا الحديث الشريف انهى القندوزي الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في أهل البيت ﷺ

والتي ذكرنا منها ما يخص محور البحث الإمام الحسن ﷺ وهذه الأحاديث قد وردت في كتابه

الصواعق المحرقة، وبأسانيد وروايات متعددة دعمنا البعض منها بروايات أخرى، وأحاديث

مماثلة تدعيماً لما ذكره القندوزي.

ذكرنا في الصفحات السابقة الآية القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية لشريفة التي أوردها

القندوزي وقدمناها في تسلسل البحث؛ لأهميتها أولاً ولقدسية كتاب الله الكريم وسنة رسوله

الحبيب المصطفى ﷺ بعدها سنورد ما جاء في سيرة الإمام الحسن في كتاب القندوزي بأجرائه الثلاثة ليس بصورة متصلة كما جاء في هذه الاجزاء ، بل سنعمد على التسلسل التاريخي في استعراض هذه الاشارات حتى تكون واضحة ومتسلسلة وبشكل يسهل الرجوع اليه أو قراءته بالتسلسل التاريخي الصحيح بدأ من الولادة وصولاً للوفاة، وحسب ما جاء في الكتاب فقط؛ لان هناك محطات في حياة الإمام عليه السلام لم تتم الاشارة إليها في هذا الكتاب.

ثالثاً: عمره الشريف وتسميته:

لم يشر القندوزي إلى تاريخ ولادة الإمام التي كانت ليلة الثلاثاء في النصف من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة للهجرة ، وفي المدينة المنورة قبل واقعة بدر بتسعة عشر يوماً^(٧٥).

لكنه اشار إلى تسميته في رواية ذكرها نقلاً عن اسماء بنت عميس^(٧٦). انه جاء النبي ﷺ بعد ولادة السيدة فاطمة الزهراء فقال: يا اسماء هلمّي ابني، فدفعته اليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلاً: [ألم أعهد اليكن ان لا تلقوا مولوداً بخرقة صفراء]، قال: لففي بخرقة بيضاء، فلففته، فأخذه واذن في أذنه اليمنى واقام في اليسرى،

ثم قال : يا علي، أي شيء سميت ابني؟

قال: ما كنت لا سبقك بذلك

فقال ﷺ: ولا انا اسابق ربي

ثم قال: جاءني جبرائيل فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك:

ان علياً منك بمنزلة هارون من موسى [لكن لا نبي بعدك] فسم ابنك هذا بأسم ولد هارون،

فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبرائيل ؟

قال: شبر

فقال ﷺ: ان لساني عربي،

فقال : سمه الحسن، ففعل ﷺ، فسماه الحسن^(٧٧) وهذه الرواية تؤكدها المصادر التاريخية

العديدة التي تجمع انه ﷺ هو من سمى الإمام الحسن عليه السلام^(٧٨) واخيه الإمام الحسين عليه السلام.



وفي رواية أخرى عن سفيان بن عينة بن عمرو، عن عكرمة قال:
لما ولدت فاطمة حسناً أتت به النبي ﷺ فسماه حسناً، ولما ولدت حسيناً أتت النبي ﷺ،
فقال: هذا احسن من هذا، وعن عمران بن سلمان قال: الحسن والحسين اسمان من اسماء
الجنة لم يكونا في الجاهلية^(٧٩).

وذكر القندوزي برواية عن ابن رافع قال:
رأيت رسول الله ﷺ اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة^(٨٠).
وعن ام الفضل، ذكر لنا القندوزي رواية أخرى قال: قلت: يارسول الله رأيت في المنام كان
عضواً من اعضائك في بيتي.
قال: رأيت خيراً: تلد ابنتي فاطمة غلاماً فترضعه بلبن^(٨١).

وذكر القندوزي ان الإمام علي عليه السلام عاش سبع وأربعون عاماً، كان منها مع رسول الله ﷺ سبع
سنوات، ومع أبيه الإمام علي عليه السلام ثلاثون سنة ثم كان خليفة ستة اشهر، ثم اقام بالمدينة تسع
ونصف سنة^(٨٢).

ظلت روايات القندوزي من التحديد التاريخي للأحداث، فلم يذكر أو يحدد لنا سنة الوفاة،
أو السنوات التي قضاها مع الرسول ﷺ أو مع أبيه وهي احدى النقاط السلبية التي تسجل
للقندوزي الذي ينقل الروايات دون تحليل أو تحديد اطار زمني، وهو شيء يكاد يكون الاساس
في المنهج التاريخي التحليلي، فضلاً عن ان العديد من الروايات تفتقر للتاريخ الصحيح، واهمها
تاريخ وفاته الذي لم يذكره فضلاً عن عمره الشريف الذي فيه خلاف كبير^(٨٣).

رابعاً: فضائل الإمام الحسن عليه السلام

افرد القندوزي باباً خاصاً هو (الباب الرابع والخمسون) في الجزء الثاني من كتابه لبيان
فضائل الإمامين الحسن والحسين عليه السلام، فضلاً عن مكانتهما من الرسول ﷺ، فقد كانت
مكانتهما كبيرة جداً، ترجمت في أحاديث الرسول ﷺ في أهل بيته عامة، والإمامين خاصة،
وسنحاول ادراج ابرز هذه الفضائل، وبشكل خاص للإمام الحسن عليه السلام والتي جاء اغلبها
بشكل أحاديث نبوية، وان كنا قد تناولنا قسم منها عند الحديث في الفقرة الثانية من البحث



والمعلقة بأهم الأحاديث النبوية الشريفة والملاحظ ان غالبية هذه الأحاديث جاءت هنا بأسناد الترمذي .

يذكر القندوزي عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال:

ان رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة^(٨٤).

وفي حديث آخر نقله من الترمذي عن انس بن مالك قال:

سئل عن رسول الله ﷺ: أي أهل بيتك أحب إليك؟

قال: الحسن والحسين

وكان يقول لفاطمة: ادي لي ابني، فيشمهما ويضمهما اليه^(٨٥).

وعن الترمذي، أيضاً، نقلاً عن البراء قال:

ان النبي ﷺ ابصر حسناً وحسيناً فقال: اللهم اني أحبهما فأحبهما^(٨٦).

وعن الترمذي ، نقلاً عن اسامة بن زيد قال:

طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج ﷺ وهو مشتمل على شيء لا ادري ما

هو ، فلما فرغت من حاجتي قلت:

ما هذا الذي انت مشتمل عليه؟ فكشفه فاذا حسن وحسين على وركيه.

فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم اني أحبهما {فأحبهما} وأحب من يحبهما^(٨٧).

وعن الترمذي ، نقلاً عن البراء بن عازب قال:

رأيت رسول الله ﷺ وضع الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: اللهم اني أحبه فأحبه^(٨٨).

وعن الترمذي، نقلاً عن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا

غلام، فقال النبي ﷺ نعم الراكب هو^(٨٩).

وعن البخاري والترمذي وأبي دواد، عن انس قال: لم يكن احد اشبه برسول الله ﷺ من

الحسن بن علي^(٩٠).

وهذا القول أكده ابن الاثير بأسناد من انس بن مالك قال:

لم يكن اشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي (عليه السلام) (٩١).

وروى الترمذي حديثاً عن هاني بن هاني، عن علي قال:

الحسن اشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين اشبه بالنبي ﷺ ما كان

اسفل من ذلك (٩٢).

وهذا ما أكده التابعون في رواية الهيثمي بأسناد عن علي قال:

((أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين رأسه إلى نحره الحسن)) (٩٣).

وكان للبخاري، حديث في هذا الخصوص، نقله القندوزي، نقلاً عن عقبة بن الحارث قال:

رأيت أبا بكر وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيهه بالنبي ليس شبيهه بعلي، وعلي يضحك (٩٤).

وعن أبي الزبير قال:

انا أحدثكم بأشبه أهل رسول الله ﷺ وأحبهم اليه:

الحسن بن علي وانه ليحيى وهو ساجد فيركب رقبتة أو قال ظهره، فما ينزل حتى يكون هو الذي

ينزل ولقد رأيته يحيى وهو راكع فيخرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر (٩٥).

وعن الطبراني عن أبي هريرة قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة

وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني (٩٦).

وعن ابن يعلى عن عبد الله قال:

كان رسول الله ﷺ يصلي فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا ارادوا ان

يمنعوهما اشار اليهم ان دعوهما، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال:

من أحبني فليحب هذين (٩٧).

وقال احمد في مسنده: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المبارك بن فضالة، حدثنا الحسن ابن

أبي الحسن، حدثنا أبو بكر:

كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس وكان الحسن بن علي يثب على ظهره اذا سجد، ففعل ذلك

غير مرة، فقالوا: انك يا رسول الله لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد.

قال: ان أبنّي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين^(٩٨).

وهناك حديث آخر عن الرسول ﷺ يؤكد ان الإمام الحسن (عليه السلام) سيد ، فقال ﷺ:

(الحسن والحسين إمامان ان قاما وان قعدا)^(٩٩).

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال للحسن:

اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه^(١٠٠).

وفي الشفاء ، قال النبي ﷺ في الحسن والحسين:

اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما^(١٠١).

هذه أبرز الفضائل التي ذكرها القندوزي في هذا الباب وان كنا لم نشر إلى البعض منها تجنباً

للتكرار كونها وردت في فقرات أخرى.

وتكرر فضائل الإمام الحسن في الباب (السادس والخمسين) من الجزء الثاني أيضاً والذي

اعتمد في رواياته على كتب مهمة وهي:

ذخائر العقبى وكنوز الحقائق.

والتي جاءت تحت عنوان [فضائل الحسين (عليه السلام)] وتجنباً لتكرار هذه الفضائل، وان كانت

من روايات أخرى، سوف يتم التطرق إلى من لم نذكره سابقاً، مع امكان الرجوع إلى القندوزي

لمزيد من الاطلاع على هذه الفضائل.

عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الرسول ﷺ قال:

يا علي ان أول من يدخل الجنة انا ، وانت وفاطمة والحسن والحسين^(١٠٢).

وعن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين (عليهما السلام) يستبقان إلى رسول الله ﷺ فأخذهما

وضعهما إلى صدره وقبلهما وقال^(١٠٣):

اني أحبهما فأحبوهما ايها الناس، فالولد مبخلة مجبنة^(١٠٤).

وعن ابن مسعود: كان النبي ﷺ يصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره فباعدهما الناس

، فقال: دعوهما (بأبيهما وامي) من أحبني فليحب هذين^(١٠٥).



وذكر ابن عساكر ، في رواية مشأبه، عن عبدالله بن شداد بن الهاء، عن أبيه قال: صلى النبي ﷺ بأصحابه فلما سجد وثبت الحسن ﷺ على ظهره فلم يزل حتى نزل ، فلما فرغ من صلاته قيل :

يارسول الله طولت بنا، قال:

((ان أبني هذا ارتحلني واني كرهت ان انزله حتى يقضي حاجته))، وعن الزبير، قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين ﷺ على ظهره وهو يمشي بهما على اربع وهو يقول : ((نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان انتما)) (١٠٦).

وعن عبدالله ابن بريدة، عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يخطب اذ جاء الحسن والحسين ﷺ عليهما قميصان احمران - يمشيان ويعثران، فنزل النبي ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال:

صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١٠٧).

نظرت إلى هذين الصبيان يمشيان ويعثران ، فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما (١٠٨).

وعن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين بقوله:

اعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة (١٠٩).

خامساً: خلقه الكريم:

الحديث عن خلق وصفات كريم أهل البيت الإمام الحسن ﷺ يحتاج إلى وقفات عديدة أكثر لكننا سنكتفي بالوقف على أبرز الصفات التي ذكرها القندوزي في كتابه كونها هي الاهم هنا، مع تعزيزها بروايات أخرى وسيتم التطرق لها تباعاً حسب ما وردت في اجزاء الكتاب، وان كان الجزء الثاني، هو أكثرها وروداً في فضائل الإمام الحسن ﷺ، لكن الاشارات تتكرر في صفحات مختلفة للإشارة نفسها، لكن باختلاف الرواية وهو المنهج الذي اعتمدته القندوزي في كتابه (ينابيع المودة لذوي القربى).

عرف عن الإمام الحسن ﷺ ورعه وتمسكه بالإسلام والحرص على اداء الفرائض الدينية وأولهما حج بيت الله الحرام، فذكر القندوزي رواية عن محمد بن الحنفية قال:



ان الحسن أخى يقول: انى لأستحي من ربى ان [ألقاه] ولم أمش إلى بيته ، فسار عشرين مرة من المدينة على رجله (١١٠).

وعن علي بن زيد بن الحسن :

حج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً، وفرق ماله لله ثلاث مرات حتى يعطي نعلًا ويمسك نعلًا (١١١).
وأكد القندوزي هذه الروايات حول حج الإمام الحسن في موضع آخر من الكتاب، وفي ذات الجزء (الجزء الثاني)، ولكن بروايات مختلفة.

فقد ذكر في رواية نقلاً عن أبي نعيم في الحلية: انه قال أي الحسن:

انى لاستحي من ربى ان ألقاه ولم أمش إلى بيته، فحج عشرين حجة ماشياً (١١٢).
وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال:

لقد حج الحسن خمسة وعشرين حجة ماشياً (١١٣).

وعن كرمه، ذكر رواية عن سعيد بن عبد العزيز قال: ان الحسن بن علي سمع رجلاً يسأل ربه ان يرزقه، فبعث اليه الحسن عشرة آلاف درهم (١١٤).

وعن ابن النعيم قال:

انه خرج من ماله مرتين، وقاسم الله - تعالى - ماله ثلاث مرات، حتى وانه كان يعطي نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خفًا ويمسك خفًا (١١٥).

وروي انه عليه السلام سمع رجلاً يسأل ربه عشرين ألف درهم فبعثها اليه (١١٦).

وتؤكد الروايات انه حج لبيت الله أكثر من مرة، ولكن الاتفاق انها خمسة عشرة مرة ماشياً، ففي رواية عن علي بن زيد بن جدعان قال:

(حج الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشرة مرة (١١٧)، ماشياً (١١٨)، وان النجائب لتقاد معه، وخرج ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى انه كان يعطي نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خفًا ويمسك خفًا) (١١٩).

وهناك رواية تذكر انه مشى عشرين مرة من المدينة إلى بيت الله على رجله (١٢٠).

نستطيع ان نقول ان عدد مرات ذهابه للحج تراوحت بين (١٥) إلى (٢٠) مرة والغالب انها



كانت (١٥) مرة ماشياً وربما البقية غير ماشي.

وعن خلقه الكريم مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام ينقل لنا رواية عن أبي هريرة قال: بلغني انه كان بين الحسنين تهاجر، فأتيت الحسين فقلت له: ان أخاك أكبر سنناً فأقصده وزره، فقال: اني سمعت جدي عليه السلام يقول: لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، والسابق إلى المصالحة سابق إلى دخول الجنة، فأكره ان أسبقه إلى الجنة، قال: فذهبت إلى الحسن وأخبرت كلام أخيه الحسين، فقال: صدق أخي، وقام وقصد أخاه وكلمه واعتذرا واصطلحا^(١٢١).

هذه الرواية، لم نجد لها تأكيداً في مصادر أخرى، لكن ارتأينا نقلها كونها وردت في كتاب القندوزي لاننا نستبعد ان يكون هناك خصام بين الإمام الحسن عليه السلام وأخيه الإمام الحسين عليه السلام كونهما بعيدين كل البعد عن الشبهات فهما إمامان معصومان، لذلك نستبعد مثل هذه الرواية، وان كانت هناك روايات مغرضة ارتبطت بالإمام الحسن للنيل منه، ومن مكانته السامية ولعل أبرزهم المستشرقين ومنهم (لامنس)^(١٢٢)، الذي ذكر ان الإمام الحسن لم يكن على وفاق مع الحسين^(١٢٣)، وهذا كلام منافي للحقيقة، فقد عرف عنه عليه السلام الخلق العالي فهو أقرب الناس شبيهاً بالرسول عليه السلام، فقد روى البخاري بإسناده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي عليه السلام من الحسن بن علي^(١٢٤) وأقرب أولاد الإمام علي عليه السلام لنفسه، ففي وصيته لأبنه الحسن قال:

(وجدتك بعضي، بل وجدتك كلي حتى كان شيئاً لو أصابك أصابني، وكان الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك مايعنيني من أمر نفسي)^(١٢٥).

وكان عليه السلام ذات صفات حميدة فقد ذكر ابن حجر الهيثمي:

(وكان الحسن سيذاً كريماً وحليماً زاهداً، ذا سكينه ووقار وحشمة، جواداً ممدوحاً)^(١٢٦).

وكان عليه السلام اذا توضع ارتعدت مفاصله واصفر لونه، فقليل له في ذلك، فقال:

حق على كل من وقف بين يدي رب العرش ان يصفر لونه، وترتعد مفاصله^(١٢٧).



هذه الصفات، وغيرها الكثير الكثير، ممن لم نشر إليها كافية للدلالة على حُسن خلق الإمام،
وانه أبعد من ان تكون بينه وبين أخيه أي خصومة، ويكفي ان الرسول ﷺ كان في المسجد وكان
الحسن والحسين على عاتقيه فقال:

معاشر المسلمين، إلا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، جدّهما انا (رسول الله) سيد المرسلين وخاتم النبيين، وجدتهما خديجة
بنت خويلد، سيدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلكم على خير الناس أبا وأما؟

قالوا: بلى يا رسول الله

قال: الحسن والحسين، أبوهما علي، وهو أول من آمن بي، وأول من أدخل معه الجنة،
وحامل لوائي يوم القيامة، وأمهما فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

ثم قال: ألا أدلكم على خير الناس عمّا وعمّة؟

قالوا: بلى

قال: الحسن والحسين، عمهما جعفر بن أبي طالب، ذو الجناحين يطير في الجنة مع الملائكة
حيث يشاء وعمّتهما أم هاني، بنت أبي طالب، أسري بي في بيتها ثم صليت الفجر معها.

الا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟

قالوا: بلى

قال: الحسن والحسين، أخواهما: القاسم، وعبد الله، وأبراهيم، وخالاتهما: زينب ورقية، وأم
كلثوم.

ثم قال:

اللهم انك تعلم ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأباهما سيد أهل الجنة، وأمهما
سيدة أهل الجنة وعمهما سيد أهل الجنة، وعمّتهما وأخواهما وخالاتهما هم من أهل الجنة.

ثم قال:

من أبغض الحسن والحسين وأباهما فهو في النار، ومن أحبهما فهو في الجنة معنا^(١٢٨).



وليس بعد قول الرسول ﷺ قول حول مكانة الإمام الحسن عليه السلام ومنزلته وخلقه الكريم وهو كريم أهل البيت وأقربهم للرسول ﷺ .

سادساً: الأئمة من بعد الرسول ﷺ

أورد القندوزي، بأباً خاصاً في بيان الأئمة الاثني عشر وهو الباب السادس والسبعون (٧٦) من الجزء الثالث، شرح فيه أسماء الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام الذي سيقصر الحديث عنه فقط وبيان أهم الروايات حوله.

ذكر القندوزي نقلاً عن كتاب (فرائد السمطين) يسند مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهودياً يدعى نعثل، سأل الرسول ﷺ جملة من الأسئلة، ومن جملة ما سأل: أخبرني عن وصيك من هو؟ فقال ﷺ:

ان وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين.

قال: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين؟

قال ﷺ:

يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسم والحسين بالذبح.

قال: فاين مكانهم؟

قال: في الجنة في درجتي (١٢٩).

وفي رواية أخرى ينقلها لنا القندوزي، نقلاً عن جابر الانصاري، ان يهودياً هو جندل بن جنادة بن جبير اليهودي دخل على الرسول ﷺ، فقال له عدة أسئلة.... وقال:

أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم.

قال: أوصيائي الاثنا عشر .

قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة، وقال: يا رسول الله سمّهم لي.

فقال: أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي، ثم أبناءه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولايغرنك جهل الجاهلين.... (١٣٠)



سأبعاً: خطبته بعد وفاة أبيه الإمام علي عليه السلام

قتل الإمام علي عليه السلام شهيداً، بعد ضربه من قبل عبد الرحمن بن ملجم ليلة التاسع عشر من رمضان عام ٢٠ للهجرة، توفي بعدها ليلة الحادي والعشرين من الشهر ذاته (١٣١).

وبعد مقتله عليه السلام خطب الإمام الحسن عليه السلام خطبته المشهورة، والتي أورد لنا القندوزي جزءاً منها، فعن زيد بن الحسن المجتبى قال: خطب أبي (الحسن حين قتل علي بن أبي طالب عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه فقال:

أيها الناس، لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، وقد كان جدي عليه السلام يعطيه رايته، فيقاتل جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه (١٣٢).

وروي عن زيد بن الحسن المجتبى، وعن أبي سعد قالاً: ان الحسن بن علي عليه السلام قال في خطبته:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فانا الحسن بن علي بن أبي طالب، انا ابن رسول الله ﷺ، انا ابن البشير، انا ابن النذير، انا ابن السراج المنير، انا من بعثه الله رحمة للعالمين، انا ابن من ارسله إلى الجن والانس أجمعين، انا ابن من قاتلت معه الملائكة، انا ابن من كان مستجاب الدعوة (١٣٣) ... إلى آخر الخطبة الشهيرة.

وقيل انه عليه السلام خنفته العبرة فبكى وبكى الناس معه عند القاء الخطبة، وفي نهاية خطبته ذكر:

انا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين افترض الله

مودتهم في كتابه الكريم، بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (١٣٤)

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت (١٣٥).

وأفرد القندوزي في الجزء الثالث من كتابه، باباً خاصاً (هو الباب التسعون) تحت عنوان:

في إيراد خطبة الحسن بن علي عليه السلام (١٣٦)، وذلك لأهميتها وبيان الحكم فيها لما تتضمنه من

حكم ونصائح للمسلمين، فضلاً عن بيان نسبة الشريف عليه السلام هو وآل بيته الكرام.

ثامناً: خلافة الإمام الحسن (عليه السلام)

تتفق العديد من المصادر التاريخية، ان الإمام الحسن (عليه السلام) بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه الإمام علي (عليه السلام) بيومين^(١٣٧)، وهناك من يؤكد ان خلافته كانت صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده، وهو يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام (٤٠ هـ) الموافق (٢٧ / ١ / ٦٦١ م)^(١٣٨)، وان هذه البيعة تمت بعد ان ألقى خطبته الشهيرة بعد وفاة والده الإمام علي (عليه السلام) فقد قام ابن عباس بين يديه ودعا الناس إلى بيعته فأستجابوا له وقالوا:

ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل عن المنبر^(١٣٩).

ويذكر الدينوري ان الناس بعد ان بايعوا الإمام الحسن قال لهم:

(تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالم)^(١٤٠).

وبذلك بايعه أهل الكوفة والبصرة والمدائن وكل العراق، فضلاً عن الحجاز واليمن^(١٤١).

القندوزي، لم يشر إلى تاريخ توليه الخلافة، وهو ما أعتاد عليه بعدم اهتمامه بتدوين التاريخ، وكانت اشارته لخلافة الإمام الحسن، اشارة عابرة، وبرواية واحدة فقد دون غيرها، ففي الجزء الثاني من كتابه، وتحديدأ في الباب التاسع والخمسين كان له اشارة بعنوان (في خلافة الحسن وفضائله ومزايه وكرامته)^(١٤٢)، ذكر فيها رواية واحدة عن خلافته نقلاً عن البزار وغيره قال: لما استخلف الحسن، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد، ثم خطب الناس فقال:

يا أهل العراق: اتقوا الله فينا، فانا امراءكم وضيغانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١٤٣)

وما زال يقولها حتى مابقى أحد في المصلين إلا وهو يبكي.^(١٤٤)

مايفسر لنا عدم اهتمام القندوزي بذكر روايات تتعلق بخلافة الإمام الحسن (عليه السلام) انه وجه اهتمامه إلى بيان مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ويشكل مفصل وبروايات عديدة، دون ذكر أي تدوين تاريخي وهذا نهج عرف به القندوزي.

تاسعاً: صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية

لم يلبث الإمام الحسن عليه السلام كثيراً في الخلافة لأسباب كثيرة جعلته يوقع الصلح مع معاوية، ولم يكن ذلك من باب الضعف في شخصه الكريم، أو جأماً منه للمال، وإنما أراد الصلح ليكون بداية بترميم أمة جده الرسول ﷺ التي أصابها الوهن مبكراً للخلافات والصراعات والحروب المتكررة، وعن أبي بكره قال:

سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول:
(هذا سيد ولعل الله أن يصح به بين فئتين من المسلمين) (١٤٥)

وتحققت نبوءة الرسول ﷺ فأصلح على يد الإمام الحسن عليه السلام، بين المسلمين وحقن دماءهم، وسمي هذا العام بعام الجماعة (١٤٦).

القندوزي لم يشر إلى الصلح سوى إشارة واحدة في الجزء الثاني، الباب التاسع والخمسين، فذكر:
لما صالح الحسن معاوية كتب الصلح وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان:

صالحة: على أن يسلم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ،
وسيرة الخلفاء الراشدين (١٤٧) ... إلى آخر الصلح (١٤٨).

ومن المفيد هنا الإشارة إلى مقالته الإمام الحسن عليه السلام في نهاية خطابه الذي وجهه للأمة الإسلامية بعد تنازله عن الخلافة.

أيها الناس قد علمتم أن الله - جل ذكره وعز اسمه - هداكم بجدي عليه السلام، وانقذكم من الضلالة وأخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الدلة وكثركم به بعد القلة، وأن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد صالحته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم ارد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم (١٤٩). ﴿وَأَنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (١٥٠).

وعند قراءة الاحداث التاريخية التي رافقت توقيع الصلح، والوقوف على ماعمله معاوية للنيل من الإمام الحسين، والاستيلاء على السلطة بوجه غير صحيح من الناحية الشرعية، نجد ان الإمام الحسن (عليه السلام) ضرب لنا مثلاً تاريخياً، قل مثيله بنكران الذات والنظر لمصلحة الامة أولاً قبل كل شيء وحقن لدماء المسلمين، والدليل انه بعد تنازله عن الحكم، جاءه رجل يعرف بإسم أبي عمر وسفيان بن ليلى وقال له:

السلام عليك يا مذل المؤمنين، فأجابه الإمام الحسن: (لا تقل يا أبا عمرو، فاني لم أذل المؤمنين، ولكن كرهت ان أقتلهم في طلب الملك) (١٥١)

وقيل انه بعد ان تنازل الحسن (عليه السلام) عن الخلافة، قال له أصحابه:

يا عار المؤمنين ، فقال لهم: العار خير من النار (١٥٢) .

وواقع الامر ان الإمام الحسن (عليه السلام) كان حريصاً جداً على أمة جده رسول الله ﷺ من الوقوع بحروب طاحنة يذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين لذلك أثر على نفسه الخلافة حرصاً منه على سلامة أمة المسلمين.

١٣٤

عاشراً: وفاته (موته كما ورد في كتاب القندوزي)

ذكر القندوزي ، ان سبب موته (عليه السلام) ان زوجة الإمام جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي دسّ لها يزيد بن معاوية ان تسمه ويتزوجها، وبذل لها مائة ألف درهم، ففعلت فمرض أربعين يوماً، فلما مات الحسن (عليه السلام) بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما عهدها، فقال لها:

ما وفيت للحسن كيف تفي لي! (١٥٣)

ويذكر لنا رواية أخرى نقلاً عن الإمام الحسين (عليه السلام)، ان الإمام الحسن (عليه السلام) قال له:

يا أخي اني سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة.

فقال: من سقاك ؟

فقال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد ان تقتله ؟

قال: نعم

قال: وكلّ أمره إلى الله تعالى (١٥٤).

وفي رواية أخرى، نقلاً عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

لقد سقيت السمّ مراراً ما سقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت طائفة من كبدي فأيتني
أقلبها بعود

فقال له الحسين: أي أخي من سقاك؟

قال: وما تريد إليه؟ أتريد أن تقتله؟

قال: نعم

قال: لئن كان الذي أظنّ فالله أشدّ نعمة، وإن كان الذي غيره فلا يقتل بي بريء^(١٥٥).

وذكر أن وفاته كانت سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين^(١٥٦).

والواضح أن القندوزي لم يحدد لنا أيهما أقرب إلى الدقة فقد اكتفى بذكر السنوات حسب

مأوردت في مصادر كتابه، وهذا فقط ما أورده حول وفاة الإمام عليه السلام.

الثابت تاريخياً أن الإمام الحسن عليه السلام سُقي السم أكثر من مرة، ففي مستدرك الحاكم، عن أم

بكر بنت المسور قالت:

كان الحسن بن علي سُمّ مراراً كل ذلك يفلت حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها فانه

كان يَختَلِف كبدَه^(١٥٧).

وفي رواية أخرى عن عمير بن اسحاق ولقد سُقيت السم مراراً فما سقيت مثل هذا^(١٥٨).

وأكد هذه الروايات، كبار مؤرخي التاريخ، الذين أكدوا أن وفاته كانت جراء السم،

فقال المسعودي: (توفي بالمدينة مسموماً)^(١٥٩).

وقال السيوطي:

(توفي الحسن عليه السلام بالمدينة مسموماً، سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس، دس إليها

يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها)^(١٦٠).

وذكر أن الاثير، عند حديثه عن وقائع سنة تسع وأربعين للهجرة قال:

(في هذه السنة توفي الحسن بن علي، سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي)^(١٦١).

أما الاصفهاني، فيؤكد أن من دس السم للإمام هو معاوية فيذكر:

أراد معاوية البيعة لأبنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدس إليهما سماً فماتا منه^(١٦٢).

والروايات غيرها كثيرة في هذا المجال، حول من كان وراء دس السم للإمام الحسن عليه السلام^(١٦٣). ألقى السم للإمام في اللبن الذي سقته زوجته جعدة، وكان عليه السلام صائماً، في يوم شديد الحر فتناول منه جرعة ما ان وصلت إلى جوفه حتى تقطعت أمعاؤه، فقال لها، بعد ان أحس بألم شديد: انا لله وانا اليه راجعون، الحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار وحمة سيد الشهداء^(١٦٤).

بعدها التقت إلى جعدة وقال لها: (ياعدو الله، قتليني قتلك الله، والله لاتصيبني مني خلقا، ولقد ترك - يقصد معاوية - وسخر منك يخزيك الله ويخزيه)^(١٦٥).

بقي الإمام يعاني ألم الموت مريضاً أربعين يوماً^(١٦٦)، وقيل شهرين^(١٦٧)، واختلفت الروايات حول عمره الشريف عند الوفاة فالأصفهاني ذكر انه توفي وهو ابن ثمان واربعين سنة^(١٦٨)، وفي رواية أخرى انه توفي وهو ابن ستة واربعين سنة^(١٦٩)، وهناك من يذكر ان وفاته كانت سنة خمسين للهجرة، وله من العمر ثمان واربعون سنة، وتولى أخوه ووصيه الإمام الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد في البقيع^(١٧٠)، والثابت ان وفاته عشر سنوات من إمارة معاوية^(١٧١).

الواضح ان هناك خلافاً واضحاً في تحديد سنه وفاته، وعمره الشريف عند الوفاة، وهذا ما أشار اليه القندوزي نفسه، الذي ذكر خلافاً في تحديد العمر، ولكنه لم يشر إلى أيها أقرب إلى الحقيقة، وكان ابن عساكر قد اشار إلى هذه المسألة أيضاً فنجده يرفق لنا روايات عديدة اختلفت في تحديد سنة الوفاة^(١٧٢). فهناك روايات تذكر انها كانت عام (٥٧ هـ) أو عام (٥٨ هـ)، وهناك من يرجعها إلى عام (٤٩ هـ)، لكن المتبع للروايات والاحداث التاريخية التي تذكر انه توفي توقع بعد عشر سنوات من خلافة معاوية، يجعلنا نقف ان سنة وفاته كانت عام (٥١ هـ) في شهر صفر، وبذلك يكون عمره الشريف عند الوفاة (٤٨ هـ)^(١٧٣). وتكاد تنطبق مع ما ذكره القندوزي ان عمر الإمام عليه السلام عند وفاته كان سبع وأربعون سنة (منها) مع رسول الله ﷺ سبع سنين، ثم مع أبيه ثلاثين سنة، ثم كان خليفة ستة أشهر، ثم أقام بالمدينة تسع ونصف سنة^(١٧٤).

الخاتمة

الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة، كان وما زال فيض من نعم الله تعالى، ونوره في الارض، فهو حفيد أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وأبن الإمام علي عليه السلام، المتقين والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، واخ سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وللك فهو محور الاهتمام بالبحث والدراسة على مر العصور، ومن ها المنطلق جاءت فكرة ها البحث الي توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات نوردها بالتالي:

١. كتاب ينابيع المودة لمؤلفه الشيخ القندوزي، يُعدّ من الكتب التي تناولت مناقب أهل البيت عليهم السلام، ومنهم سيدنا الإمام الحسن عليه السلام، وهناك من اعتبر الكتاب موسوعة للأحاديث الواردة في أهل البيت، وان لم تنطبق عليه أساسيات الموسوعات من حيث دقة التصنيف وتوحيد الموضوعات.

٢. اعتمد القندوزي في كتابة ينابيع المودة على امهات الكتاب وكتب الحديث والسنين لتشكيل مادة الكتاب الي بذل في كتابته جهداً استثنائياً يستحق الدراسة والتحليل.

٣. الاهتمام بتدوين مناقب الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته، اتجاه منذ عصور بعيدة، ويُعدّ بمثابة موسوعة لتسجيل السير الذاتية لأهل البيت، ولهذا جاء كتاب القندوزي، كجزء من هذا النوع من الكتاب التي اهتمت بنقل الروايات التاريخية عن أهل البيت عليهم السلام.

٤. شكلت مناقب الإمام الحسن عليه السلام جزء هاماً من اجزاء الكتاب وأبوابه، التي جاء قسم منها خاصاً بالإمام الحسن عليه السلام، دون غيره، والقسم الآخر في مناقب أهل البيت عامة، والملاحظ ان هذه الاشارات لم تأتي متسلسلة وفي جزء واحد، بل كانت متفرقة وبأبواب عدة، مما تشكل صعوبة في احصاء ما يخص الإمام الحسن عليه السلام دون غيره، فضلاً عن تكرار الروايات والأحاديث في أبواب الكتاب ولكن بإسناد مختلف.

٥. أورد القندوزي العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، في محبة أهل البيت عليهم السلام مما تطلب الرجوع إلى تفسير هذه الآيات حتى يتم التأكد من وجود ذكر للإمام الحسن عليه السلام ليطمئن تشيبتها كمحور من محاور البحث.



٦. للإمام الحسن (عليه السلام) فضائل لا تعد ولا تحصى فعرف عنه دماثة الخلق، وحسن الخلق والتمسك بالدين الاسلامي، حتى انه حج إلى بيت الله الحرام أكثر من خمسة عشر مرة مشياً على الاقدام حباً وتقرباً لله تعالى.

٧. لم يشر القندوزي إلى تاريخ الولادة أو الوفاة بشكل دقيق، فضلاً عن الكثير من الحوادث التاريخية المتعلقة بالإمام، مثل خلافته وصلحه مع معاوية، واكتفى بذكر الروايات التاريخية، التي ضلت من تحديد التاريخ الدقيق لها، وهذا شيء يؤخذ على منهج القندوزي الذي خلا من الاهتمام بالجانب التاريخي الدقيق.

٨. أورد القندوزي جوانب معينة من حياة الإمام الحسن (عليه السلام)، وخاصة المتعلقة بفضائله دون ذكر جوانب أخرى من حياة الإمام، مثل حياته الشخصية، أو زواجه الذي تعرض فيه الإمام للظلم من خلال الروايات غير الصحيحة في هذا الجانب، والتي وصل البعض ان يذكر ان الإمام تزوج (٣٠٠) امرأة، وبالتالي هذا شيء عار عن الصحة، واعتقد ان القندوزي اراد فقط بيان مناقب أهل البيت دون أي شيء آخر.

التوصيات:

اعتاد المؤرخون أو الباحثون في مجالات العلم كافة عند البحث في أي موضوع أو مشكلة التطرق للموضوع من جوانبه كافة والبحث فيه للوصول إلى نتائج تعد هي خلاصة البحث، دون الاهتمام بوضع توصيات بعد اتمام البحث، كونها هي الالهة وهي خلاصة البحث والمجال التطبيقي له على ارض الواقع، والانتقال من الجانب النظري إلى الجانب العملي، الامر الذي يجعل للأبحاث في مجال التاريخ وغيرها في المجالات الانسانية بشكل خاص اهمية في سوق العمل.

انطلاقاً من ذلك كله كانت هناك توصيات تسجل املاً في العمل تطبيقها على ارض الواقع، وأبرزها:

١. العمل على اقامة ورش عمل تنسيق عقد أي مؤتمر، وخاصة في مثل مؤتمر الإمام الحسن الذي عقد مرات متتالية، تكون هذه الورش بأدارة اللجنة العلمية والادارية والأعلامية للمؤتمر، وتكون متاحة للباحثين سواء نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي ام يكون



موعد انعقادها متاح من خلال نشر رابط الكتروني لها، الغرض من ذلك معرفة محاور المؤتمر وعرض البحوث السابقة التي شاركت في المؤتمرات من المؤتمر الأول وحتى المؤتمر التاسع، منعاً للتكرار ولإعطاء صورة عن طبيعة البحوث، مع بيان البحوث الفائزة لتشكيل حافزاً للباحثين مستقبلاً.

٢. تعزيز دور الجامعة في الاسماء بدعم هذه المؤتمرات من جهة، والترويج الاعلامي من جهة أخرى، باعتبار الجامعة تشكل مجالاً أوسع من ناحية عدد الاكاديميين.

٣. لا ضير من مشاركة اصحاب الاختصاص واللجنة العلمية في طرح عناوين محددة أمام الباحثين للكتابة فيها.

٤. تشكل لجنة مختصة في كل محور من محاور المؤتمر بعد نهايته لمراجعة البحوث المشاركة وبالتالي الوقوف على بعض النقاط التي لم يتم التطرق لها في أي محور من محاور المؤتمر للكتابة فيها مستقبلاً.

٥. تكريم البحوث الفائزة اسوة بمؤتمر السيدة فاطمة الزهراء، وتوجيه كتاب شكر لبعض الباحثين الذين تكرر مشاركتهم بالمؤتمر.

الهوامش

- ١- محمد صادق محمد الكرياسي، معجم الشعراء النازمين في الحسين (عليه السلام)، ج ٢، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١١، ص ٣١٩.
- ٢- محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٤، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت، ص ٢٥٢.
- ٣- اسماعيل الباشا البغدادي، هدية العارفين، ج ١، المطبعة البحثية، اسطنبول، ١٩٥١، ص ٤٨.
- ٤- سليمان بن أبراهيم القندوزي، ينابيع المودة لوي القربى، تحقيق، سيد علي جمال اشرف، المجلد الأول، ط ٢، ايران، ١٤٢٢ هـ، ص ١٨.
- ٥- المصدر نفسه، ص ١٨.
- ٦- المصدر نفسه، ص ١٩.
- ٧- المصدر نفسه، ص ١٣.
- ٨- القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية (٢٣).
- ٩- أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمري بن عبد المجيد، ط ٢، القاهرة: د.ت، ج ٣، ص ٤٧؛ أبراهيم الجنوني الخراساني، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والائمة من ذريتهم، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ج ٢، دار الحبيب للطباعة، قم، د.ت، حديث ٣٥٩، ص ١٣؛ القندوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٥.
- ١٠- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، دار الفكر، د.م، ١٩٩١، ص ٣٧؛ القندوزي، ج ١، ص ٣١٥.
- ١١- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية (٣٣).
- ١٢- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ج ٥، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٦، حديث ٣٨٧٥؛ القندوزي، ج ١، ص ٣١٩.
- ١٣- المعجم الكبير للطبراني، حديث ٧٧٣، ٢٣، ٣٣٤؛ علي بن عبدالله الحسني السمعوري، جواهر العقدين في فضل الشريفين، تحقيق: موسى بناي العلي، بغداد، ١٩٨٤، ١٣٨/٢؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٢١.
- ١٤- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب، بيروت، ١٩٧١/٩، ١٧٢؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٢٢.
- ١٥- المعجم الكبير للطبراني، ٥٦/٣، حديث ٢٦٧٣ و ٥٥/٣، حديث ٢٦٧٠؛ جواهر العقدين، ١٤٣/٢؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٢٢.
- ١٦- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (٣).
- ١٧- القندوزي، ج ١، ص ٣٤٧.
- ١٨- القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية (٤٧).
- ١٩- أبي عبدالله احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، منشورات جامعة ام القرى، السعودية، ١٩٨٣، ٥٩٧/٢؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٥٤.

٢٠- القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيات ١٩-٢٠.

٢١- أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، النجف الاشرف، ١٩٥٦، ص ٣١٨؛ الموفق بن احمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي، المناقب، تحقيق مالك الحمودي، النجف، ١٩٦٥، حديث ٢٥٨؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٥٤.

٢٢- هاشم البحراني، غاية المرام وحجة الخصام، تحقيق: السيد علي عاشور، باب ١٥٤، حديث ٥/ ٤١٤؛ القندوزي، ج ١، ص ٣٥٥.

٢٣- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية (٣٣).

٢٤- أبين العباس احمد بن محمد بن علي بن جعفر الهيتمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل الرافض والضلال والزندقة، بيروت، ١٩٩٧، الباب ١١ الفصل الأول، ص ١٤٣؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٩.

٢٥- الهيتمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٤٤؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٣٢.

٢٦- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية (٥٦).

٢٧- الهيتمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٤٧، ١٤٦؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٣٣.

٢٨- وذكرت مصداً أخرى بدل تسكتون كلمة (تسكون).

٢٩- الهيتمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٤٧؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٣٤.

٣٠- الديلمي: هو الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، وهو من المتقدمين على الشيخ المفيد، وكان معاصراً للعلامة الحلي (٤٢٦هـ)، ومعاصر لفخر المحققين أبين العلامة الحلي المتوفي عام (٧٧١هـ)، توفي عام (٨٤١هـ)، واهم كتبه هو ارشاد القلوب. للمزيد ينظر: السيد محسن الامين، اعيان الشيعة، ج ٥، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣.

٣١- الشافعي: هو أبو عبدالله بن محمد بن ادريس الشافعي ثالث الائمة الاربعة عند أهل السنة، وصاحب المذهب الشافعي ولد عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م في فلسطين، وتوفي عام (٢٠٤هـ / ٨٢٠م) في مصر. للمزيد ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناضي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، د.م، ١٩٦٤.

٣٢- ذكرت في مصادر أخرى (الشان) بدل القدر.

٣٣- الهيتمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٤٨؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٣٤.

٣٤- لمزيد من المعلومات يراجع: القندوزي، ج ٢، ص ٤٣٥-٤٤٥.

٣٥- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (٦١).

٣٦- الكشف: ويقصد به كتاب الكشف أو تفسير الزمخشري، وهو كتاب في تفسير القرآن ألفه الشيخ الزمخشري جار الله أو القاسم محمود بن عمر بن محمد، كبير المعتزلة.

٣٧- الهيتمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٥٥؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٤٦.

٣٨- المصدر نفسه، ص ٤٤٧-٤٤٨.

٣٩- المصدر نفسه.

- ٤٠- القرآن الكريم، سورة الضحى، الآية (٥).
- ٤١- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٥٩؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٤٨-٤٤٩.
- ٤٢- للمزيد التفاصيل ينظر: القندوزي، ج ٢، ص ٤٥٢-٤٥٣.
- ٤٣- القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية (٢٣).
- ٤٤- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الأول، ١٦٩؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٥٤.
- ٤٥- المصدر نفسه، ١٧٤؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٦١.
- ٤٦- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله أبن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: أبو عبدالله علي بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ٤٦/٤/٧.
- ٤٧- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الثالث، ١٩٠؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٧٧.
- ٤٨- أبن عساكر، تاريخ ٦١/١٤/٧.
- ٤٩- القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٠.
- ٥٠- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، د.م، ١٩٩١، حديث ٣٧٥.
- ٥١- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الثالث، ١٩١؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٨١.
- ٥٢- أبن عساكر، تاريخ ٤٦/١٤/٧.
- ٥٣- المصدر نفسه، ص ٤٤.
- ٥٤- الخراساني، فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٥؛ فضيلة ضاحي، سيرة المجتبى الحسن بن علي (عليه السلام) بين السائل والمجيب، مكتبة فخرأوي، البحرين، ٢٠٠٨، ص ٢٦.
- ٥٥- البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٣٧٥٣)؛ أبن عساكر، تاريخ ٣٨/١٤/٧.
- ٥٦- القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٠.
- ٥٧- أبن عساكر، تاريخ، ٣٨/١٤/٧.
- ٥٨- ذكر القندوزي هذا الحديث عن رواية الترمذي والطبراني.
- ٥٩- أبن عساكر، تاريخ، ٢٣/١٤/٧.
- ٦٠- الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (٣٧٣٤)، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: الارناؤوط ومحمد نعيم العرنوسي، بيروت، ١٩٩٣، ٢٥٤.
- ٦١- محسن الامين، اعيان الشيعة، ٢/٢٦٧.
- ٦٢- المصدر نفسه، ٢/٢٦٨؛ احمد بن عبد الله أبو نعيم، حلبة الأولياء وطبقة الاصفياء، مطبعة السفارة، مصر، ١٩٥٧، ٣٥/٢.
- ٦٣- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الثالث، ١٩٢؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٨١.
- ٦٤- أبن عساكر، تاريخ ٦٣/١٤/٧؛ الترمذي، ٦/٣٩٥؛ أبو العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر أبن خلكان، وفيات الاعيان، وأبناء اخبار الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار ادر، بيروت، د.ت، ٢/٦٦.
- ٦٥- سيتم التطرق إلى هذا الموضوع في محور خلافته وصلحه مع معاوية.

- ٦٦- أخرجه القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٢ عن الترمذي وعن انس بن مالك .
- ٦٧- وذكرت بعض الروايات (من أحب) بدل من أحبها.
- ٦٨- الهيثمي، الصواعق المحرقة، الباب ١١، الفصل الثالث، ١٩١؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٢.
- ٦٩- فضيلة ضاحي، المصدر السابق، ص ٢٦.
- ٧٠- وتعني أبعد عنه.
- ٧١- الحافظ أبو عبدالله محمد بن زيد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٥١.
- ٧٢- صحيح البخاري، ٣٠٦/٢؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٢.
- ٧٣- القندوزي، ج ٢، ص ٤٨٣.
- ٧٤- ابن عساكر، تاريخ ٧/١٤/١٢؛ جمال الدين احمد بن علي ابن عينة، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، قم، ٢٠٠٤، ص ٧٢؛ فراس سليم الحسني وعبدالهادي عبدالكريم الحسني، التحفة البهية في تاريخ الروضة الحسينية، دار الارقم، بابل، ٢٠١٢، ص ٢٩.
- ٧٥- أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد احمد صقر، النجف الاشرف، د.ت، ص ٣٢؛ السيد مهدي الرجائي الموسوي، المعقبون من آل أبي طالب، ج ١، مؤسسة عاشوراء، ايران، ١٤٢٧ هـ، ص ٤٩؛ فضيلة ضاحي، المصدر السابق، ص ١٣.
- ٧٦- اسماء بنت عميس: صحابية جليلة، كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب، ثم لأبي بكر الصديق، ثم للإمام علي (عليه السلام)، هاجرت إلى الحبشة، ثم إلى يثرب لذلك تكنى صاحبة المهجرتين، توفيت عام ٦٦٠ هـ في دمشق . للمزيد ينظر
- ٧٧- محب الدين احمد بن عبدالله الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦، ١٢٠ فضائل الحسن والحسين؛ القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.
- ٧٨- جاء الإمام علي (عليه السلام) فقال له رسول الله ﷺ : ما سميت به يا علي: قال سميت به جعفرأ يارسول الله، قال: لا ولكنه حسن وبعده حسين، وانت أبو الحسن والحسين، ابن عساكر، تاريخ، ٧/١٤/٩.
- ٧٩- ابن عينة، عمدة الطالب، ص ٧٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ٧/١٤/١٢.
- ٨٠- ذخائر العقبى، ١٢٠ فضائل الحسن والحسين؛ القندوزي، ج ٢، ص ٢٠١.
- ٨١- المصدر نفسه.
- ٨٢- الصواعق المحرقة الباب العاشر من فضائل الحسن، ١٤١؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٨.
- ٨٣- سيتم التطرق لهذه الفقرة عند الحديث عن وفاته (عليه السلام).
- ٨٤- سنن الترمذي، ٣٠٥/٥، حديث رقم ٣٨١٦؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٣.
- ٨٥- المصدر نفسه.
- ٨٦- سنن الترمذي، ٣٢٦/٥، حديث رقم ٣٨٧١؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٤.
- ٨٧- المصدر نفسه.
- ٨٨- سنن الترمذي، ٣٢٧/٥، حديث رقم ٣٨٧٣؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٥.

- ٨٩- سنن الترمذي، ٣٢٧/٥، حديث رقم ٣٨٧٢، ابن عاسكر، تاريخ ٧/١٤/٥١؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٦.
- ٩٠- صحيح البخاري، ٢١٧/٤؛ سنن الترمذي ٣٢٤/٥، باب ١٠٩، حديث (٣٨٦٥)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٦.
- ٩١- أبو الحسن علي بن محمد ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد أبراهيم الينا ومحمد احمد عاشور، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ١٢.
- ٩٢- سنن الترمذي، ٣٢٥/٥، حديث (٣٨٦٨)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٦.
- ٩٣- حسن أبراهيم الحاج حسن، الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٥.
- ٩٤- صحيح البخاري، ٢١٧/٤؛ القندوزي، ج ٢، ص ٣٧.
- ٩٥- احمد بن علي بن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٢٩.
- ٩٦- المصدر نفسه، ص ٣٣٠؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٠.
- ٩٧- المصدر نفسه.
- ٩٨- المصدر نفسه.
- ٩٩- عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مؤسسة الاسراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ج ٢، ص ١٨٤.
- ١٠٠- صحيح مسلم، ٤٥٦/٢، حديث (٢٤٢١)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٥.
- ١٠١- القندوزي، ج ٢، ص ٤٥.
- ١٠٢- ذخائر العقبى: ١٢٣ فضائل الحسن والحسين (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٢.
- ١٠٣- وهناك رواية تذكر ان الرسول ﷺ جعل يده في رقبته تضمه إلى أبطه ثم جاء الآخر، فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى أبطه ثم قبل هذا وثم قبل هذا، ابن عساكر، تاريخ ٧/١٤/٤٧.
- ١٠٤- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ص ٣٦٦٦؛ القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٣.
- ١٠٥- ذخائر العقبى: ١٢٣ فضائل الحسن والحسين (عليه السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٣.
- ١٠٦- ابن عساكر، تاريخ ٤/١٤/٥٠.
- ١٠٧- القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٢٨.
- ١٠٨- الامين، اعيان الشيعة، ٢/٢٦٨، ابن عساكر، تاريخ ٧/١٤/٤٨؛ القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٥.
- ١٠٩- ذخائر العقبى: ١٣٣-١٣٤، فضائل الحسن والحسين (عليه السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢٠٨.
- ١١٠- المصدر نفسه: ١٣٧، فضائل الحسن والحسين (عليه السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢١١.
- ١١١- المصدر نفسه.
- ١١٢- الصواعق المحرقة: ١٣٩، الباب العاشر في فضائل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٤.
- ١١٣- المصدر نفسه.
- ١١٤- ذخائر العقبى: ١٣٧، فضائل الحسن والحسين (عليه السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢١١.
- ١١٥- الصواعق المحرقة: ١٣٩، الباب العاشر في فضائل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٤.

١١٦-المصدر نفسه.

١١٧-ذكر ابن سaker في رواية عن ابن أبي نجيح: ان الحسن بن علي حج خمساً وعشرين حجة ماشياً وقاسم الله جل ثناؤه مرتين. ابن عسaker، تاريخ، ٧/ ١٤/ ٧٢.

١١٨-وذكر ان حج حافياً. الامين، اعيان الشيعة، ٢/ ٣٦٣.

١١٩-ابن عسaker، تاريخ، ٧/ ١٤/ ٧٢؛ تسمى الدين محمد بن احمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: الارناؤوط ومحمد نعيم العرنوسي، بيروت، ١٩٩٣، ٣/ ٢٦٠؛ الامين، اعيان الشيعة، ٢/ ٣٦٨.

١٢٠-جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالله، مكتبة الشروق، بغداد، د.ت، ص ٧٢.

١٢١-ذخائر العقبى: ١٣٧، فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢١١.

١٢٢-لمزيد من التفاصيل ينظر: فراس سليم حياوي ووفاء كاظم ماضي، سيرة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) من خلال كتابات المستشرق لامنس في دائرة المعارف الاسلامية، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثامن لفكر الإمام الحسن، ج ٢، دار الكفيل، مركز العميد، كربلاء، ٢٠٢١، ص ٨٧-١١٤.

١٢٣-دائرة المعارف الاسلامية، اعداد وتحرير: ابراهيم زكي وآخرون، المجلد ١٤، القاهرة، د.ت، مادة الحسن بن علي، لامنس، ص ٣٥٦.

١٢٤-البخاري، حديث رقم (٣٧٥٢).

١٢٥-صالح الطائي، احسن بن علي (عليه السلام) الإمامة المنسية، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥، ص ٤٢٠.

١٢٦-الصواعق المحروقة، ص ٨٢.

١٢٧-فضيلة ضاحي، ص ٧٢-٧٣.

١٢٨-ذخائر العقبى: ١٣٠، فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢٢٠-٢٢١.

١٢٩-فرائد السمطين، ٢/ ١٣٢، حديث رقم (٤٣١)؛ القندوزي، ج ٣، ص ٢٨٢.

١٣٠-غاية المرام: ٧٤٣، حديث رقم (٥٧)؛ القندوزي، ج ٣، ص ٢٨٢.

١٣١-مهدي الموسوي، المعقبون، ص ٤٢.

١٣٢-ذخائر العقبى: ١٣٨، فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢١٢.

١٣٣-المصدر نفسه: ١٣٨ و ١٤٠، فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام)، القندوزي، ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣.

١٣٤-القران الكريم، سورة الشورى، الآية (٢٣).

١٣٥-الاصفهانى، مقاتل الطالبين، ص ٣٤.

١٣٦-نص الخطبة ورد في كتاب القندوزي، ج ٣، ص ٣٦٣ ومأبدها.

١٣٧-مهدي الموسوي، المعقبون، ص ٤٩.

١٣٨-فضيلة ضاحي، ص ٤١.

١٣٩-الاصفهانى، مقاتل الطالبين، ص ٣٤.

- ١٤٠- أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج ١، منشورات الشريف الرضي، قم، د.ت، ص ١٨٣-١٨٤.
- ١٤١- فضيلة ضاحي، ص ٤٤.
- ١٤٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٣.
- ١٤٣- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية ٣٣.
- ١٤٤- الصواعق المحرقة: ١٣٩، الباب العاشر في فضائل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٣.
- ١٤٥- صحيح البخاري، حديث رقم (٣٧٤٦).
- ١٤٦- لمزيد من التفاصيل حول عقد الصلح ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٤-٤٩.
- ١٤٧- الصواعق المحرقة: ١٣٦، الباب العاشر في فضائل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٥.
- ١٤٨- لمزيد من التفاصيل حول الصلح ينظر: القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٥-٤٢٧.
- ١٤٩- القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٧.
- ١٥٠- القرآن الكريم، سورة الانبياء، الآية ١١١.
- ١٥١- علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح وشرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، د.م، ٢٠٠٢، ص ٤٩٧٠، حديث (٦١٤٤).
- ١٥٢- ابن كثير، ج ٦، ص ٨٦.
- ١٥٣- الصواعق المحرقة: ١٤٠، الباب العاشر في فضل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٧.
- ١٥٤- المصدر نفسه: ١٤١، الباب العاشر في فضل الحسن (عليه السلام)؛ القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٨.
- ١٥٥- المصدر نفسه.
- ١٥٦- القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٧.
- ١٥٧- المستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٨٦، حديث رقم ٤٨٠٤/٢٠٢.
- ١٥٨- المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٩٣، حديث ٤٨١٦، ٤١٤.
- ١٥٩- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق: عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت، ص ٢٦٠.
- ١٦٠- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١٩٢.
- ١٦١- علي بن محمد بن عبدالكريم أبين الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، ج ٣، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص ٤٠٢.
- ١٦٢- الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٠.
- ١٦٣- للمزيد من التفاصيل ينظر: صالح الطائي، ص ٢٦٣-٢٧٩.
- ١٦٤- حسن أبراهيم حسن، ص ٣٤٠.
- ١٦٥- المصدر نفسه.
- ١٦٦- مهدي الموسوي، ص ٤٩.

- ١٦٧- المصدر نفسه.
- ١٦٨- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٥١.
- ١٦٩- المصدر نفسه.
- ١٧٠- مهدي الموسوي، ص ٤٩.
- ١٧١- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٢.
- ١٧٢- ابن عساكر، تاريخ، ص ١٠٧.
- ١٧٣- أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٨؛
- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٥١.
- ١٧٤- القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٨.

صلحُ الإمامِ الحُسنِ عليه السلام
-أسبابه ومبرراته ونتائجه-



أ.د. عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد / كلية الآداب

ملخص البحث

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام غني عن التعريف فهو قصير النسب. فهو يعرف نفسه بنفسه. فإذا قلت: الإمام الحسن، يذهب ظنك إلى أن المقصود به الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي جده رسول الله محمد ﷺ. سيد الأنبياء والمرسلين، وأمه السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء الكون والسماء. هو وأخوه الإمام الحسين سيدا شباب أهل الجنة. وشهدت وصيته أخويه الحسين ومحمد، وجميع أولاده وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، كما روى الأصبغ بن نباتة أن علياً لما ضربه الملعون ابن ملجم دعا الإمامين الحسن والحسين، وقال: (إني معتقل في ليلتي هذه، فاسمع قولي، وأنت يا حسن وليي)، وأما بيعته بالخلافة، فقد قال ابن أبي الحديد: إن الإمام علي عليه السلام: (ولّى الخلافة للإمام الحسن عليه السلام عند وفاته)، وقيل بعد عودة الإمام الحسن عليه السلام من جنازة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودفنه، لما خرج عبد الله بن عباس إلى الناس يخطبهم فيقول: (أيها الناس هذا ابن ابنة نبيكم وولي إمامكم، فبايعوه، وقالوا: ما أحب إلينا، وأوجب علينا حقه، وسارعوا إلى البيعة، البيعة له بالخلافة)، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، تولى الخلافة وتشهد الدولة الإسلامية فتناً واضطرابات، من أبرزها الفتن الكبرى التي يقودها معاوية بن أبي سفيان يهدد بالانشقاق والانفصال عن الدولة الشرعية. يتكون البحث من ثلاثة محاور:

المحور الأول: أسباب الحرب

المحور الثاني: مبررات المصالحة

المحور الثالث: نتائج المصالحة

Abstract

Imam Hassan (peace be upon him), who belongs to a noble progeny, is a figure of significant importance. As the grandson of Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) and the son of Imam Ali ibn Abi Talib and the Lady Fatimah EzZahraa (peace be upon both of them), he is widely recognized and distinguished. Consequently, upon hearing the name 'Imam Hassan', it is generally assumed to refer to this particular individual.

In the book Al-Kafi, Al-Kulaini (d. 329/941) records the hadiths that pertain to the appointment of Imam Hassan (p.b.u.h.) as the imam. One such hadith relates that before his martyrdom, Imam Ali (p.b.u.h.) entrusted his books and weapon (from the Trusts of Imamate) to Imam Hassan in the presence of his children and some prominent Shiite figures, and proclaimed that the Prophet (peace be upon him and his pure progeny) had instructed him to designate Imam Hassan as the executor of his will. It is reported that after the burial of Imam 'Ali (peace be upon him), 'Abdullah ibn 'Abbas went among the people and announced the sad news of the Imam's demise, saying: "He has left behind a worthy and patient successor. You may pledge your allegiance to him if you so desire." This took place in the month of Ramadan of the year (40 A.H). When Imam Hassan assumed the caliphate, the Islamic state was beset with turmoil and unrest, particularly the significant conflicts instigated by Mu'awiyah ibn Abi Sufyan, who posed a threat to the legitimate state by attempting to sever its ties.

The research comprises three distinct components: the first examines the underlying causes of the war, the second delves into the justifications for peace treaty, and the third presents the outcomes of this treaty process.

المقدمة

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، غني عن التعريف، فهو قصير النسب، يُعرف نفسه بنفسه، فبمجرد أن تقول: الإمام الحسن، يذهب الفكر بك إلى إن المقصود به هو الإمام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، جده رسول الله محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين، وأمه السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء الكون والجنة، هو وأخوه الإمام الحسين سيدا شباب أهل الجنة، بويع بالإمامة بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بوصية منه قال فيها^(١) : (يا بني أمرني رسول الله ﷺ وسلم، أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي)، وأشهد على وصيته أخويه الحسين ومحمداً وجميع ولده وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتب والسلاح، فيما روى الأصبغ بن نباته أن علياً لما ضربه الملعون ابن ملجم دعا بالإمامين الحسن والحسين، فقال^(٢) : (إني مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعوا قولي وأنت يا حسن وصيي)، أما مبايعته بالخلافة، قال ابن أبي الحديد إن الإمام علياً عليه السلام^(٣) : (عهد بالخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام عند موته)، وقيل بعد رجوع الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من تشيع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومواراته الثرى، إذ خرج عبدالله بن عباس إلى الناس مخاطباً إياهم قائلاً^(٤) : (معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه، فقالوا: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا، وبادروا إلى البيعة له بالخلافة)، وذلك في شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، استلم الخلافة والدولة الإسلامية توج بالفتن والاضطرابات، وأبرزها الفتنة الكبرى التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، الذي يهدد بالانشقاق والانفصال عن الدولة الشرعية، كان معاوية يطلب ما ليس له بأهلٍ وحق، فجيش الجيوش وسار لحرب الإمام الحسن المجتبي خليفة الشرعي المنتخب من المسلمين جامعاً جيشاً تجاوز تعداده الأربعين ألف مقاتل، فيما جمع الإمام الحسن جيشاً لا يتجاوز تعداده الستة عشر ألف مقاتل، معظمهم لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم وكانوا متعددي الأهواء، بدلالة أن معاوية قال لرسول أرسله إلى الإمام علي عليه السلام^(٥) : (أبلغ علياً أنني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة من الحمل)، وقد بلغ من أمرهم في طاعته، أن معاوية صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة يوم الأربعاء^(٦)، وهذا دليل

على جهلهم بأمور الدين ومنها الصلوات المفروضة ، فقد جاء معاوية بجيش منظم قاداته وأتباعه ، يطيعونه طاعةً عمياء ، فقد أغراهم بالمال والمناصب ، فأمات قلوبهم وضمايرهم ، فيما كان تعداد جيش الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز الستة عشر ألف مقاتل ، كان جمعهم واحد ولكن قلوبهم شتى ، وقاداته أهوائهم مع معاوية وقلوبهم مع الحسن عليه السلام ، وأتباعه لا هم لهم إلا الأموال والغنائم ، وقد أنهكتهم حروب الجمل وصفين والنهروان ، فشتان ما بين العسكرين ، الأول منظم ومستقر والآخر مضطرب تسوده الفوضى ، وبحشي هذا يتكون من ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : أسباب الحرب

بعد مقتل عثمان بن عفان تدافع المسلمون إلى المسجد النبوي الشريف لمبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً للمسلمين ، وهذا الأمر بطبيعة الحال لا يروق لأصحاب المصالح الباحثين عن الأموال والمناصب أمثال طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والأمويين كافة بزعامة معاوية بن أبي سفيان؛ لذلك قالوا إنَّ الإمام علي بن أبي طالب هو من قتل عثمان ، وإن لم يكن هو ، فقد حرص على قتله مطالبين بالقصاص من أبرز أصحاب الإمام علي ثاراً لدم عثمان حسب إدعائهم ، والسبب واضح ومفصوح هو لإضعاف موقف الإمام علي عليه السلام من خلال تجريده من أقوى أنصاره ومؤيديه؛ لذلك ازدادت حدة الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من جانب والأمويين بزعامة معاوية من الجانب الآخر ، مما أدى إلى نشوب معارك صفين وما ترتب عليها .

فقد كان لمعارك صفين والاضطرابات والفوضى التي سادت الدولة الإسلامية سببان مباشران هما :

- ١- بُدعة عثمان بن عفان في إلغاء عُمره التمتع من الحج الأكبر .
 - ٢- انقسام المسلمين على أنفسهم ، فكانوا طائفتين ، طائفة مع عثمان وأنصاره ، والطائفة الثانية مع الإمام علي وأتباعه ومؤيديه .
- لو عدنا قليلاً إلى الوراء لوقفنا على بداية الانشقاق الذي حدث بين المسلمين ، وكان سببه

الأول عثمان بن عفان ، وذلك حينما أحدث البدعة الكبرى في الإسلام بإلغاء عمرة التمتع من الحج الأكبر ، فتصدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لهذا الشرخ الكبير والخطير الذي حدث بين المسلمين ، والبدعة الكبرى في ركنٍ مهمٍّ من أركان الإسلام ، إلا وهو الحج الأكبر ، ففي سنة ((٢٦)) هجرية أعلن عثمان بن عفان إلغاء عمرة التمتع من الحج الأكبر ، فقد روى مالك بن أنس في الموطأ ما نصه ^(٧) : (إنَّ المقداد بن الأسود دخل على علي (عليه السلام) بالسُّقيا ، وهو ينجعُ بكرات له دقيقاً وخبطاً فقال : هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يُقرنَ بين الحجِّ والعمرة ، فخرج علي (عليه السلام) وعلى يديه أثر الدقيق والخبط ، فما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه ، حتى دخل على عثمان فقال : أنت تنهى أن يُقرنَ بين الحجِّ والعمرة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيي ، فخرج علي (عليه السلام) مغضباً وهو يقول : لبيك اللهم لبيك حجةً وعمرةً معاً) ، فهض الإمام علي للمهمة في سنة ((٢٦)) هجرية ، لافتاً نظر الحجاج إلى أنَّ حجهم لم يكتمل ، لأنَّ فيه نقصٌ مهمٌّ يتمثل في عدم ادائهم عمرة التمتع ، التي تسبق الحجَّ ، ولتجتمع معه مكونة الحج الأكبر ، أعلن ذلك في موسم الحج في مكة المكرمة .

تصدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لبدعة عثمان بن عفان الكبرى التي تمثلت بإلغاء عمرة التمتع من الحج ، فشكل مثلثاً رأسه إلى الأمام وقاعدته في الخلف ، كان الإمام علي (عليه السلام) يمثل رأس المثلث ، وولده الإمامان الحسن والحسين يمثلان جناحيه ، فالحسن والحسين (عليهما السلام) ومن شباهما المبكر يمثلان جناحي أمير المؤمنين ، فقد كان عمر الإمام الحسن ((٢٣)) سنة ، فيما كان عمر أخيه الإمام الحسين ((٢٢)) سنة ، فتصدياً مع أبيهما لبدعة عثمان بن عفان ، فكانا بحق جناحي الإسلام في التصدي لعثمان وبدعته وانحرافه عن السنة النبوية الشريفة ، فلولا وقفتهما المشهودة لتحول الإسلام إلى إسلام أموي نبيهُ أبو سفيان ووصيه ابنه معاوية . بطبيعة الحال ، هذا الأمر لم يحظ برضى عثمان وأعوانه ، ومن سار على نهجهم ، إذ كان عثمان مُصرّاً على بدعته ، فيما كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) رافضاً لبدعة عثمان جملةً وتفصيلاً متمسكاً بما سنّه رسول الله ﷺ ، ومن هنا توسع الشرخ واتسع بين الهاشميين والأمويين ، فانقسم المسلمون إلى فريقين ، فريق يقوده عثمان بن عفان ، مخالفاً للسنة النبوية ،

يريد تبديل ما أرسى قواعده رسول الله محمد ﷺ في الحج الأكبر، المكون من ركنين ((عمرة التمتع + الحج))، وفريق يقوده الإمام علي عليه السلام، يريد الحفاظ على السنة النبوية الشريفة، وأركان الاسلام بصورة عامة، ومنها الحج الأكبر بركنيه، وتثبيت أركانه بجذور قوية، ومن هذا المنطلق ذهب الإمام علي عليه السلام إلى الحج في تلك السنة، وفي وقت نفسه ذهب عثمان إلى الحج أيضاً؛ ليمنع الحجاج من أداء عمرة التمتع، فقد روى الإمام السندي أنه قال الإمام علي لأصحابه وأتباعه: إذا رأيتموه يعني (عثمان) ارتحل فارتحلوا معه ملبين بالعمرة، ليعلم أنكم قدمتم السنة على قوله (بدعته)، وأنه لا طاعة له في مقابل السنة^(٨).

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سار على خطى أبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام في الحفاظ على مشروع إحياء السنة النبوية الشريفة، التي أريد لها الانحراف عن نهج رسول الله محمد ﷺ، ومنها إلغاء عمرة التمتع، وهي جزء مهم من الحج الأكبر أرساها رسول الله، وبطبيعة الحال كان هذا النهج سبباً من الأسباب التي حارب فيها الإمام علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان الذي كان متمسكاً بدعة عثمان بن عفان والسير على خطاها.

أما الانشقاق الذي حدث في صفوف المسلمين، فقد حدث في خلافة عثمان بن عفان أيضاً، بعد إعلان بدعته على المسلمين، وتوسع الانشقاق، وبعُدت الشقة بين الطرفين بعد مقتل عثمان وتحزب المسلمين إلى حزبين، حزب ديني يتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يرأسه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويؤازره ولداه الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، والحزب الثاني دنيوي يرأسه معاوية بن أبي سفيان، وهدفه الانحراف عن السنة، والسير على خطى عثمان بن عفان، مع إجراء تغييرات كبيرة في السنة النبوية الشريفة، ولست هنا بصدد تلك التغييرات التي حدثت، ولكنني فقط أشير إلى بدعة عثمان بن عفان، لذلك كان الصراع قائماً حول قيادة الإسلام ومن يقود المسلمين، فعلي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين عليهما السلام ومعهم عدد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم: أمثال عمار بن ياسر ومالك الأشتر وعدي بن حاتم الطائي وحجر بن عدي الكندي، وهم يريدون السير بالمسلمين على خطى رسول الله محمد ﷺ، مع تطبيق السنة النبوية كما وردت عن رسول الله

، والحزب الثاني ويقوده معاوية بن أبي سفيان ويعاونه عمرو بن العاص ومروان بن الحكم ، وجميعهم من الطلقاء الذين لا يحق لهم زعامة المسلمين وقيادتهم^(٩) ، حتى أن عمر بن الخطاب رفض خلافتهم ، قائلاً^(١٠) : (إِنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ لَا يَصْلُحُ لِلطَّلَاقِ وَلَا لِلْأَبْنَاءِ الطَّلَاقِ) ، ومعاوية بن أبي سفيان طليق وابن طليق ، وأعوانه عمرو بن العاص ومروان بن الحكم هما طليقان أيضاً .

المحور الثاني : مبررات الصلح

الصلح هو نقيض الفساد ، والصلح بمعناه اللغوي يعني السلم^(١١) ، ليعيش الناس بأمن وأمان بعيداً عن الحروب والاضطرابات والفتن ، والانشقاق الذي حصل بسبب بدعة عثمان بن عفان ، ولا سيما الرافضين لها كانوا يعيشون حالة قلق وخوف ورعب من البطش ، ولما نشبت معارك صفين كان أكثر الناس من الطرفين كارهاً لها خائفاً منها ، خوفاً من القتل والتشريد ، فكان الصلح بلسماً شافياً ، ليبدد مخاوفهم ، لذا كان الناس يتطلعون إلى الصلح وانتظار بُشراه ، وكان كريم أهل البيت الإمام الحسن (عليه السلام) يقرأ ذلك في وجوه الناس .

بعد شهادة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، ومبايعة الإمام الحسن المجتبي بالخلافة ، حدث في جبهة الإمام الحسن بعض الفتور والهدوء بسبب الحدث الجلل الذي أودى بحياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فاستغل معاوية هذا الفتور والهدوء ، فزحف بجيش جرار كامل العدد والعدة قوامه أكثر من أربعين ألف مقاتل تجاه العراق حتى وصل إلى منطقة مسكن^(١٢) ، ولما علم الإمام الحسن (عليه السلام) بذلك تحرك هو الآخر لاستقباله ؛ استعداداً لمعركة فاصلة بدأت عاصفتها تزار بقوة ، وطبول حربها تقرع بشدة ، فأمر منادياً بالكوفة بالصلاة الجامعة ، واجتمع الناس فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال^(١٣) : ((أما بعد ؛ فإن الله كتب الجهاد على خلقه ؛ وسماه كرهاً^(١٤) ؛ ثم قال : لأهل الجهاد من المؤمنين^(١٥) : ﴿ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ؛ فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ؛ إنه بلغني أن معاوية بلغه ، أنا كنّا أزمعنا على المسير إليه ؛ فتحرك لذلك ؛ اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة ؛ حتى ننظر وتنظروا^(١٦) ؛ ونرى وتروا^(١٧) .

بعد انتهاء الامام الحسن (عليه السلام) من إلقاء خطبته الشريفة؛ قرأ في وجوه الناس التخاذل والتباطؤ عن الاستجابة لندائه وخطابه؛ فسكتوا جميعاً؛ ولم ينطقوا كلمة واحدة بالموافقة؛ وهذا التخاذل والتخاذل قرأه أيضاً الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي الذي كان مذهولاً مما يرى؛ من هذا الموقف الضعيف والمتخاذل؛ قام ووقف في وسطهم فقال: أنا عدي بن حاتم - سبحان الله - ما أقبح هذا المقام^(١٨): (ألا تحبون إمامكم؟ وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المضر الذين ألتسّتهم بالخاريق في الدّعة؟ فإذا جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب؛ أما تخافون مقت الله؛ ولا عيبها وعارها)؛ ثمّ استدار ووجه وجهه إلى الإمام الحسن (عليه السلام) فقال^(١٩): (أصاب الله بك المراشد؛ وجنبك المكاره؛ ووفقك لما يُحمدُ وُردُهُ وصدره؛ قد سمعنا مقاتلك؛ وانتهينا إلى أمرك؛ وسمعنا لك؛ وأطعناك فيما قلت ورأيت؛ وقال: هذا وجهي إلى معسكرنا؛ فمن أحب أن يوافي فليواف)؛ ثم خرج من المسجد^(٢٠): (ودابته بالباب فركبها ومضى إلى معسكر النخيلة؛ وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه؛ وكان المثل الأول للمجاهد المطيع لإمامه؛ وهو إذ ذاك أول الناس عسكراً)؛ فالتحق به الف مقاتل من قبيلة طيء لا يعصون له أمراً^(٢١).

تجمع أنصار الإمام الحسن (عليه السلام) في معسكر النخيلة قرب الكوفة مدة عشرة أيام، فلم يلتحق به سوى أربعة آلاف مقاتل، فرجع إلى الكوفة ليستنفر الناس من جديد، فخطب فيهم قائلاً^(٢٢): (قد غررتموني^(٢٣) كما غررتم أبي من قبلي؛ مع أيّ إمامٍ تقاتلون بعدي؛ مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله، ولا برسوله قط؛ ولا أظهر الإسلام هو؛ ولا بنو أمية إلا فرقاً بالسيف؟ ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوزاً درداء^(٢٤) لبغت دين الله عوجاً؛ وهكذا قال رسول الله ﷺ.

وكان تعداد جيش الإمام علي (عليه السلام) قبل استشهاده ((٤٠)) أربعين ألف مقاتل، انفرط عقده، وتمرد أكثره، وتناقل حملة السلاح في الكوفة عن الإنصياح لأمر الإمام الحسن (عليه السلام)، فكانت مقدمة جيش الإمام الحسن التي بعث بها إلى لقاء معاوية في مسكن ((١٢)) اثني عشر ألفاً، يضاف لهم أربعة آلاف أخرى، فيكون المجموع الكلي ((١٦)) ستة عشر ألف مقاتل^(٢٥)، أرسل الإمام الحسن (عليه السلام) جيشاً قوامه أربعة آلاف^(٢٦) مقاتل بقيادة رجل من كندة وأمره أن يعسكر في الأنبار،

فخدعه معاوية وأغراه، وكتب له: إِنَّكَ إِن أَقْبَلْتَ إِلَيَّ أُولَكَ بَعْضُ كُورِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ، غَيْرِ مَنْفَسٍ عَلَيْكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِخَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَقَبِضَ الْكَنْدِيُّ الْمَالَ، وَانْقَلَبَ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام، وَصَارَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي مَائَتِي رَجُلٍ مِنْ حَاشِيَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَبَلَغَ الْخَبَرَ الْإِمَامَ الْحَسَنَ عليه السلام، فَخَطَبَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: هَذَا الْكَنْدِيُّ تَوَجَّهَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَغَدَرَ بِي وَبِكُمْ، وَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، لَا وَفَاءَ لَكُمْ، أَنْتُمْ عِبِيدُ الدُّنْيَا، وَأَنَا مُوجِهٌ رَجُلًا مَكَانَهُ، وَأَنْتِي أَعْلَمُ أَنَّ سَيْفِي يَفْعَلُ بِي وَبِكُمْ مَا فَعَلَ صَاحِبِكُمْ، وَلَا يَرْقُبُ اللَّهَ فِيَّ وَلَا فِيكُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ مَرَادٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، وَتَقَدَّمَ بِمَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَأَخْبَرَهُ الْإِمَامَ الْحَسَنَ عليه السلام أَنَّ سَيْغَدَرَ كَمَا غَدَرَ الْكَنْدِيُّ، فَحَلَفَ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ الَّتِي لَا تَقُومُ لَهَا الْجِبَالُ أَنَّ لَا يَفْعَلُ، فَقَالَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ سَيْغَدَرَ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى الْأَنْبَارِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بِخَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ وَمِنَاهُ أَيَّ وَلايَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُورِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ، فَانْقَلَبَ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام، وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَاقِيقِ وَالْعَهْدِ (٢٧).

خرج الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة إلى المعسكر مستخلفاً على الكوفة المغيرة بن نوفل بن عبدالمطلب، وسار الإمام الحسن بعسكر عظيم، وبعده حسنة وبلغ تعداده ((٤٠)) أربعين ألف مقاتل (٢٨)، وكان معاوية قد نزل مسكن، فوصل الإمام الحسن إلى المدائن، وجعل قيس بن عباد الأنصاري على مقدمة جيشه بـ ((١٢)) اثني عشر ألف مقاتل، وجعل عبيدالله بن العباس على مقدمة طلائع جيش قيس بن عباد الأنصاري (٢٩).

ولما دنت ساعة الصفر لنشوب نار الحرب، كان قادة جيش الإمام الحسن عليه السلام من أمثال: عمر بن سعد بن أبي وقاص، وحجر بن عمرو، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وعبدالله بن وهب الراسبي، وعمرو بن حريث، وأبو موسى الأشعري، والأشعث بن قيس.. وغيرهم يبعثون برسائل التأييد والولاء لمعاوية وأئمتهم رهن إشارة، ولديهم الاستعداد بأسر الإمام الحسن عليه السلام وتسليمه له... علماً أن هؤلاء هم أول من بايع الإمام الحسن بالخلافة وعاهدوه أن يجاربوا من حارب ويسالموا من سالم (٣٠).

ولما اتضح الأمر أمام الإمام الحسن عليه السلام بصورة جلية، وأن قادة جيشه هواهم مع معاوية ومستعدين تسليم الكوفة لمعاوية، وتيقن أنه سيدخل حرباً خاسرة يؤول نصرها الظاهري لمعاوية

بن أبي سفيان ، من خلال قلة أصحابه المخلصين ، وكثرة الخونة والغادرين ، وب نظرة ثابتة للأمر رأى الإمام الحسن عليه السلام أن الحفاظ على بيضة الإسلام خيرٌ من حربٍ لا جدوى منها مع حفظ الصفوة الباقية من المسلمين على الرغم من عدم قناعتهم ، لكي تبقى راية الإسلام خفاقة ، وكي ينتشر الدين ولا يخبو سراجُه ، فشاوَر الإمام الحسن عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام في الأمر (٣١) ، فوافقَه الرأي ، فاختار الإمام الحسن الخيار الأصعب بدفع الأفسد بالفسد ، والأشر بالشر ، ويبدأ بجهاد أكبر بنهج جديد في المرحلة القادمة (٣٢) ، لذا لجأ لقبول الصلح بمرارة ، واستطاع الإمام الحسن عليه السلام بقوة أيمانه أن يحول الموقف لصالحه ، بأن معاوية هو الذي طلب الصلح مستخدماً حنكته السياسية فلم يطلبه بنفسه ، أو يتعجل بطلبه ، بل جعل المبادرة تأتي من معاوية بإلحاح كبير ، وأنه طلب الصلح بمبادرة استباقية كما كان يفكر ، فقد سلم معاوية بن أبي سفيان كتاباً وضع أسفله ختمه وأرسله بيد ابن عم له قائلاً للحسن : اكتب ما شئت من شروط الصلح (٣٣) .

بعد ذلك جرت مفاوضات الصلح ، فأرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال ابن عامر : إتق الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لَدُنْيا تصيبها وسلطاناً تناله بعد أن يكون متاعك قليلاً ، إن معاوية قد لجَّ !!! فناشدتك الله أن لا تلجَّ فيهلك الناس بينكما ، وهو يوليك الأمر من بعده ويعطيك كذا ، وكلمه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله ، فقبل الإمام الحسن ذلك منهما ، وبعث معهما عمرة بن سلمة الهمداني ثم الأرجحي ، ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتباً على معاوية الشروط ويعطياه الرضا (٣٤) .

فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن عليه السلام : (إِنِّي صالحتك على أن الأمر لك من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله) ، فلما قرأ الإمام الحسن عليه السلام الكتاب ، قال : يُطمعني في أمرٍ لو أردته لم أسلمه له ، وعقد الصلح في مسكن في شهر ربيع الأول من سنة ((٤٠)) اربعين للهجرة (٣٥) .

وبعد ذلك تم الصلح بين الطرفين بشروطٍ وضعها الإمام الحسن عليه السلام وكانت كما يأتي :

١- اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية العمل بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وأن لا يعهد لأحدٍ من بعده عهداً (٣٦) .

٢- أن يكون الأمر من بعده للحسن بن علي ومن بعده للحسين بن علي عليه السلام (٣٧) .

٣- أن لا يُسمى الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بأمر المؤمنين (٣٩) .

٤- أن يترك معاوية سبَّ أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وشتمه (٤٠) .

٥- أن يؤمن معاوية الناس جميعاً ولا سيما أتباع أهل البيت (عليهم السلام) (٤١) .

٦- أن يستوفي كلَّ من قُتلَ مع أمير المؤمنين في الجمل وصفين جميع حقوقهم المالية بما يعادل ألف ألف درهم (٤٢) .

٧- أن لا يبغى معاوية الغوائل لأهل البيت سرّاً وجهراً (٤٣) .

وباختصار شديد يمكن أن نقول أن أسباب الصلح كثيرة يمكن أن نجملها بما يأتي :

(١) كانت علة صلح الإمام الحسن مع معاوية هي الحفاظ على مشروع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو مشروع رسالي يستهدف تحرير دين محمد (صلى الله عليه وآله) من ثقافة أهل الكتاب، التي نشرها كعب الأخبار، وتميم الداري مما يخالف تنزيه الله، وتنزيه الأنبياء، بأمر قريش المسلمة، ومن تحريمهم متعة الحج، وإرجاع مقام إبراهيم إلى ما كان عليه في الجاهلية، وإمضاء التطبيقات الثلاث بتطبيق واحدة، وابتداع صلاة التراويح، وغيرها من البدع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك لتكريس إمامتها الدينية التي دان بها مسلمة الفتوح وأهل الشام وغيرهم (٤٤) .

(٢) تشتت كلمة جيش الإمام الحسن (عليه السلام)، وعدم توحيد كلمتهم ولا سيما القادة والرؤساء منهم، لقد كانوا أصحاب أهواء وأطماع، ولا رأي لهم، وقد مرَّ بنا خيانة الكندي ومن بعده المرادي ملتحقين بصفوف معاوية بن أبي سفيان بعد أن أغراهم بالمال والمناصب وكذا الحال مع عبيد الله بن عباس الذي التحق بمعاوية لاحقاً .

(٣) قلة عدد جيش الإمام الحسن (عليه السلام) وتفككه، فضلاً عن ازدياد جيش معاوية وقوته، الذي كان في أحسن حالٍ وعدة وسلاح، أزاء جيش معاوية الذي تجاوز تعداده الأربعين ألف مقاتل (٤) جيش الإمام الحسن (عليه السلام) وعلى الرغم من قلته كان منهكاً، قد انهكت حروب الجمل وصفين والنهروان فضلاً عن تمرد من كان يستطيع حمل السلاح في جيش الإمام علي (عليه السلام) .

(٥) قادة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكونوا من المخلصين، وكانت تقودهم أهوائهم وأطماعهم للحصول على الأموال والمناصب، لذلك كانوا يرسلون معاوية معلنين استعدادهم تسليم الكوفة لمعاوية .

٦) الحفاظ على حياة الإمام الحسن (عليه السلام) وآل بيته ، وعدم أخذه أسيراً إلى معاوية بن أبي سفيان ، ليمنَّ عليه بإطلاق سراحه ليقول له : اطلقنا جذك يوم فتح مكة ، وأنا أطلق سراحك اليوم ، لتكون هذه بتلك ، وعند ذلك تصبح سبة على آل البيت ، ويتندر بها النواصب ، بأنَّ معاوية انتصر على الحسن (عليه السلام) ، وأسره وأطلق سراحه كرامةً لجده رسول الله ﷺ .

ولهذه الأسباب وغيرها كان الإمام الحسن (عليه السلام) مضطراً لقبول الصلح مع معاوية على الرغم من أنَّه على الحقِّ ، وحينما دخل عليه بعض أصحابه ، ولاموه على الصلح أجابهم بإجابات تتطابق مع ما كان يقوله ذلك الشخص المعترض وهم :

١- قال الإمام الحسن (عليه السلام) لمالك بن ضمرة بعد أن عاتبه على الصلح^(٤٥) : (إني خشيتُ أن يُجثَّت المسلمون عن وجه الأرض ، فأردتُ أن يكون للدين ناع) .

٢- ويحيبُ (عليه السلام) عن تساؤل سفيان بن ياليل لما قال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فيقول (عليه السلام) له^(٤٦) : ما أذلتهم ، ولكن كرهتُ أن أفنيهم وأستأصل شأفتهم .

٣- قال لأبي سعيد لما سأله عن علة الصلح^(٤٧) : ولولا ما أتيت به لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحداً إلا قُتل .

٤- وقال لحجر بن عدي الكندي عند معاتبته بعبارة - سودت وجه المؤمنين -^(٤٨) : ما كلُّ أحدٍ يحب ما تحب ، ولا رأيَه رأيك ، وإنَّما ما فعلت إبقاءً عليكم .

٥- دخل حجر بن عدي الكندي على الإمام الحسن (عليه السلام) فقال له : يا ابن رسول الله لو وددتُ أنَّي متُّ قبل ما رأيت ، أخرجتنا من العدل إلى الجور ، فتركنا الحقَّ الذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهربُ منه ، وأعطينا الدنية من أنفسنا ، وقبلنا الخسيصة التي لم تلق بينا .

فاشدد على الإمام الحسن (عليه السلام) ما سمع من حجر بن عدي الكندي فقال له^(٤٩) : إنِّي رأيتُ هوى عظم الناس في الصلح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون ، فصالحْتُ بقياً على شيعتنا خاصة من القتل ، فرأيتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما ، فإنَّ الله كلَّ يومٍ هو في شأن .

٦- روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع^(٥٠) عن أبي سعيد عقيص قال : قلتُ للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) : يا ابن رسول الله : لم داهنت معاوية وصالحته ؟ فأجاب الإمام الحسن (عليه السلام) :

علة مصالحتي لمعاوية ، علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة ، وبني أشجع ، ولأهل مكة ، حين انصرف من الحديبية ، أولئك كفارٌ بالتنزيل ، ومعاويةٌ وأصحابه كفارٌ بالتأويل .
وبذلك وضع الإمام الحسن عليه السلام مقياساً دقيقاً لدراسة الصلح وواقعه وأهدافه وانجازاته .
وأختتم هذا المحور بما قاله الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في صلح الإمام الحسن عليه السلام^(٥١) : والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت الشمس والقمر .

المحور الثالث : نتائج الصلح

بعد أن هدأ زئير الحرب ، وتوقفت طبولها عن القرع ، وأغمدت السيوف في أغمارها ، كان الناس في الكوفة منقسمين على فريقين : الأول فرحٌ راضٍ بما آلت إليه نتيجة المفاوضات ، وتمخضها عن الاتفاق على الصلح ، والفريق الثاني غاضبٌ وغير راضٍ عن الصلح بعد أن آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ، ولكل فريق مبررات فرحه وغضبه ، إلا أن غصة مرارة الندم على خذلان الإمام الحسن عليه السلام ، وعدم طاعته في حربه على معاوية ، هم الأكثر حزناً وألماً ، فقد تبخرت أحلامهم الوردية التي كانوا يحملون بها ، فلا عطاءات ولا مناصب ، بل كانوا يعيشون في خوفٍ ورعبٍ من القادم المجهول ، بعد أن عضوا أنامل الندم من التفريط بنصرٍ مؤزر كان يحوم فوق رؤوسهم ، وقريباً منهم ، فبدأ الناس يتضايقون من أعمال عمال معاوية ، وأصابهم السوء والحرمان ، عند ذلك شعروا بفقدان النعمة لإلهية التي لم يصونوها ولم يحافظوا عليها ، وبدأ معاوية يذيقهم الذل والهوان ، وعندما انتبهوا إلى أنفسهم وندموا على ما فرطوا به ، كان الإمام الحسن عليه السلام قد قرر جمع أهله لمغادرة الكوفة والعودة إلى المدينة المنورة ، وقبل الرحيل عن الكوفة وبعد أن رأى ما حلَّ بأهلها من سوء حال قال لهم^(٥٢) : (والله ما سلمتُ الأمر إلا أنني لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكن عرفتُ أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، وأنهم لا وفاء لهم ، ولا ذمة في قول ، ولا في فعل ، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وسيوفهم لمشهورة علينا) ، بعد هذه الخطبة التي كانت خاتمة أقواله مع أهل الكوفة غادرها غير مأسوفٍ عليها .

وحينما دخل معاوية بن أبي سفيان الكوفة بعد الصلح خاطب أهلها قائلاً^(٥٣) : (يا أهل الكوفة ، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ ، وقد علمتُ أنّكم تصلون وتزكون وتحجون ؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمرَ عليكم ، وألي رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا إنّ كلّ دمٍ أصيب بهذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين !! ولا يصلح الناس إلا ثلاث : إخراج العطاء عند محله ، واقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإن لم تغزوهم غزوكم) وفي هذه الخطبة نال معاوية من الإمام علي عليه السلام ، ثم نال من الحسن عليه السلام ، وقال ابو اسحاق السبيعي أنّ معاوية أضاف قائلاً : ألا وإنّ كلّ شيءٍ أعطيتُ الحسن بن علي تحت قدمي هاتين ، لا أفي به !! .

أما المكاسب التي حققها الصلح يمكن أن نجملها بما يأتي :

- ١- المحافظة على مشروع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإحياء سنة رسول الله محمد ﷺ من الإندثار ، ولا سيما الثبات على عمرة التمتع في الحجّ بعد أن ألغاهما عثمان بن عفان .
- ٢- الحفاظ على حياة الإمام الحسن عليه السلام من الغدر ، وإفشال خطة معاوية واتباعه بأخذه أسيراً ، ومن ثمّ المنّ عليه بالعفو ، ويقول له معاوية : أطلقنا جلدك يوم فتح مكة ، وأنا حفظتها له ، لذلك أطلق اليوم سراحك ، واحدة بواحدة ، ليكون هذا العفو إن حصل سبّة سيئة على أهل البيت .
- ٣- الحفاظ على أهل البيت الكرام عليه السلام ، وعلى الخُلص من أصحابهم وأنصارهم واتباعهم من القتل والتشريد وتأمينهم ، وعدم ملاحتهم .
- ٤- تبصير أهل الشام المغفلين بالإعلام الأموي الضال بحقيقة معاوية واتباعه المعادية للدين الإسلامي وأهل البيت .
- ٥- تخصيص عطاءات مالية لشهداء الجمل وصفين ممن استشهدوا في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام .
- ٦- توحيد كلمة المسلمين ، ورأب الصدع بينهم .
- ٧- تميزت السنوات العشر التي تلت الصلح بالأمان ، مع حركة نشيطة لشيعه علي عليه السلام في

نشر أخبار سيرته المشرقة وأحاديث النبي ﷺ فيه وفي أهل بيته .

٨- قرأ الصلح لم يكن رأياً منفرداً للإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، بل كان رأياً مشتركاً مع أخيه الإمام الحسين الشهيد عليه السلام ، إذ كان الإمام الحسن يشاور أخيه الحسين في الأمور كافة .
وأختم بحثي هذا المائل بين يديكم بالقول : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا ننتدي
لولا أن هدانا الله لخدمة الإسلام بصورة عامة وأهل البيت الكرام عليه السلام بصورة خاصة ، و
آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين
ورحمة الله وبركاته .

الهوامش

- ١-بحار الأنوار : ١٠ / ٨٩
- ٢-الإرشاد : ١٩٢
- ٣-شرح نهج البلاغة : ١ / ٥٧
- ٤-الإرشاد : ١٩٢
- ٥- الغدير : ١٠ / ١٩٦
- ٦-المصدر نفسه.
- ٧-الموطأ : ١٧٣
- ٨-الطلقاء : هم المخالفون للنبي محمد ﷺ ، عفا عنهم يوم فتح مكة ، وأبرزهم أبو سفيان وولديه معاوية ويزيد ، والطليق هو صاحب السمعة السيئة وقد أسلم كرها .
- ٩- ينظر كتاب الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ٩٠ مع تفاصيل كثيرة .
- ١٠-الإصابة في تمييز الصحابة : ٤ / ٧٠ ، أنساب الأشراف : ١٠ / ٤٣٤ - ٤٣٥
- ١١-لسان العرب مادة : صلح
- ١٢-مسكن منطقة تقع بالقرب من قضاء الدجيل الحالي ، وكانت تعرف بـ ((سميجة)) وهي تقع نهر الدجيل شمالي بغداد بـ ((٦٠)) ستين كم ، وفيها قبر إبراهيم بن مالك الأشتر ، وقبر مصعب بن الزبير قتلها عبدالملك بن مروان سنة ٧٢ هـ .
- ١٣-مقاتل الطالبين : ٣٨
- ١٤-إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : الآية : ٢١٦ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ .
- ١٥-سورة الأنفال : الآية : ٤٦
- ١٦-أراد بـ حتى نظر وتنظروا ؛ قوله تعالى في سورة هود : الآية : ١٢٢ ﴿ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ .
- ١٧-أراد بـ حتى نظر وتنظروا قوله تعالى في سورة الأنفال : الآية : ٤٨ ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .
- ١٨-مقاتل الطالبين : ٣٩ ؛ وشرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢٢٩ - ٢٣٠
- ١٩-شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٤
- ٢٠-المصدر السابق والصفحة نفسها
- ٢١-تاريخ يعقوبي : ٢ / ١٧
- ٢٢-بحار الأنوار : ٤٤ / ٤٣ ، وينظر الخرائج والخراج : ٢٢٨
- ٢٣-غرر تموني : خدعتموني ، وهي تعني إنما تضمّر في قلبك ما يخالف ما ينطق به لسانك ، وهؤلاء هم المنافقون .
- ٢٤-درداء : وهي العجوز المتقدمة في السن ؛ والتي سقطت أسنانها كافة ؛ وأصبح لسانها عاجزاً عن نطق الحروف بصورة صحيحة .
- ٢٥-صلح الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ١٠٣

- ٢٦- أنوار البحار : ١٠ / ١١٠
- ٢٧- صلح الإمام الحسن في مواجهة الإنشقاق الأموي : ١٠٤
- ٢٨- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٦١
- ٢٩- الكامل في التاريخ : ٣ / ٦١
- ٣٠- الامام الحسن المجتبي بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٣
- ٣١- الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية : ٢٨٠
- ٣٢- الامام الحسن المجتبي بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٥
- ٣٣- الاستيعاب : ١ / ٣٧٠ ، وينظر الامام الحسن المجتبي بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٨ - ٢٠٠
- ٣٤- أنساب الأشراف : ٣ / ٤٠
- ٣٥- المصدر نفسه .
- ٣٦- تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٩٩
- ٣٧- الفصول المهمة : ١٤٥
- ٣٨- عمدة الطالب : ٥٢
- ٣٩- تذكرة الخواص : ٢٠٦
- ٤٠- أعيان الشيعة : ٤ / ٤٣
- ٤١- مقاتل الطالبين : ٢٦
- ٤٢- الإمامة والسياسة : ٢٠٠
- ٤٣- بحار الأنوار : ١٠ / ١١٥
- ٤٤- الإمام الحسن في مواجهة الإنشقاق الأموي : ٥٣٠
- ٤٥- أئمتنا : ١٤٧
- ٤٦- أئمتنا : ١٤٣
- ٤٧- بحار الأنوار : ١٠ / ١٠١
- ٤٨- أنساب الأشراف : ٣ / ٤٥
- ٤٩- الأخبار الطوال : ٣٢٦
- ٥٠- علل الشرائع : ١ / ٢١١
- ٥١- الكافي للكليني : ٨ / ٢٣٠
- ٥٢- نقلا من كتاب حياة الإمام الحسن : ٢ / ٢٨٣
- ٥٣- شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٦

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر - علي محمد علي دخيل، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٦ م.

* الأخبار الطوال - للعلامة أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه الدكتور عصام محمد الحاج علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠١٢ م.

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد - أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المشهور بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع)، لتحقيق التراث، طبعته دار المفيد، ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ.

* الإصابة في تمييز الصحابة - لأبن حجر العسقلاني أحمد بن علي، تحقيق عادل أحمد بن عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

* أصول الكافي - للمحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي، دار الأسوة للطباعة والنشر، مطبعة القرآن الكريم الكبرى، ط ٦، ايران، ١٤٢٨هـ - ق.

* أعيان الشيعة - محسن الأمين الحسيني العاملي (ت ١٩٥٢م)، دار الأنصاف، بيروت، ١٣٦٨هـ.

* الإمام الحسن بين اتهامات التاريخ - أحمد السيد نوري الحكيم، دار المتقين ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ.

* الإمام السنن المجتبى بين الواقع السياسي والبناء العقائدي - أ.د. عامر عمران الخفاجي، مكتبة العتبة الحسينية / ط ١، كربلاء المقدسة، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

* الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي - السيد سامي البدري، الفقه للطباعة والنشر النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

* الإمامة والسياسة - لأبي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ط ٢، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

* أنساب الأشراف - لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق سهل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - للشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، بيروت.

* تاريخ يعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٥٤هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ.

* تذكرة الخواص - ليوسف بن قزالي الحنفي البغدادي المشهور بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ.

* تهذيب التهذيب - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعته دار الفكر، ١٩٩٥م - ١٤١٥هـ.

* الخرائج والجرائح - لسعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، ١٤٠٩هـ.

* شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي (ع) - لابن أبي الحديد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

، (ت ٨٥٥هـ)، حققه سيد جعفر الحسيني ، ايران
، ١٤٣٢هـ .

* الكامل في التاريخ - لأبي الحسن علي بن محمد بن
الجزري (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت
، (د . ت) .

* لسان العرب - لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار
صادر للطباعة والنشر ، ط ٤ ، بيروت ، لبنان
، ٢٠٠٥ م .

* مقاتل الطالبين - لأبي الفرج علي بن الحسين
الأصبهاني (٣٥٦هـ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف
الأشرف ، ١٩٥٦ م .

* الموطأ - لمالك بن أنس ، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ م .

احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

* علل الشرائع - للشيخ الجليل الأقدم الصدوق
أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ،
(ت ٣٨١هـ) ، ايران .

* عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب - تأليف النسابة
الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف
بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ) ، دار الأندلس للطباعة والنشر
والتوزيع ، النجف الأشرف ، (د . ت) .

* الغدير في الكتاب والسنة والأدب - عبدالحسين أحمد
الأميني النجفي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ،
١٣٣٦ هـ .

* الفصول المهمة في معرفة الأئمة - للعلامة علي بن
محمد بن أحمد المشهور بابن الصباغ المالكي المكي

حجاجة التناص القرآني والحديثي
في خطب الإمام الحسن عليه السلام



أ.م.د. ظافر عيسى عناد

جامعة المثنى / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

يكسب القرآن الكريم، والحديث الشريف النصّ الحجاجي حجية تدفع نحو إقناع المتلقي، والتأثر فيه تبعاً للنص المتنصص معه، فالتنصص الحجاجي القرآني والحديثي الذي استعمله الإمام (عليه السلام) كان أداة فاعلة في إقناع متلقيه، إذ مثلاً حجة سلطة، فهما يعدان من أقوى الحجج؛ لأنها يمتلكان سلطة فاعلة، وهذه النوع من الحجاج أداة الخطيب التي بها يبلغ غايته وبها يتحصل مقصده واستعماله بحكم ثقافة الباث، فتوظيفه في خطبه يمثل استراتيجية إقناع يمارسها على متلقيه؛ ليكسب خطابه قوة إقناع عبر نصّ يمثل له سلطة عليا على مستمعيه ومن خلاله يخلق الإمام الحجة الدامغة عليهم. وإذا كان أهم شيء يقوم عليه الحجاج هو تقديم الطروحات التي تدعو العقول إلى التدبر الموضوعي والواعي في القضايا المقدمة، بغية

بناء الرأي الصحيح، فإن الإمام الحسن (عليه السلام) وظفّ النصّ القرآني والحديثي خير توظيف؛ من المتلقي، أجل تحقيق النجاعة لخطابه الحجاجي حتى تحول خطابه إلى نصّ مقنع يرمي إلى إقناع والتأثر فيه رغبة في نجاح حجاجه الديني والأخلاقي والسياسي، عبر قوة تدفع المخاطب إلى التفكير والتأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة.

Abstract

The Holy Qur'an and the Noble Hadith give the argumentative text an authority that persuades the recipient and influences him according to the intertextual text used in the argumentation. The Quranic and Hadith argumentative intertextuality the Imam (peace and blessings be upon him) employed is an effective device to convince the addressees, for example, an argument of authority. They are considered among the strongest arguments. Because they have effective authority, and this type of argument is the device of the preacher through which he achieves his goal and his purpose according to the culture of the addresser. In doing so, his sermons come as a strategy of persuasion to address his recipients; here his speech is to gain the power of persuasion through a text that cuddles a supreme authority over his addressees. If the most important thing for the arguer to do is to broach an issue that calls minds to objective and conscious contemplation.

Having the correct opinion, Imam Al-Hassan, may Allah bless him and grant him peace, exploits the Quranic and Hadith texts to achieve the effectiveness of his argumentative speech, thus his argumentations find a great ground of success to convey his political, moral, and religious argumentations, through a force that encourages the addressee to think and meditate to obtain recognition of a certain truth.

المدخل

يكسب القرآن الكريم، والحديث الشريف النصّ الحجاجي حجة تدفع نحو اقناع المتلقي، والتأثير فيه تبعاً للنص المتناص معه، فالتناص الحجاجي القرآني والحديثي الذي استعمله الإمام عليه السلام كان أداة فاعلة في اقناع متلقيه، إذ مثلاً حجة سلطة، فهما يعدان من أقوى الحجج؛ لأنهما يمتلكان سلطة فاعلة، وهذه النوع من الحجاج أداة الخطيب التي بها يبلغ غايته وبها يتحصل مقصده واستعماله بحكم ثقافة الباث، فتوظيفه في خطبه يمثل استراتيجية اقناع يمارسها على متلقيه؛ ليكسب خطابه قوة اقناع عبر نصّ يمثل له سلطة عليا على مستمعيه ومن خلاله يخلق الإمام الحجة الدامغة عليهم. وإذا كان أهم شيء يقوم عليه الحجاج هو تقديم الطروحات التي تدعو العقول إلى التدبر الموضوعي والواعي في القضايا المقدمة، بغية بناء الرأي الصحيح، فإن الإمام الحسن عليه السلام وظف النصّ القرآني والحديثي خير توظيف؛ من أجل تحقيق النجاعة لخطابه الحجاجي حتى تحول خطابه إلى نصّ مقنع يرمي إلى إقناع المتلقي، والتأثير فيه رغبة في نجاح حجاجه الديني والأخلاقي والسياسي، عبر قوة تدفع المخاطب إلى التفكير والتأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة من خلال المباحث الخمسة الآتية.

المبحث الأول / الحجاج، مفهومه، وملامح تأسيسه

الحجاج عملية فكرية ذات هدف إقناعي انطلاقاً من تقديم مجموعة من الحجج والبراهين، تتجسد في أنماط مختلفة من القول تشكل حواراً إقناعياً يقوم على أسس منها: ما هو فكري يتعلق بمجموعة من المنطلقات، أو المبادئ الحجاجية المتمثلة بالأفكار المشتركة بين المتحاورين التي تمثل نقطة انطلاق الحوار الحجاجي، وبطرائق عرض الحجج نفسها من تقنيات شبه منطقية، أو ناظرة إلى الواقع وربما مؤسّسة للواقع، كما يقوم الحجاج على جملة مفاهيم، ولكل مفهوم منها نظرة خاصة لفكرة الحجاج، وقد ذكر علماء الحجاج مجموعة من الخصائص التي تميّز النص الحجاجي من غيره من النصوص؛ إذ قسّمت الدراسات اللسانية النصوص على أقسام بحسب الخصائص المميزة لكل قسم^(١)، ومنها النص الحجاجي الذي يقصد به تغيير اعتقاد يُفترض وجوده عند المتلقي وإقناعه بوجهة نظر جديدة؛ فالهدف الرئيس من النص الحجاجي هو إقناع المتلقي^(٢). ولا يكون إلا في موطن الخلاف، ويكون عادة بين متكلم، ومخاطب ويقوم على مبدأ توجيه الحجة أو الملفوظ نحو النتيجة التي تكون صريحة أو ضمنية. والحجاج هو جوهر الخطابة بوصفها فن الحمل على الإقناع^(٣)، ووسيلة من وسائل التعبير عن الرأي، وفكرته تقوم على الإقناع بخلاف الجدل القائم على التبيكيت^(٤)، والتبيكيت هو التقرّيع والتعنيف^(٥)، وبذا يقع مشروع الحجاج بوصفه خطابة جديدة بين مفهومَي الجدل، والخطابة القديمة؛ فالجدل تبكيتي، والخطابة القديمة تقوم على إثارة المشاعر والانفعالات، وتسعى إلى إرضاء الجمهور واستمالته^(٦)، أمّا مفهوم الحجاج حديثاً فهو قاسم مشترك بين هذين المفهومين^(٧)؛ إذ يشترك كلاهما في إنتاج الحجاج، يقول أرسطو في الجدل والخطابة: ((قوتان لإنتاج الحجج))^(٨). تعدّ الخطابة عند أفلاطون: ((صناعة قيادة النفوس بالقول))^(٩) وعنى بذلك قيادة النفوس إلى الخير والحق والعدل^(١٠)، أمّا عند أرسطو الذي جاء بعده فقد وضع أسس التفكير الصحيح، وقواعد البرهان، والجدل، والخطابة، والرد على المغالطات السفسطائية، فكان بذلك رائد دراسة الحجاج والرجوع الأساس لمن جاء بعده، والخطابة عنده هي: ((الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع))^(١١).

فأرسطو بنى تعريفه على فكرة الإقناع، أما أفلاطون فبنى مفهومه على قيادة المتلقي بما يتضمنه ذلك المفهوم من حمل على الإقناع، ولأرسطو يعود الرأي القائل بالفصل بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي، والفروق بينهما أن الأول تبكيّتي، والآخر إقناعي^(١٢)؛ والإقناع هو المركز في مفهوم الخطابة؛ بخلاف الحجاج الجدلي القائم على التبكيت، أمّا الحجاج الخطابي فهو حجاج يقصد به الباث إقناع الجمهور بقضية ما^(١٣).

أما عند علماء العرب المتقدمين، فقد تصدى العلماء لشرح كتب أرسطو، وتلخيصها، ولا سيما فيما يتعلق بآلية الإقناع؛ إذ عرّف الفارابي (ت ٣٣٩هـ) الخطابة بأنّها: ((صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس البشرية))^(١٤)، وذكر أن الخطابة تتصف بأن: ((لها قدرة على إقناع الجمهور بأسرهم في كل شيء))^(١٥).

وتنبّه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) لأهمية الحجاج في الحوار، بقوله: ((قال بعض الهنود: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة، بمواضع الفرصة))^(١٦)، وربط أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) الحجاج بالبلاغة عاذاً ذلك من اللطف في مخاطبة الآخرين؛ فاللطيف من الكلام: ((ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة))^(١٧).

أمّا في العصر الحديث - وهو موضع الاهتمام هنا - فقد سعى الألسنيون إلى إعادة الدور المهم للخطابة الذي تراجع في ظل التصاعد القوي للبرهان في العلوم المختلفة، فمفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه يقع في صميم الخطاب الإقناعي؛ فتعريف الحجاج عندهما يعني: ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))^(١٨)، فالحجاج عندهما أداة الحوار الإقناعي. ويلحظ المتتبع أن الدراسات الحجاجية أشارت إلى أهم الفروق بين الحجاج الجدلي، والحجاج الخطابي، وتمثل ذلك بالسمة الفردية في الحجاج الجدلي، والجماعية في الحجاج الخطابي، ومهمة الأول فحص مضمون الحكم بخلاف الثاني الذي يقوم بتوجيه الأفعال، وبناء القوانين لذا كان مرتبطاً على نحو وثيق بشؤون المجتمع^(١٩).

وقد امتاز الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه عن الخطابة القديمة من جهتين^(٢٠):

١. من جهة نوع الجمهور: إذ إنَّ جمهور الخطابة القديمة حاضرٌ، وعامٌ، بينما يجوز في جمهور الحجاج أن يكون حاضراً أو غائباً، ويجوز أن يكون عاماً، أو خاصاً، ويجوز أن يكون بين شخصين متحاورين، أو المرء ونفسه.

٢. من جهة نوع الخطاب: حصرت الخطابة القديمة الخطاب في ما هو شفوي، أمّا الخطاب الحجاجي عند المؤلفين، فيمكن أن يكون منطوقاً، كما يمكن أن يكون مكتوباً، بل إنها يلحّان على المكتوب، ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلّا ممّا هو مكتوب.

أما مفهوم الحجاج عند ديكر وفلأنه أهتمّ بالوسائل اللغوية التي يوظّفها المتكلم؛ لتوجيه خطابه وجهة حجاجية ما، لا كمفهوم بيرلمان وتيتيكاه الذين اهتموا بالبنى العقلية التي يوظّفها الخطيب في النصّ لإقناع الجمهور؛ لذا انطلقت من فكرة فحواها: ((إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير)). فيكون الحجاج عنده ((إنجاز لعملين هما: عمل التصريح بالحجّة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى؛ سواء كانت النتيجة مصرّحاً بها أو مفهومة))^(٢١)، وُحصرت وظيفة الحجاج عند ديكر وفي (التوجيه)^(٢٢)؛ فاللغة حجاج محض، والحجاج توجيه صرف^(٢٣)، والتوجيه يكون للمتلقّي في إقناعه بفكرة ما، وفي الخطاب يكون عبر تسلسل للأقوال فيه تؤدّيه الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، إذ ((يحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع، ومستوى الخطاب نفسه مع ما بين المستويين من تداخل))^(٢٤).

المبحث الثاني / المبادئ الحجاجية ومنطقاتها

هي مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة أي ((مجموعة من الأفكار العامة التي تعد الأرضية المشتركة بين فاعل الحجاج الخطيب ومتلقيه، وتمثل الضامن الذي يربط النتيجة بالحجة))^(٢٥)، وتمثل بمجموعة من المنطقات التي منها يكون الانطلاق للاستدلال وهي^(٢٦):

١. الوقائع:

وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس، وتنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معينة، ووقائع مفترضة، والتسليم بالواقعة من قبل المتلقي ليس إلا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع المساهمين في عملية الحوار؛ إذ يقتضي الواقع إجماعا كونياً.

٢. الحقائق:

وهي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية، وقد يعتمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليحقق موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة.

٣. الافتراضات:

وشأنها شأن الوقائع، والحقائق تحظى بالموافقة العامة لكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قوين إلا إذا جاءت في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما.

٤. القيم:

هي المعول عليها مدار الحجاج بكل ضروبه إذ تجعل السامع يذعن لما يُطرح عليه من آراء، ولئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي، فإنها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون، والسياسة، والفلسفة غذاءً أساسياً.

٥. الهرميات:

إن القيم ليست مطلقة وإنما هي خاضعة لهرمية ما؛ فالجميل درجات، وكذلك النافع، والهرمية نوعان: مجردة، مثل: اعتبار العدل أفضل من النافع، ومادية محسوسة، مثل: اعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان.

٦. المعاني أو المواضع:

هي مقدمات أعم من القيم، وهرميتها، فهي عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات لها، يعتمد إليها الخطيب للرفع من درجة إذعان الجمهور .

فغاية النص الحجاجي هو الإقناع، والإقناع يقتضي أولاً الإفهام، ومن أجل ألا يحصل سوء الفهم، لابد للمتكلم من أن يأخذ بعين الاعتبار الكفايات اللغوية، والذهنية المخاطبية^(٢٧)، ويجب أن يتميز الخطاب الحجاجي بكونه خطاباً مبنياً، وموجَّهاً، وهادفاً^(٢٨)، إذ ليس كل خطاب يكون حجاجاً بالضرورة .

المبحث الثالث / أهمية حجاجية التناص القرآني والحديثي

يتميز الشاهد في الثقافة العربية بسلطة حجاجية، خولتها له طبيعة الفكر العربي، خاصة الشاهد الشعري الذي غلب على غيره من أنواع الشواهد، ولما دخل العرب في الاسلام أصبحت الشواهد الدينية على رأسها القرآن الكريم أكثر النصوص مقبولة من حيث الاستشهاد، فهي نصوص ذات قيمة سلطوية على المخاطب، وأشار إلى أهمية ذلك د. عبدالله صولة، فقال: ((إنَّ الاستشهاد من شأنه أن يقوِّي درجة التصديق بقاعدةٍ ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام وتقوي حضور هذا القول في الذهن))^(٢٩). ولهذه النصوص أو الشواهد القدرة على التأثير في المتلقي؛ لأنها تمتلك سلطة فاعلة، وهي أداة الخطيب التي بها يبلغ غايته وبها يتحصل مقصده، وتتصف بأنها حجج جاهزة ليست من عمل الخطيب، ومزيتها فيها أنه يمثل دور الناقل لها، وتوظيفها بالشكل المقبول ينبئ عن مقدرته وكفاءته التداولية^(٣٠). ولهذا فإن اختيار الشاهد القرآني يخضع لمعايير تقتضيها الشروط المقاميّة التي تجد لها صدى شعورياً وعاطفياً لدى المخاطب، فتقوم بدور المحرك لخياله وتفرض عليه الانتباه وتسهّل عليه عمليّة الفهم .

ويأتي في الدرج التالية للقرآن الحديث الشريف، ووظيفته الحجاجية تبنيها أصوله التقديسية - انتسابه للمعصوم - وهو يوازي في جلالته جلاله النصّ القرآني^(٣١) فالتناص الحجاجي القرآني والحديثي هما وسيلة من وسائل الإقناع، والتعبير عن الرأي وتفنيد الرأي المخالف أي هدفهما



التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه ، وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد، سواء كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أم يقتضي فعلا ما، وربما كانت وظيفتها محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليها من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب ، وفي الصفحات اللاحقة سنرى إن شاء الله أهمية ذلك في خطاب الإمام الحسن عليه السلام .

المبحث الرابع / أنواع التناس القرآني والحديثي في خطبه

يأتي التناس في خطبه على نمطين: الأول: التناس المباشر ويقصد به استحضار المنشئ لآيات القرآن الكريم، أو أحاديث الرسول الأكرم، أو أهل بيته عليه السلام بصورة مباشرة لرفد نصه الفني بمزايا النص القرآني والحديثي بما يحملانه من معانٍ ودلالات متجددة تمنح النص قوة وتأثيراً، إذ يأتي بالنص باللفظ الحرفي المباشر للنص القرآني والحديثي وتركيبه^(٣٢). وساد التناس المباشر في خطب الإمام الحسن عليه السلام كثيراً؛ ولعل ذلك يرجع إلى عمق الدلالات القرآنية والحديثية ودقتها في تصوير المواقف المختلفة، وقرب المتلقي من عهد آيات القرآن الكريم والحديث وفهم مدلولاتها.

وقد يكون التناس غير مباشر وهو النوع الآخر، أي عدم ذكر الآية أو الحديث كاملاً أو بلفظه مباشرة، بمعنى ترك المتلقي في حالة تأمل للكشف عن الآيات الواردة في النصوص الفنية التي يشير إليها صاحب النص من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها^(٣٣) من خلال تقديم تلك الألفاظ أو تأخيرها .

المبحث الخامس / الدراسة التطبيقية

ومن أمثلة التناس في خطبه: قوله عليه السلام^(٣٤) على المنبر الكوفة - بعد محاولة معاوية استفزازه - وهي تقرب من ثلاث صفحات، ذكر فيها بعد حمد الله وذكر نعمه أنه من أهل البيت المطهرون، وقرن ذلك بالنصوص القرآنية المؤيدة لقوله ومكاته، وابيه، وأهله من الإسلام والقرآن بما لا يقبل الشك، نقتطف منها:

((إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ أَكْرَمِنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَاخْتَارَنَا وَأَصْطَفَانَا وَاجْتَبَانَا، فَاذْهَبْ عَنَّا الرَّجْسَ وَطَهِّرْنَا تَطْهِيراً، وَالرَّجْسُ: هُوَ الشُّكُّ، فَلَا شُكَّ فِي اللَّهِ الْحَقِّ وَدِينِهِ أَبَدًا وَطَهِّرْنَا مِنْ كُلِّ أَفْنٍ وَغِيَّةٍ، مُحْلِصِينَ



إلى آدمَ نِعْمَةً مِنْهُ ، لَمْ يَفْتَرِقْ النَّاسَ قَطَّ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنَا اللهُ فِي خَيْرُهُمَا ، فَأَدَّتِ الْأُمُورَ وَأَفْضَتِ
الدَّهْرَ إِلَى أَنْ بُعِثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِلنَّبِوَّةِ ، وَاخْتَارَهُ لِلرَّسَالَةِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالدَّعَاءِ
إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَ أَبِي ﷺ أَوَّلَ مَنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ ، وَصَدَّقَ
اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ فَرَسُولُ اللهِ الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَأَبِي الَّذِي يَتْلُوهُ ... وَكَانَ أَبِي سَابِقَ السَّابِقِينَ إِلَى
اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ وَأَقْرَبَ الْأَقْرَبِينَ ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ
مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ ... فَالنَّاسُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ بِسَبْقِهِ إِيَّاهُمْ
الْإِيمَانَ بِنَبِيِّهِ ... وَفَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ عَلَى كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ
اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : قُولُوا : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ » فَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ،
أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْنَا مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ... وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَدِّ الْأَبْوَابِ الشَّارِعَةِ فِي مَسْجِدِهِ
غَيْرِ بَابِنَا ... أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَوْ قُتِمْتُ حَوْلًا فَحَوْلًا أَذْكَرَ الَّذِي أَعْطَانَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَخَصَّنَا بِهِ
مِنَ الْفَضْلِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ لَمْ أَحْصِهِ ... غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَزَلْ أَهْلَ الْبَيْتِ خَائِفِينَ مَظْلُومِينَ
مُضْطَهَّدِينَ مُنْذُ قُبُضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ ظَلَمَنَا حَقًّا ، وَنَزَلَ عَلَى رِقَابِنَا ، وَحَمَلَ
النَّاسَ عَلَى أَكْتِفَانَا ، وَمَنْعَنَا سَهْمَنَا فِي كِتَابِ اللهِ ... فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَضَلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ وَكَيْفَ بِكُمْ
وَإِنِّي ذَلِكَ مِنْكُمْ ... وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى)) .

إذا كان الغرض من الخطاب الحجاجي التأثير في المتلقي لتدعيم موقف ما ، أو لتغيير رأي
يعتقده المخاطب وتبني رأي ، أو موقف آخر جديد ، نلاحظ على ما سيأتي أن الإمام الحسن ﷺ
من خلال حجاجه حاول جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار ، أو يزيد في درجة
ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب بالاعتقاد اليقيني به ومعرفة حقه وحق
أهل بيته ومنزلتهم ، ودفع الشك الذي تسرب إلى اذهانهم .

وقبل بيان ذلك نحاول معرفة الأسباب التي أدت إلى قول الخطبة بمراجعتها ومراجعة
المصادر التاريخية التي ذكرتها ، والتي ذكرنا جزءاً منها في هامش الاحالة على الخطبة ، ويمكن
اجمالها :

- ١- محاولة استفزاز الإمام الحسن (عليه السلام) من قبل معاوية ، والانتقاص منه .
- ٢- إنها قيلت في سبب الصلح الذي أبرم بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين معاوية .
- ٣- محاولة إهانة الإمام الحسن (عليه السلام) بجلوسه في مكان دون معاوية ، (وَأَمَرَ الْحَسَنَ (عليه السلام) أَنْ يَقُومَ أَسْفَلَ مِنْهُ بِدَرَجَةٍ) .
- ٤- ادعاء أهليته للخلافة بشهادة الإمام الحسن (عليه السلام) ، وعدم أهلية الإمام لذلك (رأني للخلافة أهلاً ولم ير نفسه لها) .
- ٥- تضليل الرأي العام من قبل معاوية أن بيعة الإمام له طوعية من دون اكراه (أتانا ليبائع طوعاً) .
- ٦- محاولة اثبات الادعاء- أي التنازل والأهلية - بأمر الإمام الحسن (عليه السلام) بإلقاء الخطبة وتأكيده ذلك، (قَالَ: قُمْ يَا حَسَنُ، فَقَامَ الْحَسَنُ (عليه السلام) فَخَطَبَ) . بعد هذا نرجع إلى الخطبة لبيان مواطن التناص الحجاجي القرآني والحديثي :

لما انتهى (عليه السلام) من الافتتاح بحمد الله والثناء عليه وتوحيده، والصلاة على النبي وآله شرع بمخاطبة الحاضرين أقول: معشر الخلائق فاسمعوا، ولكم أفئدة وأسماع فعوا: إنا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا واجتباناً، ففي قوله: (اختارنا، واصطفانا، واجتباناً) تناص قرآني غير مباشر اشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ الدخان/ ٣٢، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ال عمران: ٣٣-٣٤، وقوله عز اسمه ﴿ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم/ ٥٨. كل ذلك اشارة إلى ارتباطه وأهل بيته بالله سبحانه وأتم مختارون من قبله لتبليغ شرائع دينه وأهليتهم لقيادة المسلمين، وكان نتيجة الاختيار (فأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً) اشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الاحزاب/ ٣٣.

وقام الإمام مفسراً للرجس: بالشك، والطهارة: من ضعف الرأي والزنا بقوله: « والرَّجْسُ: هُوَ الشَّكُّ ، فَلَا نَشْكُ فِي اللَّهِ الْحَقِّ وَدِينِهِ أَبَدًا، وَطَهَّرْنَا مِنْ كُلِّ أَفْنٍ وَغِيَّةٍ، مُخْلِصِينَ إِلَىٰ آدَمَ نِعْمَةً

منه، لَمْ يَفْتَرِقْ النَّاسَ قَطُّ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنَا اللَّهُ فِي خَيْرَهُمَا» وتفسيره - هذا - يلائم حال المخاطبين الموالين ليشبثوا على إيمانهم بأهل البيت، والمخالفين ليعودوا إلى رشدهم .

ويمكن أن يلحظ في قوله: وَطَهَّرْنَا، مِنْ كُلِّ أَفْنٍ وَغِيَّةٍ، مُحْلِصِينَ إِلَى آدَمَ نِعْمَةً مِنْهُ، لَمْ يَفْتَرِقْ النَّاسَ قَطُّ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنَا اللَّهُ فِي خَيْرَهُمَا، فَأَدَّتِ الْأُمُورُ وَأَفْضَتِ الدَّهُورُ إِلَى أَنْ بُعِثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِلنَّبِوَّةِ، وَاخْتَارَهُ لِلرَّسَالَةِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ: تناص قرآني وحديثي، فالقرآني كقول الله: ﴿وَتَقْلُبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ الشعراء/ ٢١٩، ومعناها كما في مجمع البيان تقلبه: ((في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم ﷺ))^(٣٥). وهذا ما عليه اعتقاد الإمامية، قال الشيخ المفيد: ((اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله ﷺ من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله - عز وجل - موحدون له، واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار، قال الله - عز وجل: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: (لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا))^(٣٦)، وما ذكره الشيخ المفيد إشارة إلى التناص الحديثي الوارد في كلامه ﷺ .

ثم يبين مكانة أبيه وقربه من الرسول بعد بعثته وأنه أول المصدقين والمؤمنين به: ثُمَّ أَمَرَهُ بِالدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَكَانَ أَبِي ﷺ أَوَّلَ مَنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ، وَصَدَّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ويعطي مصداقاً تناصياً قرآنياً لذلك ويفسره وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ هود/ ١٧. فرسول الله الذي على بينة من ربه، وأبي الذي يتلوه، وهو شاهد منه .

وما أورده الإمام من تفسير رواه الخاصة، والعامة من ذلك الثعلبي، إذ ذكر ذلك في تفسيره بقوله: ((﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ عليّ خاصة))^(٣٧)، وقال: ((سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْ ثَبَّتَ لِي وَسَادَةٌ فَأَجْلَسْتُ عَلَيْهَا لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاشِي إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ بِهِ يُسَاقُ إِلَى جَنَّةٍ، أَوْ يُقَادَ إِلَى نَارٍ. فَقَامَ

رَجُلٌ فَقَالَ: مَا آيَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيكَ؟ قَالَ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ﴿رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَا شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (٣٨). ومن الخاصة ما ذكره الفيض الكاشاني في تفسيره: ((الذي على بينة من ربه: رسول الله ﷺ، والذي تلاه من بعده: الشاهد منه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم أوصياؤه واحد بعد واحد)) (٣٩).

وما ذكره الإمام سابقاً، وما سيذكره لاحقاً مقدمة لبيان العلاقة بين الرسول الأكرم، والإمام علي (عليه السلام) وأثرها في الاستحقاق الخلافي، الديني، والسياسي، والاجتماعي؛ لذا بعد ذكره للنص الحجاجي القرآني يذكر أن الإمام علياً هو نفس الخاتم محمد ﷺ، قال: «وَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَوْسِمَ بَبْرَاءَةَ»: «سِرَّ بِهَا يَا عَلِيُّ، فَإِنِّي أَمَرْتُ أَنْ لَا يَسِيرَ بِهَا إِلَّا أَنَا، أَوْ رَجُلٌ مِنِّي، وَأَنْتَ هُوَ يَا عَلِيُّ». (٤٠)

«فَعَلِيٌّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ».

وحادثة براءة معرفة مشهورة لدى المسلمين، ذكر العلامة السيد الطباطبائي: ((فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ دَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَى مَكَّةَ، وَيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ بِمَنْىَ يَوْمِ النَّحْرِ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ نَزَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا رَجُلٌ مِنْكَ).

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي طَلَبِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَحِقَهُ بِالرُّوحَاءِ وَأَخَذَ مِنْهُ الْآيَاتِ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَيْئٍ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ لَا يُؤَدِّيَ عَنِّي إِلَّا أَنَا، أَوْ رَجُلٌ مِنِّي)) (٤١).

وتبع ذلك بتناص حديثي آخر قال له نبي الله ﷺ: «أَمَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ فَمَنِّي، وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي» (٤٢). فصَدَقَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سابقاً، وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ.

ثم أوضح ولاء والده للنبي العظيم، وثقته في كل مواطن نزلها، وسافر لها وغزاها، مستشهداً بنص قرآني مباشر، قائلاً:

«لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ يَقْدَمُهُ، لِكُلِّ شَدِيدَةٍ يُرْسِلُهُ ثِقَةً مِنْهُ وَطُمَأْنِينَةً إِلَيْهِ، لِعِلْمِهِ بِنَصِيحَتِهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَأَنَّهُ أَقْرَبَ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ

السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ الواقعة / ١٠-١١ ، وَكَانَ أَبِي سَابِقِ السَّابِقِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَأَقْرَبِ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

وفسر شيخ الطائفة الطوسي بإشارته إلى للمعنى في الآيتين الشريفتين، إذ ذكر أن: ((مَعْنَاهُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى اتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَصَارُوا أُمَّةً اهْتَدَى))^(٤٣) . لهذه الأولوية من سبقه درجات ومستويات، وكان الإمام علي أول من له الأولوية في هذا الصدد. لذلك ، أحضر الإمام الحسن أكثر من نص تناسي قرآني مباشر لتأكيد ذلك لمخاطبيه: «قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً ﴾ الحديد / ١٠ . فَأَبَى كَانُوا لَهُمْ إِسْلَامًا ، وَإِيمَانًا ، وَأَوْهَمَ إِلَى اللَّهِ ، وَرَسُولُهُ هِجْرَةً ، وَلِحُوقًا وَأَوْهَمَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَوَسَّعَ نَفَقَةً ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ، وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحشر / ١٠ . فإِنَّ النَّاسَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ بِسَبْقِهِ إِيَّاهُمْ الْإِيمَانُ بِنَبِيِّهِ ﷺ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الْإِيمَانِ أَحَدٌ . وَقَدْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ التوبة / ١٠٠ . فَهُوَ سَابِقُ جَمِيعِ السَّابِقِينَ ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) فَضَّلَ السَّابِقِينَ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، فَكَذَلِكَ فَضَّلَ سَابِقِ السَّابِقِينَ عَلَى السَّابِقِينَ» .

فإذا كان الإمام علي مصداقاً للآيات الشريفة بل أعلى مصاديقها وصدقها، يأتي بتناسق قرآني آخرين فيه إيمانه وسبقه وتفضيل الله سبحانه له، وسبب نزولها فيه دون غير، فيقول: «قال الله عز وجل: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ التوبة / ١٩ . فَكَانَ أَبِي الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا ، وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ» .

والخاصة والعامة من المسلمين، قد ذكروا أن سبب نزولها في الإمام علي (عليه السلام) من ذلك، ما نص على ذكره في تفسيره الحويزي: ((نَزَلَتْ : فِي عَلِيٍّ ، وَعَبَّاسٍ ، وَشَيْبَةَ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : أَنَا أَفْضَلُ ؛ لِأَنَّ سِقَايَةَ الْحَاجِّ بِيَدِي ، وَقَالَ شَيْبَةُ أَنَا أَفْضَلُ ؛ لِأَنَّ حِجَابَهُ الْبَيْتُ بِيَدِي ، وَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) : أَنَا أَفْضَلُ فَإِنِّي آمَنْتُ قَبْلَكُمْ ، ثُمَّ هَاجَرْتُ وَجَاهَدْتُ ، فَرَضُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ... ﴾))^(٤٤) .

وتزداد حجج الإمام الحسن (عليه السلام): وتناصاته، فيأتي على ذكر الأمثلة لشخصيات عرفت بقربها، ومكانتها من رسول الله، وأثر هذا القرب في زيادة الحسنات، أو ضعف العقاب بارتكاب المحرمات، وهذه الألية تسهم في ((رفع ذات المخاطب إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندها يتبوأ المخاطب بخطابه مكاناً عالياً، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه))^(٤٥).

فيذكر الحمزة سيد الشهداء وعمه جعفر بقوله: «كَانَ مَن اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ حَمْزَةً، وَجَعَلَ ابْنُ عَمِّهِ، فَقَتِلَا شَهِيدَيْنِ ﷺ فِي قَتْلِ كَثِيرَةٍ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْزَةً سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَجَعَلَ لِحُجَّعِرٍ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَذَلِكَ لِمَكَانِهِمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْزِلَتِهِمَا وَقَرَابَتِهِمَا مِنْهُ ﷺ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَمْزَةَ سَبْعِينَ صَلَاةً مِنْ بَيْنِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا مَعَهُ».

ثم يذكر ما لنساء النبي من الثواب والعقاب، وفيه تناص قرآني غير مباشر: «كَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، لِلْمَحْسَنَةِ مِنْهُنَّ أَجْرَيْنَ، وَلِلْمَسِيئَةِ مِنْهُنَّ، وَزَرَيْنَ ضِعْفَيْنِ؛ لِمَكَانِهِنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وفيه إشارة لقوله سبحانه: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الاحزاب/ ٣٠-٣١. وهذا الضعف من الثواب والعقاب؛ لأن ((نعم الله سبحانه عليهن أكثر؛ لمكان النبي ﷺ منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فإذا كانت النعمة عليهن أعظم وأوفر كانت المعصية منهن أفحش والعقوبة بها أعظم وأكثر))^(٤٦).

ويبدأ حجاج الإمام بالتصاعد بذكر شخصه مع أهل بيته بعد التأسيس لمكانة أبيه من رسول الله إذ يذكر تناصاً حديثاً مباشراً، وقرآنياً غير مباشر يوجب الصلاة عليه وعلى أهل بيته فريضة من الله على عباده جميعاً، بقوله: «وَفَرَضَ اللَّهُ ﷻ الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ، ﷺ عَلَى كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: قُولُوا: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ)»^(٤٧) «فَحَقَّقَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْنَا مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرِيضَةً وَاجِبَةً».

أما التناص القرآني غير المباشر ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب-٥٦. ذكر الشيخ العلامة محمد جواد مغنية في تفسير الكبير، الآية الشريفة: ((قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ))^(٤٨)، وورد هذا المعنى في صحيحي الشيخين البخاري، ومسلم^(٤٩).

وهذا يستدعي أن يكون ما للنبي ﷺ من الحقوق والواجبات لهم، وما عليه عليهم لذا إشارة لذلك ﷺ مع خصيصة أخرى لهم دون غيرهم وهي الخمس «وأحلَّ الله تعالى خُمُسَ الْغَنِيمَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَوْجَبَهَا لَهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَوْجَبَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ مَا أَوْجَبَ لَهُ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الصَّدَقَةَ، وَحَرَّمَهَا عَلَيْنَا مَعَهُ، فَأَدْخَلْنَا (فَلَهُ الْحَمْدُ) فِيهَا أَدْخَلَ فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَخْرَجْنَا وَنَزَّهْنَا مِمَّا أَخْرَجَهُ مِنْهُ وَنَزَّهَهُ عَنْهُ، كَرَامَةً أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهَا، وَفَضِيلَةً فَضَّلَنَا بِهَا عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ». وفي قوله: «وأوجبها له في كتابه» تناص قرآني غير مباشر لقوله سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال/ ٤١.

وفي تفسير العياشي ذكر عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ قوله: ((أما خُمُسُ الله: فللرسول يَصْعُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا خُمُسُ الرَّسُولِ: فلأقاربه، وخُمُسُ ذَوِي الْقُرْبَى: فَهُمْ أَقْرَبَاؤُهُ، وَالْيَتَامَى يَتَامَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَجَعَلَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَسْهُمَ فِيهِمْ، وَأَمَّا الْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ: فَقَدْ عَرَفْتُ إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَلَا نَحِلُّ لَنَا، فَهِيَ لِلْمَسَاكِينِ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ))^(٥٠).

ثم يذكر مكانته وأهل بيته في كتاب الله في آية المباهلة وكأنه يعرض بمعاوية ومن لف لفه، أو انكر إمامته وجحد منزلته، فقال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ جَحَدَهُ كَفَرَةَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَحَاجُّوهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾» ال عمران-٦١. فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْفُسِ، مَعَهُ أَبِي، وَمَنْ الْبَنِينَ إِبْرَاهِيمَ وَأَخِي، وَمَنْ النِّسَاءَ أُمِّي فَاطِمَةُ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا فَنَحْنُ أَهْلُهُ وَحُمُهُ وَدَمِهِ وَنَفْسُهُ». في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ذكر قائلاً: ((ظاهر هذا أن الدعاء والمباهلة بين المخاطب: بقل: وبين من حاجه، وفسر على هذا الوجه: الأبناء بالحسن والحسين، و: بنسائه

: فاطمة، و: الأنفس بعلى. قال الشعبي: ويدل على أن ذلك مختص بالنبي ﷺ مع حاجة ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ: فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي) ((٥١)).

ويحمل النص أعلاه عدة دلالات ومضامين تستفاد من التناص القرآني نجملها ب:
المضمون الدلالي الأول: إن تسمية شخصية المباهلة ليست صدفة عفوية مرتجلة، بل هي اختيار إلهي واع، وقد أجاب الرسول ﷺ عندما عرض عليه السؤال عن هذا الاختيار بقوله: ((لو علم الله تعالى أن في الأرض عبداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين، لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء، فغلبت بهم النصارى)) ((٥٢)).

المضمون الدلالي الثاني: إن الاتحاد الدائم بين الرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام هي ظاهرة تعبر عن محتوى رسالي كبير يحمل دلالات فكرية، وروحية، وسياسية خطيرة، فالمسألة ليست تكريساً للمفهوم القبلي الذي ألفته الذهنية العربية، بل هو الإعداد الرباني الهادف لصياغة الوجود الامتدادي في حركة الرسالة، هذا الوجود الذي يمثله أهل البيت عليه السلام بما يملكونه من إمكانات تؤهلهم لذلك، لذا فالإمام الحسن عليه السلام أولى، وأليق، وأنسب، وأحق بالخلافة من معاوية.

بعد ذلك يبين أنهم أهل النبي وخاصته دون غيرهم، عبر آية التطهير التي خصهم الله بها وتأكيد النبي ذلك من خلال الممارسة العملية له في حياته، يقول: ونحن منه وهو منّا وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب/ ٣٣. فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ أنا وأخي وأمي وأبي، فجللنا ونفسه في كساءٍ لأم سلمة خيبري، وذلك في حُجْرَتِهَا وَفِي يَوْمِهَا، فقال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَهَؤُلَاءِ أَهْلِي وَعِترتي، فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: أَدْخَلَ مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهَا ﷺ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ، وَمَا أَرْضَانِي عَنْكَ! ولكنها خاصة لي ولهم. ((٥٣)). ثم مكث رسول الله ﷺ بعد ذلك بقية عمرة حتى قبضه الله إليه، يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً»^(٥٤). ويضعاف الدلائل والبراهين والخصائص النازلة بحقهم التي عرفها المخاطبون في حياتهم. وتناساها الآخرون، فيصدق بها معلناً ويوضحها مفصلاً ذاكراً تناصاً نبوياً عرف بحديث سد الأبواب يقول: وأمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا، فكلّموه في ذلك، فقال: «إني لم أسد أبوابكم وأفتح باب عليّ من تلقاء نفسي، ولكنني أتبع ما يوحى إليّ، وإن الله أمر بسدّها وفتح بابها»^(٥٥)، فلم يكن من بعد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ﷺ ويولد فيه الأولاد غير رسول الله وأبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) تكرمة من الله تعالى لنا، وفضلاً اختصنا به على جميع الناس. وهذا باب أبي قرين باب رسول الله ﷺ في مسجده، ومنزلنا بين منازل رسول الله ﷺ وذلك إن الله أمر نبيّه ﷺ أن يبني مسجده، فبنى فيه عشرة أبيات تسعة لبنيه وأزواجه وعاشرها وهو متوسطها لأبي فيها هو لبسيل مقيم، والبيت هو المسجد المطهر، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فنحن أهل البيت، ونحن الذين أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً.

يمكن أن نفهم ممّا تقدم أنّ التناص القرآني، والحديث الذي ذكره الإمام أراد منه الإشارة إلى:

١- أنّه لم يرد في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة في أحدٍ مثلما ورد في أهل البيت (عليهم السلام) من تعداد فضائلهم المتميزة ومناقبهم التي اختصوا بها من بين أفراد الأمة وحازوها من دونهم، وقد ذكر المؤشرات الصريحة على الخصوصية التي تميز بها أهل البيت (عليهم السلام) دون سائر الأمة.

٢- لم يرد في السنة المباركة في فضل أحدٍ مثلما ورد في أهل البيت (عليهم السلام) من الأحاديث الصحيحة والمتواترة التي تصرّح بخصائص تفردوا بها وفضائل لا يشاركون فيها أحد، ولم يكن تأكيد الرسول الاكرم ﷺ على تلك الخصائص والصفات منطلقاً من بواعث ذاتية أو عاطفية، بل إنّهُ يعبر عن تأصيل المبدأ القيادي للأمة بعد الرسول ﷺ، وذلك يتضح من جملة الظواهر المستمدة من النصوص الحديثية، كالتأكيد على حالة الاقتران بين الرسول الاعظم، وبين أهل البيت (عليهم السلام)، والاقتران بين الكتاب الكريم وأهل البيت (عليهم السلام)، ولزوم التمسك بهم والافتداء بنهجهم، وتأكيد الحبّ والموالة لهم، وبيان الموقع المتميز لهم دون سائر أفراد الامّة.

لو شاء الإمام لعدد فضائل أهل بيته ومناقبهم التي أنزلهم الله ورسوله فيها، لكنه يكتفي بما تقدم لكي يدخل في صلب موضوعه الذي قدّم له تناصاته الحجاجية، إذ قال: «أيها الناس، إنّي لو قمت حولاً فحولاً لأذكر الذي أعطانا الله عزّ وجلّ وخصّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ لم أحصه، وأنا ابن النبيّ النذير البشير، السراج المنير، الذي جعله الله رحمة للعالمين، وأبي عليّ، وليّ المؤمنين، وشبيه هارون».

في قوله تناصات قرآنية وحديثية، ففي قوله: (أنا ابن النبيّ النذير البشير، السراج المنير) تناص قرآني لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَذَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ الاحزاب/ ٤٥-٤٦. فإذا كان النبي مرسلأ من قبل ربه فيكفيه من ذلك أداء وظيفته الرسالية التي لم يقصّر فيها، إذ أوصل نداءه إلى مسامعهم، فهو مبشّر للمحسنين بثواب الله بالسلامة والسعادة الخالدة، ونذير للكافرين والمنافقين عمي القلوب المتعصّبين الذين لم يستفيدوا من هذا النور مطلقاً، فالنبي بمنزلة السراج الذي يهتدي به الخلق ليزيح ظلمات الجهل والشرك والكفر عن سماء روح البشر، والمنير هو الذي يصدر النور من جهته إما بفعله، وإما لأنه سبب له، فسواء استجابوا أو لم يستجيبوا، فقد ألقى عليهم الحجة، وفي الآية إشارة إلى أنّ الرسول ﷺ لا يقوم بهذا العمل من عند نفسه، وإنّما هو مأمور من قبل الله تعالى. وكذلك الإمام الحسن مع الناس فهو يمثل امتداد النبوة وأكد ذلك بقوله (أنا ابن النبيّ...) . وفي قوله: (الذي جعله الله رحمة للعالمين) يلحظ تناصاً قرآنياً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الانبياء/ ١٠٧. فهو مع ما تقدم من أوصاف رحمة ورأفة للعالمين جميعاً، يريد لهم الخير ويدفع عنهم الشر.

وفي قول: «وأبي عليّ، وليّ المؤمنين، وشبيه هارون» تناص حديثي إشارة إلى قول الرسول محمد ﷺ - وسيذكره عليه السلام فيما بعد - ((انت الخليفة من بعدى، وانت قاضي ديني، وانت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، وانت ولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى)) (٥٦). وهذا تأكيد حجاجي لما تقدم ذكره من منزلته وأهل بيته، وأنه أهل للخلافة بعد رسول الله وأبيه وان مدعي الاستحقاق دونه كاذباً، لذا سيبدأ التصريح علنا بالدفاع عن حقه وكشف

الاباطيل، وتضليل الرأي العام بأحقية معاوية بالحكم دونه، بقوله: «وإن معاوية بن صخر زعم أنني رأيت للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية، وأيم الله لأنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ».

إذن ما الداعي لأن يتنازل الإمام عن حقه بالتصالح مع معاوية؟ فبين الأسباب قائلًا: «غير أننا لم نزل أهل البيت مخيفين مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله ﷺ فالله بيننا وبين من ظلمنا حقًا، ونزل على رقابنا، وحمل الناس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله [من الفياء] والغنائم، ومنع أمنا فاطمة إرثها من أبيها. إننا لانسمي أحداً».

في قوله إشارة إلى تناص قرآني لقول عز اسمه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر / ٥-٦.

والآيتان بصدد بيان حكم الفياء وهي الغنائم التي لم تكن بسبب قتال، ولم تكن نتيجة حرب، فإنها جميعاً من مختصات الرسول ﷺ باعتباره رئيساً للدولة الإسلامية، ويتصرف بها كما يشاء، وفقاً لما يقدره من المصلحة في ذلك. وأشار (سلام الله عليه) إلى قصة فداء وهي مشهورة، وتعدّ نحلة رسول الله ﷺ روي أنه ﷺ قال لفاطمة: ((يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: هذه فداء هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، فقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذها لك ولولدك))^(٥٧)، وفي قوله اشار إلى قول الله تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ الاسراء / ٢٦، قال الفيض الكاشاني في تفسيرها: ((لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: ادعوا لي فاطمة ﷺ فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول الله، فقال هذه فداء هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين، فقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذها لك ولولدك))^(٥٨). وهذا تعريض صريح بمعاوية ومن ناصره، بأنهم خلف لشرف سلف اغتصب حقهم ومنع ارثهم الذي فرضه الله لهم دون غيرهم.

ثم يبين الإمام الآثار المترتبة على طاعته وأهل بيته، ومعصيتهم مقسماً على ما يقول: «أقسم بالله قسماً تالياً، لو أن الناس سمعوا قول الله عز وجل ورسوله، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة».

ثم يبين سبب تسلط معاوية على رقاب المسلمين، والأسباب الداعية لتنازله عن الخلافة موضحاً ذلك بحجج عقلية ونقلية من التاريخ عبر التمثيل والعرض المقنع، قال: وما طمعت فيها يا معاوية، ولكنها لما أخرجت سالفاً من معدنها، وزحزحت عن قواعدها، تنازعتها قريش بينها، وترامتها كترامي الكرة حتى طمعت فيها أنت يا معاوية وأصحابك من بعدك، وقد قال رسول الله ﷺ: «ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا»^(٥٩). وقد تركت بنو إسرائيل - وكانوا

أصحاب موسى عليه السلام - هارون أخاه وخليفته ووزيره، وعكفوا على العجل وأطاعوا فيه سامريهم، وهم يعلمون أنه خليفة موسى، وقد سمعت هذه الأمة رسول الله ﷺ يقول ذلك لأبي (عليه السلام) «إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وقد رأوا رسول الله ﷺ حين نصبه لهم بغدير خم وسمعوه، ونادى له بالولاية، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب وقد خرج رسول الله ﷺ حذاراً من قومه إلى الغار - لما أجمعوا أن يمكروا به، وهو يدعوهم - لما لم يجد عليهم أعواناً، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدهم. وقد كفّ أبي يده وناشدهم واستغاث أصحابه فلم يُغث ولم يُنصر، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجابهم، وقد جعل في سعة كما جعل النبي ﷺ في سعة. وقد خذلتني الأمة وبايعتك يا بن حرب، ولو وجدت عليك أعواناً يخلصون ما بايعتك، وقد جعل الله عز وجل هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه، كذلك أنا وأبي في سعة حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا، ولم نجد عليهم أعواناً وإنما هي السنن والأمثال تتبع بعضها بعضاً. يلحظ في ما ذكره الإمام أمور حجاجة تتمثل بـ:

١ - إن طمع معاوية إشارة إلى عدم استحقاقه وأهليته للخلافة؛ لأنها خرجت عن مسارها الذي رسم لها يوم اجتمع القوم في سقيفة بني ساعدت وكان الانطلاق الأول في تنحية أهل البيت عن مقامهم الإلهي الذي وضعهم الله ورسوله فيه، وكان من نتائج ذلك تسلطك على المسلمين.

٢- في حجاجية قول الرسول شاهد واضح لما ذكر في النقطة السالفة، وأهلية الإمام الحسن للخلافة، وفي ذكر قصة بني اسرائي في خطابة ما هو إلا دليل على تحبط معاوية ومن معه، بل غالبية الناس في رجوعهم عن جادة الصواب والاسلام الحق الذي يمثله الإمام الحسن لا معاوية.

٣- في حديث المنزلة للرسول ﷺ والاقرار لعلي عليه السلام بالولاية شاهد واضح وقرار صريح بالاستحقاق للخلافة للإمام علي وبنيه بالنص الجلي فقد قال رسول الله: ((يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من انفسهم ، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه))^(٦٠). وإن دلّ هذا على شيء فيدلّ على أن معاوية عدواً لله ولرسوله ومغتصب الحق من أهله.

٤- عقد المقارنة التشابهية الكبيرة في الامثال والسنن الجارية بينه وبين الرسول وأبيه علي عليه السلام دليل جلي على قربته من رسول الله ﷺ وإنّ ما فعله من التنازل عن الخلافة ليس عن ضعف وقلة تدبير، وإنّما هي المقادير التي تجبر الانسان أن يسلك هذا الطريق، وذكر ما جرى على رسول الله وأبيه مع احقيتهم في الحكم شاهد واضح على حكمة وصلاح لأُمور المسلمين كما فعل سلفه سابقاً، وهو مسك يقل فيه الفساد ويتجنب فيه العثرة.

٥- خذلان الأمة لواليتها وراعي مصالحها الحقيقي نتيجة التغيرير بهم وضعف الرأي الناتج عنهم أدى ذلك إلى تغيير كثير من السنن والحقوق المفروضة من قبل الله، وبهذا يلغي معاوية النبوة والوحي والإسلام كلياً.

٦- رأى الإمام عليه السلام أنه اضطر إلى مبايعة معاوية وتسليم السلطة له، لكنه لم يضطر أبداً إلى السكوت عن دوافعه الجاهلية، ولذلك سعى دائماً إلى توضيح هذه الحقيقة وقمع باطل معاوية وإفحامه. وعليه أن يدون مكانته للأجيال، وأن يبين للناس الذين ذهبوا إلى معاوية وتركوا أهل نبيهم الطريق الخداع الذي اختاروه، وفي حلق الطاغية سلمت زمام امرها.

ولا ريب أن النصّ الخطابي للإمام الحسن عليه السلام قد تضمن الحجج القائمة على علاقة التماثل والتشابه و((أظهر ما يميز هذه الحجج كونها حججاً لا تستند إلى الواقع، بل تصنع واقعاً جديداً، وذلك من خلال توليد علاقات حادثة بين الاشياء والعناصر والمفاهيم... فلها وظائف حجاجية وادوار إقناعية تتولد عنها وتتبع منها))^(٦١)، وهذه الحجج سيكرر الإمام من

ذكرها في نصه التالي؛ لأن غايته الإقناع وممراته التيقن حتى تكون المواقف المعروضة صحيحة الأصول مدعومة المبادئ يقوى فعلها ويشد تأثيرها .

بعد هذا البيان الذي لا محيص عنه من قبل متلقيه يرجع إلى التأكيد على قرابته القريبة ومنزلته الشديدة من الرسول محذرا معاوية وناصريه وعموم مخاطبيه من الضلال قائلاً: «أيها الناس ، إنكم لو التمستم بين المشرق والمغرب رجلاً جدّه رسول الله ﷺ وأبوه وصيّ رسول الله ﷺ لم تجدوا غيري وغير أخي ، فاتّقوا الله ولا تضلّوا بعد البيان وكيف بكم وآتى ذلك منكم » .

ثم يدفع دخل الشكاكين، والمنابذين، واللائمين، والناقمين له على ترك الخلافة مستدلاً بحجج قرآنية وتاريخية دامغة إذ قال: «ألا وإنّي قد بايعت هذا - وأشار بيده إلى معاوية- ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الأنبياء/ ١١١ . أيها الناس ، إنّه لا يعاب أحد بترك حقّه، وإنّما يعاب أن يأخذ ما ليس له ، وكلّ صواب نافع ، وكلّ خطأ ضارّ لأهله ، وقد كانت القضية ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الأنبياء/ ٧٩ . فنفعت سليمان ولم تضرّ داود . فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي والله للمؤمن أنفع ، قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب وهو في الموت : «قل لا إله إلا الله ، أشفع لك بها يوم القيامة» (٦٢) ولم يكن رسول الله ﷺ يقول له إلا ما يكون منه على يقين ، وليس ذلك لأحد من الناس كلّهم غير شيخنا - أعني أبا طالب - يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ النساء/ ١٨ .

فاستدعى الإمام الحسن عليه السلام النص القرآني ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ في مكانه لحجاجيته؛ لأنّه وجد فيه ما يؤكد ما ذهب إليه، ويدحض معاوية في استفزازه إذ أن النص القرآن قد كشف الصورة التي أراد الإمام الحسن عليه السلام إظهارها في سياق النص من جهة ، وعمّق الدليل في ذهن المتلقي من جهة أخرى، فضلاً عن دقة الاختيار في الآية الشريفة فيه تحتل دالتين: الأولى: استفهامية، قال الشيخ مغنية في تفسيره للآية: ((لست أدري ما هي الحكمة من إمهالكهم وتأخير عذابكم؟ هل أراد سبحانه بذلك أن يظهر كل على حقيقته ، فيتوب الطيب ، ويتمرد الخبيث ، أو انه أراد أن تستمتعوا أياما بقيت من أعماركم؟)) (٦٣) .

والأخرى: تأكيدية وهي ما نميل إليه، فالسياق والقرائن تؤكد ذلك، فالإمام لا يريد أن يستفهم، بل يريد أن يؤكد ما هم فيه بعد أن قدم النصوص والشواهد التي تدعم ذلك بما تعرض له النبي وأبيه والأنبياء ﷺ من قبله، فما انتم فيه يزيد من عذابكم إن لم تؤمنوا؛ لأنّ المعرض عن الإيمان بما ذكرته مع البيان حالاً بعد حال يكون عذابه أشد، وإذا متعه الله تعالى بالدنيا يكون ذلك كالحجة عليه ثم يكون أعظم لعقوبتكم .

ثم حاول الإمام الحسن ﷺ أن ينقل الصورة الصحيحة إلى انصاره، ويصحح الصورة الخاطئة التي رسمها معاوية ضده بكل ثقة فكان حجاجه العقلي الشرعي الأخلاقي «أيها الناس، إنّه لا يعاب أحد بترك حقّه، وإنّا يعاب أن يأخذ ما ليس له، وكلّ صواب نافع، وكلّ خطأ ضارٌّ لأهله» . بعدها استدعى حجاجية النص القرآني فهو وسيلة اقتضاها الحدث محاولاً منح السياق الخطابي القوة في البرهنة فجاء بالآية ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ ليمنح المعنى الذي يسعى إلى تعميقه في ذهن المتلقي قوة وتأثيراً، فالمسلك الذي سار به من الصلح هو امر اقتضته المصلحة والله امر به، وما تصرفه بهذا الأمر إلا عن يقين ودراية ومعرفة بما تؤول إليه الأمور، وما قصة النبي مع عمه مؤمن قريش ألا تأييداً لما طرحه الإمام الحسن ﷺ بان يرجعوا إلى رشدهم ويتعقلوا بما يعملون وينظروا بعين الصواب إلى اصحاب الحق المغتصب والالتفاف حولهم وترك أهل الباطل والاجتناب عنهم، من خلال الإشارة إلى الطاعة التي أوجبها الله عزّ وجلّ للرسول ﷺ وإلى أولى الأمر المتمثلين بأهل بيته .

ويؤكد المعنى التوكيدي الذي ذهبنا إليه خاتمة خطابه ﷺ وفيه ملامح اليأس والألم بعدم رجوعهم للرشد، وطريق الحق الذي أوضحه لهم بما لا يقبل الشك، ولا ينكره إلا معاند ضال قد سلب الله توفيقه للخير والصلاح، وفي استعماله للنص القرآني حجاج كاف وشاهد واف على ذلك: «أيها الناس، اسمعوا وعوا، وأتقوا الله وراجعوا، وهيئات منكم الرجعة إلى الحقّ، وقد صار عكم النكوص، وخامركم الطغيان والجحود؟! ﴿ أَنْزَلْنَاهُ لَكُمْ كِتَابًا فِيهِ آيَاتٌ لِّتُذَكَّرُوا ﴾» . هود/ ٢٨. والسلام على من أتبع الهدى .

ومن أمثلة خطبه قوله ﷺ بعد البيعة له بالأمر (بعد حمد الله وثنائه) (٦٤):



((نحن حزب الله الغالبون ، وعتره رسوله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون الطاهرون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ في أمته ، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالمعول علينا في تفسيره ، لا نتظنى تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة ، إذا كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان ، فإنه لكم عدو مبين فتكونوا أولياءه الذين قال لهم : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، فتلقون إلى الرماح وزراً ، وإلى السيوف جزراً ، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ، ثم ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾)) .

يلحظ أن الإمام الحسن في خطبته هذه يشير إلى وجوب اتباعه الذي يمثل اتباع أهل البيت عليه السلام؛ لأنهم المبدأ الرسالي المتضمن أبعاد مهمة تؤثر في حياة الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي . لذا فإن اتباعهم ، وحبهم لم يكن مجرد علاقة عابرة أو ارتباط عاطفي جذبنا إلى أفراد معينين ؛ لأنهم أهل بيت الرسول ﷺ . على العكس من ذلك ، فهو ارتبط بحزب الله ، وامتد لحبل الله الممتد من السماء إلى الأرض بعد النبي ﷺ ، وبذلك ربط حياة الفرد والمجتمع بتعاليم السماء التي تحققت إرادة الخالق العزيز ، فهم يمثلون الثقل الإلهي في الأرض وهم آيات الله ، والدالون عليه ، وفيهم تتجسد الصفات والكمالات التي يريد الله تعالى هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن اتباعهم والتمسك بهم يضمن سلامة الطريق المؤدي إلى الأهداف التي تريدها الرسالة الإسلامية الأصيلة؛ لأنهم النبع الصافي والمصدر الأمين لأحكام الرسالة ومفاهيمها والانفتاح على قيمها وعطائاتها ، ولذلك فهم الضمان للحفاظ على الشريعة الإسلامية ونهج النبي محمد وأفكاره ، وحماية الأمة من الانحراف ، حتى تسلك الصراط المستقيم الذي يضمن لها الخير والكمال . لذا كان لزاماً على الإمام بيان حججه القرآنية والحديثية ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .



بدأ الإمام الحسن خطابه بتناسق قرآني غير مباشر «نحن حزب الله الغالبون» ، وفيه إشارة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة/ ٥٦ . ذكر الحاكم الحسكاني عن ابن عباس قوله في تفسير الآية ((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ) يعني يحب الله (وَرَسُولَهُ) يعني محمداً (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يعني ويحب علي بن ابي طالب (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) يعني شيعة الله شيعة محمد وشيعة علي هم الغالبون يعني العالون على جميع العباد الظاهرون على المخالفين لهم)) (٦٥).

وقوله ﷺ: «وعرة رسول الله الأقبون» إشارة إلى حديث الثقلين الذي سيشير إليه . وقوله: «وأهل بيته الطيبون الطاهرون» إشارة إلى تناسق قرآني لآية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الاحزاب/ ٣٣ .

وفي قوله: «وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ في أمته» ، والثاني كتاب الله . تناسق حديثي غير مباشر إلى حديث الثقلين قال النبي محمد ﷺ: ((إني خلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) (٦٦) . وفي مكان آخر صرح رسول الله ﷺ بالثقلين... بعد أن قام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: ((يا رسول الله من عترتك؟ قال: علي والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة)) (٦٧).

يمكن أن يفاد من حججته بحديث الثقلين أمور :

الأمر الأول / لا يتحقق النجاة من الضياع إلا بالتمسك بكتاب الله العزيز، وعرة محمد ﷺ دون اتباع لغيرهم ؛ لأن بيان الرسول كان في مقام التوضيح ، ولو كان أمر ثالث في لنص عليه، فمن يزعم أنه مستمسك بغير أئمة أهل البيت ﷺ، وأنه صار بسبب ذلك على الهدى والحق ، فقد رد على رسول الله ﷺ قوله ، ونقض حكمه ، كما هو ظاهر وجلي .

الأمر الثاني/ أن التمسك بأحد الثقلين دون الآخر لا ينفع في الوصول إلى الحق فالواجب التمسك بهما معاً؛ لأن الرسول محمد ﷺ، ذكر ذلك بنص جلي لا غبار عليه في حديث الثقلين على أن التمسك بهما معا هو المنجي في الدين، والمخلص من الوقوع في التيه، والضلال، فمن زعم أنه متمسك بالقرآن ، وأنه ناج من الضلال بسبب ذلك ، فهو غافل متوهم ؛ لأن القرآن



الكريم فيه آيات منها المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والمبين والمجمل، والمطلق والمقيد، وتمييز بعض ذلك عن بعضه الآخر من الأمور المشكلة التي خفيت معرفتها على أكثر علماء، مما سبب وقوع الناس في مزيد من التحير والاختلاف، فلا بدّ، ولا مناص من اتباع العلامة الأخرى التي يكون اتباعها رافعا للتحير والاختلاف، وهم عترته، وأهل بيته (سلام الله عليهم اجمعين).

الأمر الثالث/ التأكيد، والاهتمام بمسألة تعيين المرجع العلمي بعد رحيل الرسول الخاتم ﷺ، فلا يسوغ في منطق العقل أن يترك صاحب الرسالة، الأمة المرحومة بلا راع، وهو يعلم أنّه برحيله سوف يواجه المسلمون حوادث مستجدة، ووقائع جديدة تتطلب أحكاماً غير مبينة في الكتاب والسنة، فلا محيص من وجود من ترجع إليه الامة بعد رحيله؛ ليحلّ مشاكلها ويدلّل أمامها الصعاب، وقد قام ﷺ ببيان من يتصدّى لهذا المنصب بحديث الثقلين .

لذا كان الإمام الحسن عليه السلام دقيقاً حين ذكر صفات كتاب الله وفيها تناص حجاجي مناسب ومعلل لما ذكره سابقاً، قال: (كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء) مشيراً لقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف/ ١١١ . وفي قوله: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تناص قرآني مباشر لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت/ ٤١-٤٢ .

ولكي لا يتطرق الشك إلى هذا الثقل والكتاب المفصل والمعزّ والمحمّود من قبل الله يجب أن يقرن بالثقل الآخر الموضح والمفسر والمبين له فجاء قوله ﷺ مؤيداً ومفصلاً لذلك: « فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنّى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله عزّ وجلّ ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النساء/ ٥٩، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء/ ٨٣ » .

فالأئمة عليهم السلام قد ورثوا الكتاب، وعلمه، وفهمه، وفقه أسرارهِ، ومقاصده وأبعاده، وبطونه دون غيرهم، فالكتاب الحكيم نفسه يشيد بمواقفهم وأقوالهم؛ إذ وصفهم بالطهارة من الرجز



المعنوي، والمادي، ذلك الوصف المؤكد الذي يقتضي تنزيههم عن أي خطأ وزلل، ومخالفة للكتاب واحكامه، بل يقتضي عدّهم مع القرآن في هدف واحد، وعلى جاده مستقيمة واحدة، ولا يخفى على اللبيب دلالة المعية، وعدم الفارقة على التلازم، وعدم الافتراق، أو الاختلاف في كل شيء إلى يوم القيامة، فهما القيمتان المتكاملتان والمتلاحمتان في الجوهر والمضمون، ولا يفصل بينهما مكان، أو زمان، أو رأي، أو مفهوم، يشتركان معاً في إضاءة عقل الإنسان وروحه وقلبه، فالقرآن أصل العلم، وأهل البيت عليهم السلام معرفته ومعدنه وبيانه .

بعد هذا البيان والتام والاعلان العام صعد الإمام خطابه بتحذيرهم من همزات الشيطان وكيده وغوائله مستعيناً بتناصين قرآنيين بقوله: (وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنه لكم عدو مبين فتكونوا أولياء الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ الانفال/ ٤٨، فتلقون إلى الرماح وزراً، وإلى السيوف جزراً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الانعام/ ١٥٨) .

والمحصل: أن الآيات والأحاديث المتقدمة التي تناصها الإمام دلت بما لا يدع مجالاً للريب على أن الناجين من كل فئات هذه الأمة هم أتباع أهل البيت عليهم السلام، السائرين على نهجهم، والآخذين بهديهم، والمقتفين لأثارهم، دون غيرهم من الناس. ونختم بحثنا بكلام الإمام علي في حق أهل البيت عليهم السلام إذ قال: ((لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَساسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُتَّقِلِهِ)) (٦٨) .

التائج

١- كان التناص الحجاجي القرآني والحديثي الذي استعمله الإمام عليه السلام أداة فاعلة في اقناع متلقيه، إذ مثل حجة سلطة تُعدّ من أقوى الحجج، فهو أداة الخطيب التي بها يبلغ غايته وبها يتحصل مقصده، فتوظيفه في خطبه مثل استراتيجية اقناع مارسها على متلقيه؛ ليكسب خطابه قوة الاقناع ومن خلاله يخلق الإمام الحجة الدامغة عليهم.

٢- في التناص القرآني المباشر يلحظ توظيفاً للنص القرآني من قبل الإمام عليه السلام بنصّه من دون تحويل أو تحويل عن طريق ادماجه في النص الخطابي؛ ممّا أكسب خطابه سلطة رمزية تجعل المتلقي يذعن لمراميه، فالمرسل والمتلقي يفترضان في النص الديني أنّه أعلى نظرياً من النصّ الشعري أو غيره. فجاء توظيفه لهذا النوع من التناص على سياقين:

الأول/ يدمج الآية في بناء النص لأسباب دلالية تتسق مع الفضاء العام للآية الكريمة في توافقها سياقياً، فيجريها الإمام مجرى المثل فيدمجها في سياق لا يخرجها عن الجو العام الذي وردت في السورة القرآنية.

الآخر/ وظّفه الإمام في خطابه بنصّه مراعاة لدلالة أخرى تختلف عن الفضاء العام الذي وردت فيه الآية القرآنية.

٣- في التناص القرآني غير المباشر اقتطع الإمام اجزاء من النص القرآني أو حورها بما يناسب السياق المقامي للخطاب، وفي هذا اللون من التناص حافظ النص المقامي على متانته الحجاجية، بما ترفده به سلطة النص القرآني من متانة داخلية في سياق بنائه الداخلي، فقام التناص غير المباشر عنده بوظيفتين:

أحدهما دلالية، رفدت النص الخطابي بدلالة تعمق دلالة الخطاب.

والأخرى حجاجية، رفدت الخطاب بسلطة رمزية فيما هو مشترك بين الإمام ومتلقيه من قداسة النصّ القرآني وحجّيته.

٤- لم يختلف التناص الحديثي عن القرآني؛ إذ وظّفه الإمام الحسن عليه السلام وفق منهجين: الأول، عن طريق ذكر الحديث الشريف كاملاً بنصّه.



والمنهج الآخر، فهو ما جاء فيه التناص محوراً لفظياً؛ ليتناسب وسياق الخطاب المقامي دلالياً، فكما أن للنص القرآني سلطة رمزية على الباث والمتلقي في الثقافة الإسلامية، فكذلك للحديث النبوي السلطة ذاتها، مما يجعل الخطاب أكثر فعالية في المتلقي، ونجاعة يفعل معها فيتضاعف اعتقاده ويقوى يقينه .

٥- ساد الاقتباس النصي في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)؛ ولعل ذلك يرجع إلى عمق الدلالات القرآنية ودقتها في تصوير المواقف المختلفة، وقرب المتلقي من عهد آيات القرآن الكريم وفهم مدلولاتها.

٦- اعتمد الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه الحجاجي على مبدأ تحفيز المتلقي على الانجذاب إلى عالم المتلفظ، ومشاركته اعتقاداته، والتأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه قصد تفاعلهم إيجابياً مع الفكرة - التي يقصدها - باعتماد الحجج والبراهين الإثباتية، وفق أهداف معينة لاستمالته وتعديل سلوكه، ومواقفه الدينية والسياسية .

٧ - العزّة والبهاء الظاهر على محيا شخص الإمام أبي محمد (عليه السلام)، فهو إن دلّ على شيء فإنّما يدل على العالم والبيئة السامية الذي عاشها الإمام يتجلى ذلك بمظهر النبي وأبيه وأمه (عليه السلام)، والموقف الصلب الذي لم تهتز منه شعرة لمنطق أعدائه ومناوئيه، فتصدى لهم، فكان قوياً في بيان الحق، وقمع الباطل وإفحامه، ليسجل موقفه للأجيال، ويُلَفّت الأمة التي رضخت وخضعت لابن أبي سفيان، وتركت الدين والإسلام المتمثل بعترته النبي ﷺ أيّ طريق تيه، وانحرف فضلته، ومع من وضعت نفسها ووهب مقدراتها.

٨- أكد الإمام الحسن في حجاجه أن الأمة إذا اتبعتهم واقتفت آثارهم، واقتدت بهم لا يصيبها الافتراق، ويتعد عنها التشتت إلى فرق، ولا يظهر عليها الانقسام إلى طوائف، فبهم تجتمع الكلمة، وتجتمع الفرقة، فهم مع الحق، والحق معهم وفيهم وبهم، يدور معهم حيثما داروا، فمن خالف الحق وطريقه فقد خالفهم، ومن نابذه نابذهم، فصار من اتباع الشيطان، فالواجب على كل مؤمن يعتقد بالله ورسوله، أن يتمسك بكتاب خالقه العزيز، وبالعتره النبوية الطاهرة ليسلك سبيل الهدى، وينجو من سبل الغي والردى .



الهوامش

- ١- يُنظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، د. سامية الدريدي: ٢٥.
- ٢- يُنظر: مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي: ١٠٨.
- ٣- يُنظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران: ٢٥-٢٦.
- ٤- يُنظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود: ١٣٢.
- ٥- يُنظر: الصحاح، الجوهري: ١/ ٢٤٤، ولسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٢.
- ٦- يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبدالله صولة: ١٨.
- ٧- يُنظر: المصدر نفسه: ١٨.
- ٨- الخطابة، أرسطو: ٣١.
- ٩- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ٧٩.
- ١٠- يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد الطيف عادل: ٤٣.
- ١١- الخطابة (أرسطو): ٢٩.
- ١٢- يُنظر: المصدر نفسه: ١٣٢.
- ١٣- يُنظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ١٣٢.
- ١٤- الخطابة، الفارابي: ٧.
- ١٥- المصدر نفسه: ٢٥.
- ١٦- البيان والتبيين، الجاحظ: ١/ ٨٨.
- ١٧- الصناعتين، الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري: ٥١.
- ١٨- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، د. علي محمد علي: ٨٤.
- ١٩- يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم: ٥٢-٥٣.
- ٢٠- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ٣٠٦-٣٠٧.
- ٢١- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٣.
- ٢٢- يُنظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح: ٢٨-٣١.
- ٢٣- يُنظر: المصدر نفسه: ٣١.
- ٢٤- الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٦.
- ٢٥- بنى الحجاج في نهج البلاغة، علي عبد الوهاب (اطروحة دكتوراه): ٥١.
- ٢٦- يُنظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي علوي: ١/ ٦٦، وأهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ٣٠٨-٣١٣، وكتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: ٩١-٩٨.
- ٢٧- يُنظر: الحجاج، مفهومه ومجالاته: ١/ ٢٤٦.
- ٢٨- عندما تتواصل غير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل، والحجاج، د. عبد السلام عشير: ١٢٨.
- ٢٩- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ٣٣٧.

- ٣٠- يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري / ٥٣٧ .
- ٣١- يُنظر: الحجاج والحقيقة وفاق التأويل، د. علي الشبعان: ١٧٣ .
- ٣٢- يُنظر: معجم آيات الاقتباس، حكمت البدري: ١٩ .
- ٣٣- يُنظر: يُنظر: الحجاج، مفهومه ومجالاته: ٣١٧/٢ .
- ٣٤- الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٦١-٥٦٧، ويُنظر: غاية المرام وحجة الخصام، السيد هاشم البحراني: ٩٠/٢-٩٤، وبحار الأنوار، الشيخ المجلسي: ١٠/١٣٩-١٤٤، وموسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام): ١٤٣-١٥٠ .
- ٣٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي: ٧/٣٥٨، وتفسير الأمل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١١/٤٢٨ .
- ٣٦- أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٤٥، ويُنظر: نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: ١٥٨ .
- ٣٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المسمى (تفسير الثعلبي)، الثعلبي: ٥/١٦٢، ويُنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ٣/٣٢٤ .
- ٣٨- المصدر نفسه: ٥/١٦٢ .
- ٣٩- التفسير الصافي، الكاشاني: ٢/٤٣٧، ويُنظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ٣/٩١ .
- ٤٠- يُنظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي: ١/٤٧٠، وبحار الأنوار: ٢١/٢٦٦، وفتح الباري، ابن حجر: ٨/٢٣٩ .
- ٤١- الميزان في تفسير القرآن: ٩/١٦٢، ويُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المسمى (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري: ١٠/٨٥ .
- ٤٢- يُنظر: الأمالي، الشيخ الصدوق: ٦٧، والأمالي، الشيخ المفيد: ٢١٣، وصحيح البخاري: ٥/٨٥ .
- ٤٣- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٩/٤٩٠، ويُنظر: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ٢/٢٥٥ .
- ٤٤- تفسير نور الثقلين، الحويزي: ٢/١٩٣، والبرهان في تفسير القرآن: ٢/٧٤٧، ومعاني القرآن، النحاس: ٣/١٩٢، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي: ٣/١٦ .
- ٤٥- الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي علوي: ١/١٢٦ .
- ٤٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي: ٨/١٥٨، ويُنظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٣/٢٢٩ .
- ٤٧- يُنظر: عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق: ٢١٣، ومجمع البيان: ٨/١٧٩ .
- ٤٨- التفسير المبين، الشيخ مغنية: ٥٥٩، ويُنظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٣/٣٤٢ .
- ٤٩- يُنظر: صحيح البخاري: ٦/٢٧، وصحيح مسلم: ٢/١٦ .
- ٥٠- تفسير العياشي: ٢/٦٤، ويُنظر: التفسير الصافي: ٢/٣٠٤ .
- ٥١- تفسير البحر المحيط: ٢/٥٠٢، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ٤/١٠٤ .
- ٥٢- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي الحنفي: ٢/٢٦٦ .

- ٥٣- يُنظرُ: تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد: ٤١١، والتيبّان: ٨/ ٣٤٠، أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري: ٢٣٩، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٠ .
- ٥٤- يُنظرُ: تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحراني: ٤٣٧، والأُمالي (الشيخ الطوسي): ٢٥١، وميزان الاعتدال، الذهبي: ٢/ ٣٨١ .
- ٥٥- يُنظرُ: بحار الأنوار: ١٠/ ١٤٢، وينايع المودة لذوي القربى، القندوزي: ٣/ ٣٦٩، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٢/ ١٢٢، والنكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر: ١٥٦ .
- ٥٦- الرسائل العشر، الشيخ الطوسي: ٩٧، ويُنظرُ: شرح إحقاق، السيد المرعشي: ٣٨٥ .
- ٥٧- الأُمالي، الصدوق: ٦١٩، ويُنظرُ: بحار الانوار: ٢٥/ ٢٥٥ .
- ٥٨- التفسير الصافي: ٣/ ١٨٧ .
- ٥٩- يُنظرُ: بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٢، وينايع المودة، القندوزي: ٣/ ٣٦٩ .
- ٦٠- الغدير في الكتاب والسنة والادب، العلامة الأُميني: ١/ ١٧، ويُنظرُ: الصحيح من سيرة الإمام علي، جعفر مرتضى العاملي: ١٦/ ١٣ .
- ٦١- الحجاج والحقيقة وافاق التأويل: ٣٠٧ .
- ٦٢- يُنظرُ: بحار الأنوار: ٦/ ٣٥، والغدير: ٨/ ٢١ .
- ٦٣- التفسير الكاشف: ٥/ ٣٠٥، ويُنظرُ: التفسير الكبير، المعروف بـ (تفسير الرازي): ٢٢/ ٢٢٣ .
- ٦٤- يُنظرُ: الأُمالي (المفيد): ٣٤٩، والأُمالي (الطوسي): ١٢١، وبشارة المصطفى لشيعه المرتضى، الطبري الإمامي: ١٧٠، وبحار الانوار: ٤٣/ ٣٦٠، وينايع المودة: ١/ ٧٤ .
- ٦٥- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٢٤٦، ويُنظرُ: نفحات الأزهار، السيد علي الحسيني الميلاني: ٢٠/ ٣٤ .
- ٦٦- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/ ٢٠٨، ويُنظرُ: تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ٤٢٦، والشافي في الامامة، الشريف المرتضى: ٢/ ٣٠٨ .
- ٦٧- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٢٤٥، ويُنظرُ: بحار الأنوار: ٣٦/ ٣١٧، وأهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ٥٣ .
- ٦٨- نهج البلاغة، الشريف الرضي، تح، د. صبحي الصالح: ٤٧ .

* القرآن الكريم

* أسباب نزول الآيات، علي الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، د. تح. ، ط/١، النشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ م.

* استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط/١، النشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤م.

* الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: (قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ١٤١٧هـ).

* الأمالي، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: (حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري)، ط/٢، الناشر: دار المفيد للطباعة - بيروت/لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

* الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) تحقيق: (قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة)، ط/١، الناشر: دار الثقافة قم، ١٤١٤.

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط/١، النشر: (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

* أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق: (دار الحديث الثقافية)، ط/٢، الناشر: دار الحديث الثقافية، ١٣٧٥ ش.

* أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (فريق البحث في البلاغة والحجاج)، إشراف حمادي صمود، النشر: كلية الآداب-منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم

الإنسانية، تونس، د.ت.

* أوائل المقالات الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، ط/٢، الناشر: دار المفيد للطباعة، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: (يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي)، ط/٢، النشر: (مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧هـ)، تقديم: (الشيخ محمد مهدي الأصفي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية)، ط/١، النشر: مؤسسة البعثة - قم المقدسة، د.ت.

* بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، محمد بن أبي القاسم الطبري (ت: نحو ٥٢٥هـ)، تحقيق: (جواد القيومي الأصفهاني)، ط/١، النشر: (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة)، ١٤٢٠هـ.

* البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، ط/١، النشر: (عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن)، ٢٠١٢م.

* بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد الطيف عادل، ط/١، النشر: (دار ومكتبة عدنان، العراق)، ٢٠١٣.

* البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح (عبد السلام محمد هارون)، ط/٧، النشر: (مكتبة الخانجي)، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

* تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر، (ت: ٥٧١ هـ)، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٩٩٥ م.

* البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن، شيخ الطائفة الطوسي، (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: (أحمد حبيب قصير العاملي)، ط/ ١، النشر: (مكتب الإعلام الإسلامي - قم المشرفة)، ١٤٠٩ هـ.

* التَّحَاجُّج، طبيعته، ومجالاته، ووظائفه، (تنسيق هُوَّ النَّقَّاري)، ط/ ١، النشر: (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية)، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

* تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ الحسن بن علي بن شعبة الحراني، المتوفى في القرن الرابع الهجري، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط/ ٢، النشر: (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة)، ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش.

* تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي، (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: (عادل أحمد الموجود، والشيخ علي معوض، وآخرون)، ط/ ٦، النشر: (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* التفسير الصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني، (ت: ١٠٩١ هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه، العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط/ ٢، النشر: (مكتبة الصدر - طهران)، ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش.

* تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، (ت: ٣٢٠ هـ)، تحقيق: (الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي)، ط/ ١، النشر: (المكتبة العلمية الإسلامية - طهران)، د.ت.

* تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد، محمد بن محمد

بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد علي أيازي، ط/ ١، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم، (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ١٤٢٤ - ١٣٨٢ ش.

* التفسير الكاشف، العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، (ت: ١٩٨١ م)، ط/ ٣، النشر: (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان)، ١٩٨١ م.

* التفسير الكبير، المعروف (تفسير الرازي)، تأليف الإمام محمد بن فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)، ط/ ٣، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

* التفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية، (ت: ١٩٨١ م)، ط/ ٢، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم - إيران، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

* تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي المعروف (ت: ١١١٢ هـ)، تحقيق: (السيد هاشم الرسولي المحلاتي)، ط/ ٤، النشر: (مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع) - قم - ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش.

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق وتقديم: (الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخراج: صدقي جميل العطار)، ط/ ١، النشر: (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

* الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: (تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني)، ط/ ٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ١٩٦٦ م.

* الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم محمد

- * الأمين الطلبة، ط/ ١، النشر: (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان)، ٢٠٠٨م.
- * الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، ط/ ٢، النشر: (عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن)، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- * الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ط/ ٢، النشر: (دار الفارابي- بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، ودار المعرفة للنشر- تونس)، ٢٠٠٧م.
- * الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي علوي، وآخرون، ط/ ١، الناشر: عالم الكتب الحديث- الأردن، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- * الحجاج والحقيقة وافي التأويل، (بحث في الاشكال والاستراتيجيات)، د. علي الشبعان، تقديم: حمادي صمود، ط/ ١، النشر: (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان)، ٢٠١٠م.
- * الخطابة، أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق د. محمد سليم سالم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٦م.
- * الخطابة، أرسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، النشر: (دار الرشيد للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية)، ١٩٨٠م.
- * الدر المشور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط/ ١، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، ١٩٩٨م.
- * الرسائل العشر، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ط/ ١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د. د.
- * الشافي في الإمامة، تأليف السيد علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى، (ت: ٤٣٦هـ)، ط/ ٢، الناشر: مؤسسة إسماعيليان - قم، ١٤١٠هـ.
- * شرح إحقاق الحق، العلامة السيد المرعشي (ت: ١٤١١هـ)، ط/ ١، تحقيق، وتعليق: (السيد شهاب الدين المرعشي النجفي)، تصحيح: (السيد إبراهيم الميانجي)، النشر: (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران)، د. د.
- * شواهد التنزيل لقواعد التفضيل (في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام)، عبيد الله بن أحمد الحاكم الحسكاني (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- * صحيح البخاري، محمد بن إبراهيم البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ) (د. ط)، النشر: (دار الفكر - بيروت)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- * صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، (ت: ٢٦١هـ) (د. ط)، الناشر: (دار الفكر، بيروت- لبنان)، (د. د.).
- * الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، ط/ ١، الناشر: ولاء المنتظر عليه السلام، ١٤٣٠ - ١٣٨٨ هـ.
- * الصناعتين، الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- * عندما نتواصل نغير، (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، الناشر: الدار البيضاء-

* كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،

* الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرف، ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش .

* لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د.ت.

* مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: (لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين)، ط/١، النشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* المحرر الوجيز (في تفسير الكتاب العزيز)، الشيخ غالب بن عبد الرؤوف ابن عطية الأندلسي، (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق: (عبد السلام عبد الشافي)، ط/١، النشر: (دار الكتب العلمية - لبنان)، ١٤١٣ - ١٩٩٣م.

* مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: د. محمد الأخضر الصيحي، ط/١، الناشر: منشورات الاختلاف - الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

* معاني القرآن، وإعراجه أبو جعفر النحاس، ط/١، تحقي، (الشيخ محمد علي الصابوني)، النشر: (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية)، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

* معجم آيات الاقتباس / حكمت فرج الله البدري، الناشر: دار الحرية، ١٩٨٠م.

* مناقب الإمام أمير المؤمنين، الشيخ محمد بن سليمان الكوفي، (ت: ٣٠٠هـ)، تحقيق: (الشيخ محمد

المغرب، ٢٠٠٦م.

* العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. (عز الدين الناجح)، ط/١، النشر: (مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس)، ٢٠١١م.

* عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق، وتصحيح وتعليق وتقديم، (الشيخ حسين الأعلمي)، ط/١، النشر، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان)، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م .

* غاية المرام، وحجة الخصام، في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، السيد العلامة هاشم البحراني (ت: ١١٠٧)، تحقيق، (السيد علي عاشور)، ط/١، النشر: (جماعة المدرسين - قم)، ١٤٢١هـ .

* الغدير في الكتاب، والسنة، والادب، تأليف الشيخ عبدالحسين الأميني (ت: ١٣٩٢هـ)، ط/٤، النشر: (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان)، ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م .

* فتح الباري، (شرح صحيح البخاري)، الشيخ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، ط/٢، النشر: (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان)، د. ت .

* كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً)، د. علي محمد علي سلمان، ط/١، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م.

* الكشف والبيان (في تفسير القرآن)، أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: (أبو محمد بن عاشور)، ط/١، النشر: (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .

العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق : مسعود عبد الحميد السعدي / محمد فارس، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٤١٤-١٩٩٤ م.

* نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام جمع أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي، (ت : ٤٠٦هـ) ضبط نصّه وابتكر فهارسه، د. صبحي الصالح، ط/ ١، الناشر: دار أنوار الهدى-قم، إيران، ١٤٢٦هـ.

* نهج الحق وكشف الصدق، العلامة المحقق الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، (ت : ٧٢٦هـ)، تحقيق، وتقديم : (السيد رضا الصدر)، تعليق : الشيخ عین الله الحسني الأرموي، ط/ ١، النشر، (مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة - قم)، ١٤٢١هـ.

* ينابيع المودة لذوي القربى، العلامة سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، (ت: ١٢٩٤هـ)، تحقيق، (سيد علي جمال أشرف الحسيني)، ط/ ١، النشر : (دار الأسوة للطباعة والنشر)، ١٤١٦هـ.

باقر المحمودي)، ط/ ١، النشر : (مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم)، ١٤١٢هـ.

* موسوعة كلمات الإمام الحسن، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ط/ ١، النشر : (دار المعروف - قم)، ١٤٢٣هـ.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن احمد الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط/ ١، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ١٣٨٢ - ١٩٦٣ م.

* الميزان في تفسير القرآن، تأليف السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت : ١٤١٢هـ) (د.ط)، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، (د.ت).

* نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، السيد علي الحسيني الميلاني، ط/ ١، الناشر: مطبعة مهر- قم، ١٤١٤هـ.

* النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر

دلالات الحجاج
في خطب الحسن عليه السلام الاحتجاجية



أ.م.د. ضفاف عدنان الطائي
جامعة بابل / كلية الآداب

ملخص البحث

لقد كثرت خطب الإمام الحسن عليه السلام وتنوعت موضوعاتها، إذ نجد له خطاباً في الدين والسياسة والتوجيه والإرشاد، وكان في خطبه عليه السلام يعمد إلى استعمال ألفاظ وعبارات تناسب موضوع خطبته؛ وذلك لتحقيق الغاية المطلوبة وهي التأثير في المتلقي وإقناعهم، ما كان يسوق الحجج والبراهن المنطقية لإحداث ذلك التأثير يُزاد على ذلك أنَّ بلاغة الخطيب لها دور كبير في نجاح خطاباته، وذلك من خلال مهارة المتكلم (الخطيب) وقدرته على إفهام المخاطبين على اختلاف طبقاتهم، وهذا يظهر جلياً في خطب الإمام عليه السلام من مثل خطبة الصلح التي كانت موجهة لمخاطبين مختلفين في مستوياتهم الإدراكية، لذلك لم يبالغ عليه السلام في استعمال المحسنات البلاغية والبيانية، وأكثر من الاقتباس من القرآن الكريم وإيراد أخبار السابقين.

Abstract

Imam Hassan (peace be upon him) delivered numerous and diverse speeches: religion, politics, guidance, and counseling. In his sermons, he utilized words and phrases relevant to the subject matter, with the intention of achieving the desired outcome of influencing and convincing the recipient. He employed logical arguments and evidence to gain the influence. Furthermore, the eloquence of the speaker played so crucial a part in the success of his speeches.

The proficiency and aptitude of the speaker to communicate effectively with diverse audiences are evident in Imam Hassan's speeches. The use of rhetorical and figurative devices in his speech on the Treaty of Peace are particularly noteworthy where he addressed different audiences with varying levels of comprehension. Consequently, he did not hesitate to utilize these devices and quoted from the Glorious Quran and alluded to historical narratives.

التمهيد

يُعدُّ الحجاج من المصطلحات النقدية والبلاغية التي شغلت حيزاً واسعاً في دراسات القرن التاسع عشر فيما يُعرف بالحقل الدلالي اللساني التداولي على أنه مجموعة من تقنيات وآليات الخطاب التي يرسلها المنشئ إلى المتلقي بهدف الإقناع والإفهام والتأثير فيه؛ لذلك يمكن القول أنَّ الحجاج هو ((مجموعة من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة، هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع))^(١).

من هنا نجد اختلاف وجهات النظر إلى موضوع الحجاج، فكلُّ يراه من زاوية تختلف حسب العلم الذي يُدرس فيه، فالبلاغة المقدمة التقليدية تجعله ((مكوناً من مكونات الخطاب ويتشكل بتشكله فتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيره))^(٢)، ثم في العصر الحديث صارت له ضوابط خاصة؛ لبيان مفاهيمه وآلياته وتقنياته المتعددة ما أهله إلى بلوغ مرتبة النظرية اللغوية تقوم على أسس علمية معرفية محددة ودقيقة على يد (بيرلمان) و (تينكاه) لما أصدرها مؤلف مصنف في الحجاج (البلاغة الجديدة)، وكان هذا إيذاناً بانطلاق حقل الدراسات البلاغية مرحلة جديدة تعنى بدراسة الحجاج، وتحليل التفاعل بين الباحث والمتلقي عبر آلية تُجسد خطاباً للإقناع عن طريق اللغة ما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وأنَّ الوظيفة الحجاجية للغة هي الحجاج وأنَّ المعنى ذو طبيعة حجاجية))^(٣).

مفهوم الحجاج

هذه المفردة كان لها نصيب في المعاجم اللغوية العربية التي وصلت إلينا؛ يقول الخليل: ((الحجّة وجه الظفر عند الخصومة والفعل حاججته فحججته واحتجت عليه بكذا))^(٤). وهو عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ((من معاني الفعل -حجّ- القصد، وكل قصد هو حجّ، ثم اختصّ حج بيت الله الحرام، ويمكن أن تكون الحجّة مشتقة من هذا؛ لأنّها تقصد أو بها يُقصد الحق المطلوب، يقال: ما حججت فلاناً حججته، أي: غلبته بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر حجاج))^(٥).

أمّا ابن سيده فعرفه بقوله: ((حاججته أحاجه حجاجاً مُحاجّة من حَجَجْتُهُ بالحجج التي أدليت بها، والحجّة والبرهان، وقيل: الحجّة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة حُجج وحِجاج. وحاجّه مُحاجّة وحِجاجاً نازعه الحُجّة، وحَجّه يحجه حَجّاً غلبه على حجته، وفي الحديث: فحجّ آدم موسى، أي غلبه بالحُجّة، واحتجّ بالشئ اتخذهُ حَجّة، قال الأزهري: إنّها سميت حُجّة؛ لأنّها تُحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها واليهاء))^(٦). وقد تأتي (الحجّة) بالضم لتدلّ على الدليل والبرهان وقيل ما دَفَع به الخصم^(٧).

وهي عند ابن عاشور تأتي دالّة على ((إنّ حاجّ لا يستعمل غالباً إلّا في معنى المخاصمة... وأنّ الأغلب يفيد الخصام باطل))^(٨).

من كل ما تقدّم في إيراد معنى المحاججة نراها تدلّ على القصد، والدليل، والبرهان، وإثبات أو دفع الخصومة وهي تترجح بين جذري (حجج) و (حاجج)، ولا يخفى أنّ كل زيادة في المبنى تلحقها زيادة في المعنى بشكل واعٍ قادر على إيصاله للمتلقّي أو هو محاولة منه لإثبات حقيقة معروفة والتأكيد عليها عبر النص الحجاجي ومقدرة الباحث في استخدام الآليات المساعدة للوصول لغايته تلك.

وقد يكون الحجاج كامناً في اللغة كما يرى ذلك (انسكومير وديكرو) باعتبار ((أنّ مصطلحيّ البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جديدة مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأوسطية))^(٩).

وهو يكمن في الشر من الأفعال القولية وظيفية حجاجية تتمظهر في بنية الجُمْل التداولية داخل البنية التركيبية باستقلال عن المحتوى الإخباري^(١٠)، وهذا يؤدي إلى أن كل خطاب له وظيفة حجاجية يأخذ مدى التصريح بالحجة من جهة، وفعل النتيجة من جهة أخرى.

أي أن الخطاب ← بيان الحجة ← فعل النتيجة، فكل قول يؤدي إلى قول آخر يكون نتيجة رد فعل للأول، وهو عند أبي بكر العزاوي يعني ((تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب))^(١١).

وهذا يعني أن كل الأفعال القولية تأتي مستندة كل منها على أنها نتيجة للسابق عليها بنيت على أساسه وتكون هي ركيزة لقول آخر جديد يتولد عنه.

وحد الحجاج الاصطلاحي قد يكون ((فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية انشاءً موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدلي؛ لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة))^(١٢).

والحجاج يأخذ هنا منحى أنه (فعل) تداولي جدلي يأخذ بالحسبان المقام (الفكري) و(الاجتماعي) المختلف، فضلاً عن عوامل الثقافة المشتركة وتعدد الخبرات وتراكمها بين طرفي الحوار (المخاطب / المخاطب) بغرض التأثير والإقناع لذلك الحجاج يكون أفقه أوسع فضاءً في استيعاب (السبب / النتيجة) التي تؤدي إلى (سبب / نتيجة) أخرى على نقيض البرهان الذي يكتفي بإثبات الدليل فقط، فالخطاب الحجاجي يفتح الأفق للتأويل، وهو ما يعرف بـ(المبدأ الافتراضي)^(١٣).

ومن ذلك نفهم أن هناك عملية خلق فكري ثقافي معرفي تخيلي يعتمد على ركائز الخطاب (الباث / المتلقي / النص)؛ لتحقيق سلسلة من الحجاج بأطر متعددة تهدف إلى التأثير والإقناع.

دلالات الحجاج في خطب الحسن عليه السلام الاحتجاجية

يعرّف أرسطو الخطابة بأنها ((الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع))^(١٤)، ويشترط الإقناع لديه وجود ثلاثة أركان مهمة هي (أخلاق القائل)^(١٥)، والثاني (تصيير السامع في حالة نفسية ما)^(١٦)، والثالث ((القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت))^(١٧).

فإذن الخطابة تتمثل بأطراف وأركان الخطاب المهمة لقيامه ووجوده (المنشئ/ المتلقي/ النص)، ويهدف الخطيب في عمله إلى الإقناع من خلال التأثير في المتلقي عن طريق الحجاج والبراهين، والخطاب يمكن تعريفه أنه ((كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما))^(١٨).

فالتلفظ هو مكافئ للخطاب المفوظ الذي يمكن رؤيته من جهة فاعليته في التواصل مع الآخر بشكل متكامل لا يعتمد على التجزئة، بل يعتمد على النص كوحدة واحدة متداخلة يفضي كل جزء إلى الآخر، ويتصل بما قبله فهو ((نشاط إنساني، منطلقة عمومًا حدث مخصوص أو مثير يتواصل بوساطته متكلم ما مع مخاطب، مستعملًا إشارات لفظية منظمة حسب شفرة مشتركة))^(١٩).

ولا فرق في الملفوظ بأن يكون خطابًا موجهاً لفرد أو جماعة، لكن المهم كما يؤكد (فوكو) بأن ((النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي))^(٢٠)، والخطاب ((عبارة عن اللغة في حالة فعل أو بوصفه اللغة بين شركاء التواصل))^(٢١).

فهو حسب قول (بنفست) صار (حالة فعل) تدور بين شركاء التواصل، أي يتطلب (باث/ متلقي) لتعبير عن فعل) فكان ذلك بشكل أدق ((كل تلفظ يعترض متكلمًا ومستمعًا، بحيث يحاول المتكلم التأثير على الثاني بطريقة ما))^(٢٢).

أوهو كما يراه (تودورف) ((أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نيّة الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما))^(٢٣)، فالتركيز كان عند كليهما سقع على التبليغ وإيصال معلومة ما إلى الآخر بفعل (التلفظ/ التكلم).

والخطاب تتعدد أشكاله حسب السياقات المستعملة للعبارات دون غيرها، فكان هناك خطاب ديني، خطاب سياسي، خطاب توجيهي، خطاب إشهاري، وكل نوع من أنواع الخطابية

تكون الوظيفة المهمة له الإقناع والتأثير فهو ((رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تُستخدم فيها الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون في نظام اللغة المشتركة، وهذا هو النظام يلي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم))^(٢٤).

فالتواصل أشرط فيه لغة مشتركة وفق مفاهيم وقيم متوارثة بين الفرد (الباث) والمجموع (المتلقين)؛ ليمكنوا من فهم وفك رموز الشفرة اللغوية التي تحملها مفردات تلك اللغة ضمن ((نسج من الألفاظ والنسج مظهر من النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه))^(٢٥).
لقد تنوعت الموضوعات التي خاض الإمام الحسن عليه السلام القول فيها فترك لنا إرثاً ثقافياً تتعدد فيه دلالات الخطبة الثبوتية التي تقوم على المدح والذم، مدح الشريف وذم السيء عبر إثارة الانفعالات والمشاعر في نفوس السامعين لتحقيق الإقناع، مما يتوجب على الخطيب أن يكون عالماً بأهواء المتلقي، والنوع الآخر من الخطب التي يمكن أن تندرج ضمن إطار الخطاب السياسي الخطبة المشاجرية التي تهدف إلى بيان العدل والظلم وتقوم على الاتهام والدفاع، والتي تأخذ ((مظهرًا جدليًا))^(٢٦).

لقد جاءت الخطب الاجتماعية لديه عليه السلام منطلقاً من ثوابت فكرية ومعرفية ودينية رئيسة [عظمة الخالق عز وجل ومنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانة أهل بيته عليهم السلام أحقيتهم بالخلافة وإدارة أمر المسلمين] مما جعل الحقائق المشتركة ركناً مهماً في عملية الاحتجاج، فقد قال عليه السلام لرجل يسأله: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المُنْت؟ وما عشر أشياء بعضها أشد من بعض؟ فهذه الأسئلة تتطلب إجابة دقيقة واضحة بعيدة عن التخيل، فكل مفردة لا تحتل معنى ضمنياً مضمر، إنما لها دلالة معنوية ظاهرة لا تقبل الشك، فكان جوابه عليه السلام: [بين الحق والباطل أربع أصابع] دلالة على المعاينة بين حاستي البصر والسمع، فالرائي غير السامع؛ لأن [ما رأيته بعينك فهو حق وقد

تسمع بأذنك باطلاً كثيراً^(٢٧)، فالرؤية واضحة جليّة لا تقبل التحريف على غير السمع الذي قد يختلط فيه كذب كثير، فكانت المفردات تقريرية بعيدة عن التأويل.

أمّا قوله عليه السلام: [بين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومدّ البصر]^(٢٨)، فهذا توجيه حجاجي ديني لما جاء في حديث الرسول الكريم ﷺ: ((اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))^(٢٩).

وهنا تظهر المقدرة البلاغية في فتح أفق جديد للمتلقي ليؤمن بمصداق الكلام بين الانتقال من الثابت في النص السابق إلى ثوابت جديدة بمديات أكبر بدلالة الكثرة والاستمرار باقتران (دعوة المظلوم) بـ(مدّ البصر) هذه المسافة المكانية غير المتناهية تُعطي فهماً عميقاً لما أحدثته من تداخل المحسوسات بالمتخيل، ولما ستكون عليه النتيجة بلفتته حجاجية دقيقة ولغة خطابية واضحة تهدف إلى التأثير والإقناع في المتلقي الذي يحاول جهده بإثارة أسئلة اعتقد أنّها تعجيزية، وكانت الأشياء العشرة التي خاتمة المطاف، وسرعة الإجابة التي جاءت كفلق الصبح، والملاحظ أنّ المفردات اللفظية كانت توافق حال السائل، وتقرّر في عقله وقلبه قراراً مكيناً، وبذا نجد أنّ الخطاب تميّز في هذا الموضوع بين الإثبات والإقناع والتعليم والاستدلال بالنص والمنطق، بعيداً عن النبوة الخطابية الصادمة، وإن كان مع أهل الحرب فالغاية تأديبية تعليمية أفضت إلى الإقناع والاعتراف من المتلقي بأحقية أهل البيت بالخلافة.

وفي نص آخر يقول عليه السلام حين سئل عن الخلافة والبيعة وفاة الرسول ﷺ، فأجاب عليه السلام بعد أن حمد الله: ((أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقاً أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة وبني النضير، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه يديه))^(٣٠).

وقال عليه السلام: ((أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلم فيه المنافقون فقال عليه السلام: لا تخلفني يا رسول الله فإنني لم أتخلف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله ﷺ: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال عليه السلام: أيها الناس من تولاني فقد تولي الله، ومن تولي علياً فقد

تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني)) (٣١).

فكلا النصين كانا في الحجة التي استند إليها الحسن (عليه السلام) في إثبات الحق وإحقاقه على أتم وجه، مُتَّخِذًا من السُّنَّةِ والهدي النبوي الشريف دليلاً على ذلك، والنص الأول كان في إظهار صفات الإمام علي (عليه السلام) فهو رجل (أحبه الله) ورسوله، فأحبه الله ورسوله هذه التابعية الحجاجية، فالحدث ((الحجاجي مُقام على منطق العمل إحدائاً وإنشاءً، وهذا التصوّر يجعل الحجاج عملاً يتجاوز الأبعاد الشكلية الخاوية ليقيم الوصل بعالم بناء التصورات وتوليد المعارف، وهو ما يصير الغاية من الحجاج كامنة فيما يؤول إليه من عوالم ممكنة تتولد عنه وتنبع منه)) (٣٢).

فالغاية من الحجاج تقوم بالهدم والبناء، وإثبات حقيقة وتوثيقها وهذا ما يظهر جلياً في النصين السابقين فالجملة تُحيل إلى أخرى، بمعنى حقيقة تُفضي إلى حقيقة أخرى نؤيدها ونفتح الآفاق لا يُراد حقائق أخرى تتكافئ وقدرة الخطيب ومناسبة القول يورد ما يسند قوله ليكون دليلاً وحُجَّةً ثابتة وسند الإمام (عليه السلام) فيما سبق كانت أحاديث وأخبار الرسول الكريم ﷺ مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والأخبار تلميحاً وليس تصريحاً إلى مجريات الأمر من بعده واستحقاقه لذلك، وكان البات من القدرة أنه استعمل ألفاظ متقاربة متنافرة، مثلاً في قوله (كرّار غير فرّار)، وهذه المقابلة والجناس اللغوي الكبير الذي يُفضي إلى صور كثيرة يمكن تحيل مشاهدتها عبر خطين لا يلتقيان، فالكر غير الفر، ومن اعتاد الكر يأبى الفر في أي موقف وموضع، فكان الفن البلاغي تقنية حجاجية سريعة قوية هيأت ذهن المتلقي لاستقبال وبناء صورة معاكسة بكل تفاصيلها الدقيقة والعامة.

والانموذج المتقدّم من نصوص الإمام علي (عليه السلام) تدرج في معانيها وموضوعاتها فهي جاءت بدايةً لنقض الشك والتأكيد على مسألة بذاتها وكانت الأدلة العقلية والنقلية حاضرة لتقوية الحجّة وأداء المعنى بصورة متعددة وكانت الخطبة في أحيان كثيرة ترجح بين التبتية والمشاجرية، فهي تميل في جزء منها لبيان الحق وتميل في جزء آخر لمدح الشريف وإظهار صفاته وتقبيح السيء مع بيان وإنكار صفاته لذلك وجدنا أن صوت الخطابة لديه (عليه السلام) كان من القوة والقدرة

بمكان كيف لا وهو سليل بيت النبوة وخطباء العرب، فقد تغير أسلوب بناء الخطبة فقام على سماع الآخر ونقض كلامه بما لا يقبل الشك حتى خرجت الخطبة إلى مناظرة حجاجية من حيث استخدام المفردات اللغوية التي لا تقبل التأويل، بل هي تنطق بالحق المبين، فهي حازمة بيّنة خالية من التداخل المعنوي، أما موضوع ودلالات الخطابة في هذه الحالة فكأنها استخدمت استراتيجية الإشهاد والتبرير، فهي من القواعد الخطابية التي تجمع كل السياقات ضمنها؛ لأنّ الإشهاد إثبات وتمكين والتبرير رفقاً وتقوية، وهما اثران قوليان يتجه فيهما الخطاب إلى دلالة إقناعية تهدف الى كسب قناعة الجمهور بالاستجابة والإذعان^(٣٣).

يرى أهل البلاغة والبيان أنّ نجاح أي خطاب بمدى مطابقة لمخاطبة، وتحديد قدرته (المُخاطَب) في فعاليته وقدرته على استمالة (المُخاطَب) والتأثير فيه، فالتكلم البليغ هو الذي يكون ((في قواه فضل التصرف في كل طبقة))^(٣٤)، وأنّ قمة البلاغة هي أن يكون للمنشئ المهارات اللازمة لفهم المعاني التي لا يفهمها إلا الخاصة، فالخاطب البليغ هو الذي يكون وسيطاً بين طبقات المجتمع، وينبغي للمتكلم أن لا يجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً^(٣٥).

وهنا تظهر قدرة المتكلم على تصرفه في كل الطبقات وتحقيق الغاية التي صُنع من أجلها، فالخطاب ((ليس يشرف بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال))^(٣٦).

وهنا تتحقق أهداف الخطاب وتتجلى قدرة المتكلم على بيان هوية المتلقي، فالإقناع والتأثير لا يمكن أن يحدث إذا كان الخطاب موجه إلى طبقة أخرى غير طبقة المتلقين الآنيين، وهنا يظهر انموذج الخطبة للإمام الحسن عليه السلام لما حاجّه بعضه على أمر الصلح، فقام عليه السلام بين الناس فتشهد في بداية الأمر فقال: ((ما بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقق دماءكم بأخرنا وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه عليه السلام: وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون، إنّه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون، وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين))^(٣٧).

فهذا النص المتقدم كان قد قيل في جماعة من الناس تختلف مقاديرهم وطبقاتهم فيهم العامة والخاصة، لكنه كان من البلاغة الحقّة أنّه يحاكي جميع المخاطبين ويفهم لديه بدلالة واحدة؛ لأنّه لم

يعمد إلى الإيغال في استخدام المحسنات البلاغية والفنون البيانية، واقتصر بشكل كبير على الاقتباس والتضمين في النص القرآني: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن/ ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذْنَتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٩-١١٠]، والتركيز عليها لما فيها من مواعظ وعبر بذكر أخبار السابقين، وذكر ما تعرضوا له من أذى ومشاق في سبيل التأثير الإيجابي على المسلمين ودعوة العباد إلى الإيثار بالله سبحانه، وما أنزل على نبيه الكريم ﷺ، والتحذير من التكذيب به وبرسوله ﷺ، وباقي المسائل العقائدية الدينية، وغنَّ خلق العالم كان على أساس الهدف والتخطيط ووحدة القوانين الحاكمة والفناء والبقاء، وتحدث عن انتصار الحق على الباطل، والتوحيد على الشرك، وجنود الحق على جنود الباطل، وكان التقديم لهذه الخطبة بالمقابلة والطباق بين (أنا/ آخرنا) و (الهداية/ حقن الدماء)، وإنَّ لكل شيء سبب وأجل ينتهي إليه، وفيه تكمن الحكمة، وأنَّ الله تعالى ينصر الحق على الباطل ولو بعد حين.

إنَّ الأثر اللغوي له مكانته في الخطاب الحجاجي تؤدي إلى تفاعل بين المتكلم والمتلقي، لأنَّهما ركنا عملية الخطاب والحجاج التي تقوم على الحوار المفوَّظ والتوافق بين طرفي الحوار ما يؤدي إلى رسوخ المضمون الخطابي في دواخل المتلقين (المعارضين والموافقين) وثبات تلك الغايات والدلالات بما تحويه من أساليب بيانية بلاغية ذات قيم بديعية لتترك مجالاً للخيال وعقد خيوط الارتباط بينهم.

وله ﷺ قوله بعد أن قام فخطب فقال: ((الحمد لله الذي هدى بنا أولكم، وحقن بنا دماء آخركم، ألا إنَّ أكيس الكيس التقى، أعجز العجز الفجور، وإنَّ هذا الأمر الذي اختلف فيه أنا ومعايوة، إمَّا أن يكون كان أحق به مني، وإمَّا أن يكون حق، فتركته لله ولصالح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم. قال: ثم التفت إلى معاوية فقال: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)) (٣٨).

وهنا يظهر مقدار البلاغة التي كان عليها الإمام ﷺ، فالجمهور كان منقسم إلى عامَّة وخاصة، وأنَّه ﷺ خاطبه في مبتدؤه كان على العامَّة مؤكِّداً فيه على أحقيَّة أهل البيت الأطهار بولاية المسلمين، وأنَّ همهم ينصب على مراعاة الدين وحقوق الناس وإقامة العدل وإيقاف الظلم،

فالمقابلة بين (الهداية/ الجهل)، (السلم/ الحرب)، (التقى/ الفجور)، وتسليم الأمر لله وحده فهو أعلم به، كلها كانت طاقات وآثار حجاجية لها قيمة تصويرية يستعمل فيها الخيال لبيان الطاقة التأويلية تقوي الخطاب بالبرهنة على الحقائق، ثم توثيق ذلك بالنص القرآني، ليتجه الخطاب إلى فئة أخرى بدلالة (التفت)، فالكلام تم توجيهه إلى الفئة الباغية مذكراً بالوعيد وما ستؤول إليه الأمور فيما بعد.

إن الخطاب الذي يعتمد على التأثير والإقناع للعمل على إفهام المخاطب عبر محددات لفظية تفضي إلى صور ذهنية تتفاوت باختلاف المتكلم ومهاراته وثقافته وقدراته الذهنية والعقلية بالرجوع إلى مرجعياته المعرفية التي تكاد تكون هي مرجعيات مجتمعية فالشواهد والاقتباسات لها وظيفة حجاجية كبيرة؛ لأنها ((قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه))^(٣٩)، فهي ذات قدرة عقلية ومعنوية يحصل بها ((التصديق والاستدلال والخبر والبرهنة صدقه))^(٤٠).

وهذه الشواهد والاقتباسات هي ((حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها، وتدخل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه))^(٤١).

والشاهد القرآني أقوى الشواهد في الثقافة العربية الإسلامية؛ كونه يستمد السلطة غير شخصية؛ لأنه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين، لذلك يشكل محط إجماع عام دونه الحجج^(٤٢)، والشاهد القرآني هو الأقدس والأعلى مرتبة وهي آلية صوتية ولغوية أخرى في النص الخطابي فتعدد الأصوات داخل النص يجعله خطاب عام لا يقتصر على صوت المتكلم (المنشئ)؛ إنما تتداخل أصوات أخرى معه تنبع المرجعيات الثقافية ودلالة الخطاب في النص الأخير الذي أوردناه آنفاً تعتمد على التواصلية وإقناع الذي يسعى إليه المتكلم بخطابه هو أثر نفسي انفعالي يُراعي نفوس التلقين للكلام غاية ونشاط السامعين نهاية.

الخاتمة

- بعد هذا الجولة السريعة بين الخطاب والحجاج وموضوع البحث خطب الإمام الحسن الاحتجاجية نصل إلى بعض النتائج التي نجملها بالآتي:
- ١- إنَّ الحجاج والخطاب خطان متلازمان يفضي أحدهما إلى الآخر وأنَّ الخطاب تكمن قوته في البرهنة والاحتجاج.
 - ٢- تنوع الدلالات الحجاجية عند الإمام الحسن عليه السلام بين عقائدي وأخلاقي وسياسي وديني وإنساني.
 - ٣- كانت غاية الإمام عليه السلام في خطبة تصحيح المسار الإنساني والديني والتربوي والأخلاقي.
 - ٤- قدرة الإمام عليه السلام في تكامل الخطاب الحجاجي بممارسات لغوية عبر الصور الذهنية والتصويرية وإبراز جمالية تلك الصر بشكل عفوي غير مبالغ فيه.
 - ٥- تخرج الدلالات دائماً إلى التأثير والإقناع التي هي غاية الخطابة التي تخاطب العقل فضلاً عن التأثير على العاطفة باستخدام الألفاظ ذات دلالات حجاجية.
 - ٦- خرجت الدلالات إلى السلب والإيجاب والإثبات والنقض بالأدلة والبراهين لتفجير جماليات النص.

الهوامش

- ١- في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بيئته وأساليبه، سامية الدريدي: ٢١.
- ٢- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية اللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م: ١٤.
- ٣- الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، عن سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، السنة ٥، عدد ٦، صفر ١٤٢٢هـ، ماي ٢٠٠١: ١٤٢ - ١٤٣.
- ٤- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الميلاء، قم، ط١، ١٤١٤هـ: ١٠/٣ مادة (ح ج).
- ٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، قم - إيران، د.ت: ٢/٣٠.
- ٦- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، مادة (حجج).
- ٧- ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م: ٢٢٨.
- ٨- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٣/٣١ - ٣٢.
- ٩- الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة -، د. حافظ اسماعيل عليوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م: ٥٦.
- ١٠- ينظر: المصدر نفسه: ٥٧.
- ١١- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- ١٢- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧م: ٦٥.
- ١٣- عندما نتواصل بغير مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م: ١٩٦.
- ١٤- الخطابة، ارسطو، تعريب: عبد الرحمن بدوي، د.ن، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م: ١٣٥٥.
- ١٥- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ١٦- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ١٧- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ١٨- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين: ١٩.
- ١٩- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر - آن ريبول: ٥١.
- ٢٠- الخطاب والنص - المفهوم - العلاقة - السلطة، عبد الواسع الحميري: ٢٨.
- ٢١- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- ٢٢- طبيعة العلاقة بين الدعائي والخطاب السياسي، نزهت محمد نفل، الباحث الإعلامي، عدد ٤، آذار، ٢٠٠٨: ٤٨.

- ٢٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- ٢٤- الأسلوب -دراسة لغوية احصائية-، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م: ٣٧.
- ٢٥- بنية الخطاب الشعري، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ١٩٩١م: ٥٣.
- ٢٦- ارسطو، مصدر سابق: ١٣٥٦.
- ٢٧- ينظر: المسند: ٦٠٧.
- ٢٨- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ٢٩- صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ١٩/٣، ح (٢٤٤٨).
- ٣٠- المسند: ٦١٥.
- ٣١- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- ٣٢- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٣١٥.
- ٣٣- ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٣٢٦.
- ٣٤- البيان والتبيين، الجاحظ: ٩٢/١.
- ٣٥- المصدر نفسه: ١/١٣٨.
- ٣٦- المصدر نفسه: ١/١٣٦.
- ٣٧- المسند: ٦٤٤.
- ٣٨- المصدر نفسه: ٦٥٦.
- ٣٩- خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، عبد اللطيف عادل: ٢٠٦.
- ٤٠- إعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، يوليو، ٢٠٠١م، مج ٣٠: ١٠٩.
- ٤١- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م: ٩٠.
- ٤٢- خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، عبد اللطيف عادل: ٢٠٦.

اهمية العلم والعقل في اقوال وحكم

الإمام الحسن بن علي عليه السلام



أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين

جامعة الكوفة / كلية الآداب

الباحث عبد الكريم جعفر الكشفي

مدير عام تربية محافظة ديالى السابق

ملخص البحث

لقد وردت في منهج الامام الحسن بن علي عليه السلام، اقوالاً وحكماً تؤكد على أهمية العلم والعقل في حياة الانسان ومستقبله، فكما أن الطعام هو غذاء الجسد البشري فإن العلم هو غذاء العقل، الذي يقويه ويعينه في الآخرة، وسوف نتناول أهمية العلم والعقل، في هذه الأقوال والأحاديث من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: أهمية العلم والعقل في الإسلام المحمدي ومنهج أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثاني: أهمية العلم والعقل في اقوال وحكم الامام الحسن بن علي عليه السلام.

Abstract

The teachings and wisdoms ascribed to Imam Hassan ibn Ali (peace be upon him) highlight the importance of science and mind in human existence and their consequences on one's future. In the same way, the sustenance nourishes the physical body, science does the mind and enhances it and prepares it for the afterlife.

The current research will explore the importance of science and mind in the teachings of imam and hadiths and delves into the following issues:

Issue 1: Significance of Science and Mind in Muhammadan Islam and the Ahlul-bayt principles.

Issue 2: Significance of Science and Mind in the Teachings and Wisdoms of Imam Hassan ibn Ali (peace be upon him).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين أبي القاسم محمد ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين وبعد تعد نعمتا : (العلم ، و العقل) من النعم الكثيرة التي أنعم بها الله عز وجل على الإنسان، وهاتان النعمتان هما اللتان ميّز الله عز وجل بهما الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، وهما من نعم التكريم الالهي للإنسان، التي تجعل الإنسان مكلفاً تكليفاً شرعياً على العقلاء من البشر؛ لأن أساس فكرة التكليف تتمثل في نشر العلم وبناء العقول السليمة، والتفريق بين الخطأ والصواب، أي ما بين التصرف الخاطئ والتصرف الصحيح، وهذا الأمر بحاجة إلى مزيد من الدراسة.

لقد اكد الإسلام المحمدي الحنيف وأحاديث اهل البيت عليهم السلام، على الدور الكبير للعلم والعقل، وأهميتهما في بناء المجتمعات والانسان، وأكدوا على ضرورة أن يتم توظيفهما في رضا الله عز وجل، وأن تقدم الشعوب والمجتمعات يكمن في الدور الأساس للعلم والعقل. لقد وردت في منهج الإمام الحسن بن علي عليه السلام، اقوالاً وحكماً تؤكد على أهمية العلم والعقل في حياة الانسان ومستقبله، فكما أن الطعام هو غذاء الجسد البشري فإن العلم هو غذاء العقل، الذي يقويه ويعينه في الآخرة، وسوف نتناول أهمية العلم والعقل، في هذه الأقوال والأحاديث من خلال تقسيم البحث على المباحث الآتية:

المبحث الأول: أهمية العلم والعقل في الإسلام المحمدي ومنهج أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثاني: أهمية العلم والعقل في اقوال وحكم الامام الحسن بن علي عليه السلام.

وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر : (التاريخية ، والدينية ، والعقائدية ، واللغوية) من خلال استعمال المنهج الوصفي التحليلي .

المبحث الأول: أهمية العلم والعقل في الإسلام المحمدي ومنهج أهل البيت (عليهم السلام).

قسمنا هذا المبحث على محورين :-

المحور الأول : أهمية العلم في الإسلام ومنهج أهل البيت (عليهم السلام):

لقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على فضل العلم ، إذ أوجب طلبه أفضل العلم عند الله تعالى والعلم الشرعية والعلوم الانسانية الأخرى إذ قال تعالى في فضله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)

كما أكد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأهل البيت (عليهم السلام) على أهمية العلم النافع، إذ قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((سلوا الله علماً نافعاً وتعودوا بالله من علم لا ينفع))^(٢)، ويجب على كل مسلم ومؤمن أن يطلب العلم خالصاً لوجه الله، لا لمنصب أو جاه أو مال، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة (أي ريحها) يوم القيامة))^(٣)

ان تهذيب النفس وتزيينها لا يكون الا بالعلم، وهو من أسمى المقامات الإنسانية الشاخصة، والكمالات الرفيعة، وهو طريق الوصول الى السعادة الأبدية، وهو ترويض النفس على الأخلاق النبيلة ، والصفات الحميدة، فضلاً عن التقوى وطاعة رب العزة، وهو السبيل الأسلم لتطوير النفس لأمر الحق والابتعاد عن المنكر، ولكن تحقق ما ذكرناه اعلاه، متوقفٌ على المقصد الشريف المبني على المعرفة الصحيحة ، والإصلاح النفسي، وبالعلم والعقل يمكن تثقيف المواطنين على الإسلام تثقيفاً واعياً وبناءً للشخصية الإسلامية العقائدية في كل المواطن لتكوين القاعدة الفكرية الراسخة.^(٤)

ان الالتزام بشرع الله وسنة رسوله وأهل بيته (عليهم السلام)، هو العلم والعقل وهو باب من خلاله يعرف المؤمن دينه، ومعرفة الدين مقدمة للإيمان الحقيقي الصادق، والعمل المقبول الصحيح، لذا كان طلب العلم واجباً على كل مسلم كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)).^(٥)

لقد رفع الله تعالى منزلة العلم في كتابه العزيز فكانت أول آية (أقرأ) ، إذ علّم الله الإنسان بالقلم وما لم يعلم، وأعطى قدسية كبيرة للحرف (ن)، فأقسم الله بالقلم وما يسطرون، وفي الآية أخرى قال ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٦)، ومن هنا جاء الإسلام

المحمدي في بداية دعوة إلزامية التعلُّم وجعله من الفرائض، وجعل الرسول فداء فك أسرى المشركين تعليم المسلمين الأميين الكتابة والقراءة، وجعل مهر المرأة المتزوجة تعليمها قسماً من آيات القرآن الكريم، وقد تحدّث رسول الإنسانية محمد وأهل بيته ﷺ عن مكانة العلم وآثاره الدنيوية والأخروية، فعن الإمام علي ﷺ قوله في أهمية العلم: ((كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه من هو فيه))^(٧)

لقد علمنا الإسلام المحمدي ومنهج أهل البيت ﷺ على أهمية طلب العلم والتعلم، وهي وسيلة لتطبيق شرع الله وفرائضه؛ فديننا الاسلامي الحنيف يمتلك أحكاماً شاملة لكل حادثة في الحياة، ولا يمكن أن تتحقق طاعة خالق الأكوان إلا باتباع الشريعة والعمل بأركانها، وهذا الاتّباع يحتاج إلى معرفة أحكامها وقوانينها؛ لكي يسهل تطبيقها والالتزام بها، فالفروض هي أحكام فرضها الله تعالى علينا وامرنا بالالتزام بها؛ لأنها منبع كل خير وصلاح وأصل كل سعادة ومن هنا تأتي أهمية طلب العلم وتعلُّم معرفة هذه الأحكام والمسائل الشرعية، والالتزام بها، لنحظى بفرصة التقرب والدنو من الله تعالى كما قال الرسول ﷺ: ((ما تقرب إليَّ عبْدٌ بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه)).^(٨)

العلم والعقل في شرع الله ومنهج أهل البيت ﷺ، هما أهم وسيلة من الوسائل التي تهذب النفس وتشخص عيوبها، ومن خلاله يمكن التعرّف على الأفعال القبيحة، والصفات الذميمة؛ ليتمكن الانسان من معالجتها، فبالعلم والمعرفة نتعلم الأخلاق الفاضلة، ونكتشف الصفات الرذيلة وآثارها، وطرق معالجتها واكتشاف عيوبنا الأخلاقية، وباكتشاف المشكلة تسهل علينا اكتشاف الحلول، فمن خلال العلم، يمكن تهذيب النفس، ومعالجة العلل والأمراض النفسية، من هنا يكون طريق العلم طريق الحق والمجاهدة، وهو السبيل إلى معرفة الشوائب، والأدران والعوائق التي تحول بين الإنسان وربه وبين العلم والجهل، فالعلم كالطبيب الذي يعالج الداء ويصف علاجه، إذ من المتعذّر على الطبيب أن يعطي الدواء المناسب إذا لم يكن على علمٍ ودراية بالمرض ونوعه ليحدّد بعد ذلك كيفية معالجته، فالجهل بالنفس منشأ كل المفاسد والشور، وإن تهذيب النفس وتشخيص عيوبها من واجبات الأمور، وإن ضياع العلم يضاعف عيوب الإنسان من حيث لا يعلم قال أمير المؤمنين ﷺ: ((كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه)).^(٩)

لقد وضع اسلامنا المحمدي ومنهج أهل البيت عليه السلام، للعلم شروطاً وأحكاماً دعا الى تطبيقها؛ كي تحصل الثمرة الطيبة المرجوة من العلم، فليس كل من سلك طريق العلم والمعرفة نجاة من الهلاك، لذلك وضع على طالب العلم والمعرفة مجموعة من الآداب والشروط، قد أوجبوا مراعاتها لكي لا تزلّ قدم طالب العلم، ومن أهم هذه الضوابط : التوكل على الله فلا علم من دون ايمان بالله وبنية سليمة، وابتعاد عن الذنوب لأنها توقع بالضلالة بدلاً من الهداية، كما ويجب على طالب العلم التواضع وعدم الاستعلاء، والتحلي بالأخلاق الكريمة، إنّ عملية طلب العلم تتطلب الصبر وتحمل المشقات والضنك، ولا يمكن للإنسان أن ينال شرف العلم إلا بالصبر والتحمل، والدليل على ذلك كله قول رسول الله ﷺ: ((من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً)).^(١٠)

إنّ العلم والمعرفة عنصران مهمان إذ يعدان من أكبر نعم الله على عباده وأحسن المكاسب، وإذا توافر للإنسان قدرٌ أعلى من العلم فقد يصاب بالغرور، ويأخذه التعالي على أصحابه، وقد يصاب بالأنانية والزهو، وقد يبخل بعلمه على الآخرين، خدمةً لذاته ومصلحته الخاصة. لذا جاءت التعاليم الدينية ومنهج أهل البيت ؛ ليؤكدان على أهمية العلم تجاه الناس، ويتوجب على ذلك بذل المسلم علمه للآخرين والمتفيعين به، وبذل العلم هي زكاته، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ((زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه)).^(١١)

كما علمنا إسلامنا المحمدي ومنهج أهل البيت عليه السلام، بوجوب تحلي حامل العلم بالبساطة ولين العريكة، ويجب أن يخاطب المتعلم الآخرين بمستويات مختلفة تبعاً لمستوى الثقافات التي يتمتعون بها، فضلاً عن ذلك ينبغي مراعاة اختلاف : (قبائلهم ، و شعوبهم ، وتباين بطونهم وأفخاذهم ، وفصائلهم)، ويحدثهم بما يفهمون، ويحدثهم بما يعلمون، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله ((أمرتُ أن أخطبَ الناسَ على قدر عقولهم)).^(١٢)

فغاية العلم، والعقل هو الإيمان برب العزة، ويجب ان يكون العلم والعقل ملازمين للدين حتى لا يفترقا، كما أنّ العلم والعقل هما أساس الإيمان وبه نفهم ونعي فهم أحكامه ونعرف الخالق، وبه أكمل الله الحجاج للناس، وأتمّ الطاعة له والإيمان به، وقد تمتع أهل البيت عليه السلام بخصوصية لا تعد، ومزية لا

تفتقد ألا وهي حق تعريفهما وبيّنوا وظائفهما، وأوضحوا ماهيّتهما، فقد وصفهم الله بأوصاف شتى منها : (عَدْلُ الْقُرْآنِ، وأرباب العقول، وأولوا الأبصار) الذين اخذ الناس عنهم وفضلهم على جميع الخلائق، وأمرنا الله بالأخذ منهم، والعمل بسنتهم وأقوالهم، والعمل بعلمهم والاستفادة من عقولهم، لأنهم علماء الأمة وحكامها، يقول الامام الرضا (عليه السلام): ((بالعقول يعتقد التصديق بالله)).^(١٣)

المبحث الثاني: أهمية العلم والعقل في أقوال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) وحكمه.

لقد مثل الإمام الحسن بن علي المجتبي (عليه السلام)، سائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، الذين عرفوا بعلمهم اللدني الغزير العميق، وقد ميّزهم رب العزة عن سائر البشر، وقد أشار الله تعالى إلى العلم والعقل في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١٤)، وقد نهى الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) من علوم جده وهو صغير ((ولم يقتصر إرث الحسن من رسول الله ﷺ على التربية والعلم والهيبة والسؤدد، بل كان شبيه النبي ﷺ في الخلق والأخلاق)).^(١٥)

لقد قسمنا هذا المبحث على محورين، درسنا في المحور الأول: أقوال الامام الحسن (عليه السلام) وحكمه في أهمية العلم، وفي الثاني فقد تناولنا: أقوال الامام الحسن (عليه السلام) وحكمه في أهمية العقل في.

المحور الأول: أهمية العلم في أقوال الامام الحسن (عليه السلام):

ورد عن الامام الحسن بن علي (عليه السلام) أقوال كثيرة تمجد أهمية العلم ودوره في حياة الناس والمجتمع منها قوله في:-

١- التأكيد على دور التعلم في الصغر قال: ((تعلموا العلم، فإنكم صغار في القوم، وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب)).^(١٦)

لقد أكد إسلامنا المحمدي ومذهب أهل البيت (عليهم السلام)، على حق الأولاد منذ الصغر في اكتساب العلم، وفاءً بالحق الشرعي الملقى على عاتقنا، ولا سيما أن الإسلام ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) يعد العلم فريضةً على كل مسلم ومسلمة، وهذه الفريضة ليست حكراً على الأب والأم فقط بل ينسحب ذلك على الأولاد الصغار جميعاً. يقول أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): ((كان فيما وعظ لقمان ابنه أن قال له: يا بني اجعل في أيامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك في طلب العلم، فإنك لن تجد له تضييعاً مثل تركه)).^(١٧)

٢- تعليم الناس: في تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام) شواهد ناطقة على حب العلم فقد كان له

مجلس يعلم الناس فيه أمام بيته فقد ورد في الأثر انه: ((يسط له باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له)).^(١٨) يؤكد الامام في هذا السلوك على اهمية مجالس العلم، وكذلك مجالسة العلماء؛ لأنهم هيبة ووقار، وفي مقولة أخرى للامام زين العابدين عليه السلام قال: ((جالسوا أهل الدين والمعرفة فإن لم تقدروا عليهم، فالوحدة آنس وأسلم، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس، فجالسوا أهل المروآت، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم)).^(١٩)

٣- تأكيد الامام الحسن عليه السلام على أهمية طلب العلم من خلال السؤال؛ لأن السؤال كما وصفه عليه السلام أنه نصف العلم: ((حسن السؤال نصف العلم)).^(٢٠)

لقد حفزنا إسلامنا المحمدي ومنهج أهل البيت عليه السلام، على السؤال والاستفسار من أولي الذكر حتى نتعلم، وقد قالت العرب اذا كان العلم سؤالاً وجواباً، فان حسن الاستماع هو نصف العلم، وان حسن السؤال هي وسيلة لتعلم العلم النافع، لذا أمر الله الناس بالسؤال فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢١)، ولطرح السؤال آداب عامة يجب مراعاتها من كان له عقل راجح، فإذا كان سؤالك راجحاً، فلا بد أنك ستجد جواباً مائزاً، وإن أسأت السؤال فقد تصاب بالحرمان، وكان المسلمون يسألون ابن عباس كثيراً؛ لأنه حبر الأمة قال أبو سلمة: ((لو رافقت ابن عباس، لاستخرجت منه علماً كثيراً)).^(٢٢)

٤- أكد الإمام على أهمية نشر العلم من خلال تعليم الآخرين فقال: ((علم الناس، وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم)).^(٢٣)

يؤكد الامام الحسن عليه السلام على أهمية نشر العلم، وأهم وسائل نشر العلم هي الأسرة، فهي المحيط التربوي الخصب المسؤول عن تربية الأبناء تربية صالحة، ليصبحوا أبناء فعالين في خدمة المجتمع، كما يجب على كل مسلم أن يعلم أبناء أسرة أصحابه والمجاورين له، ونتيجة هذه الأهمية، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: ((وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب)).^(٢٤)

٥- يؤكد الامام الحسن عليه السلام على أهمية العلم كسلاح للمتعلم بقوله: ((قطع العلم عذر المتعلمين)).^(٢٥) الإسلام هو الدين الوحيد الذي أكد على تعلم الأحكام الشاملة، لكل شأن



أو حادثة في الحياة، ولا يمكن تعلم هذه الأحكام من دون علم، والعلم أيضا يعلمنا حاجتنا وشؤوننا كلها، والعلم فضلا عن كونه سلاح فهو أصل كل سعادة ومنبع كل خير، ولهذا كانت الحاجة إلى طلب العلم وتعلّم الأحكام والمسائل الواجبة؛ لأن العلم هو الباب الذي من خلاله نتقرب إلى الله، إذ نلتزم بفرائض الله علينا، أمّا الإنسان الجاهل الذي جهل بأحكام الله فلا عذر له، وسيكون رب العزة خصيمه يوم القيامة، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنّت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال: أفلا تعلّمت حتى تعمل يخصمه، وتلك الحجة البالغة)). (٢٦)

٦- دعا الامام الحسن (عليه السلام) إلى أهمية نشر العلم ونقله إلى الأبناء والأعقاب وقال في خطبة له: ((لقد دعوت الله تعالى أن يجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقبي)). (٢٧)

إنّ الإسلام المحمدي ومنهج أهل البيت (عليهم السلام)، مصابيح مضيئة في دياجير الظلام، وفي حياة الإنسانية، وهم منار شامخ لا يستطيع أي أحد أن ينكر دوره؛ لأنهم أعلام الهدى وقدوة للناس كافة، إذ عرفوا بالعلم والتقوى، والحكمة والإخلاص لله ولرسوله، وهم رواد حركة الإصلاح، من خلال الطريق الذي رسموه للناس، بأقوالهم وأفعالهم التي أصبحت منهجاً تربوياً سليماً، ولهذا وجب اتباعهم؛ لأنهم لم يتكلموا عن هوى، فكلامهم منقول عن جدهم الرسول الأعظم (عليه السلام)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((لو أنّا حدّثنا برأيّنا ضلّنا كما ضلّ من كان قبلنا، ولكنّا حدّثنا بيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه (عليه السلام) فيّنها لنا)). (٢٨)

٧- ضرورة ان يكون الانسان وعاء لكل العلوم، وجامعاً لكل المعلومات حتى يكون مناراً يستضيئ الناس به، وقال الامام الحسن في هذا الموضع: ((كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى))، وهذه التجربة خير برهان جسدها أمام المتقين الامام الحسن (عليه السلام) بقوله: ((كُلُّ وِعَاءٍ يَظِيْقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ)). (٣٠)

لقد أثنى القرآن الكريم على العلم والعلماء وخصّهم بالثواب، وقد عدّ العلم قضية مصيرية وضرورية للإنسان، فهو وعاء ينهل منه الإنسان ويتعلم منه، وهو ضالة المسلم متى



أراد الارتقاء ، وقد روى ابن عبد البر عن علي عليه السلام أنه قال في كلام له: ((العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه)). (٣١)

٨- عرف عن الامام الحسن مثل جده وابيه واهل بيته عليه السلام، انهم كانوا اشبه بمراكز إشعاع العالية ، فقد نهل الناس من علمهم فقد ورد في الأثر أن الامام الحسن عليه السلام كان فكره واضحاً كما وصف: ((كان الفكر الحسيني هو بيضة القبان المطلوب منه التوازن بين الإطروحات)). (٣٢)

فإذا أراد العالم الإسلامي ان يتطور ويعيش حياة سعيدة، عليه ان يتبنى أطروحات علمية جديدة أساسها العلم، لكي يتحرر من رق غيره، ويكون للعلم والفكر استقلال تعليمي ؛ لأننا باسم الحاجة تفكير عميق يكون أساسه العلم ، والذي هو حجر الزاوية وبيضة القبان في المشروع الانساني، فهو متشعب بروح الإسلام والإيمان، الراسخ بتعاليمه وأهدافه ، يتمثل فضل الفكر الإسلامي في إدارة البلاد، وتنظيم شؤون المجتمع، وبالعلم تحل مشاكل المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، فالعلم قضبان هو محمد ﷺ، وكفتاه الامام علي عليه السلام، أي أن الإسلام وأهل بيته عليه السلام قال رسول الله ﷺ: ((أَنَا مِيزَانُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ كَفْتَاهُ)). (٣٣)

المحور الثاني : أهمية العقل في أقوال الإمام الحسن وحكمه :

لقد وردت عن الامام الحسن بن علي عليه السلام ، اقوالاً وحكماً كثيرة تمجد العقل وأهميته في حياة المسلمين، وكيف لا يكون كذلك، والإمام الحسن بن علي عليه السلام هو رجل العقل الراجح، وقد قال جده عليه السلام: ((لو كان العقل رجلاً لكان الحسن)) (٣٤)، والآن نستعرض اقوال الامام الحسن عليه السلام بخصوص أهمية العقل وهي :-

١- يقول الامام الحسن بن علي عليه السلام : ((لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل))، الإيمان بالله وباليوم الآخر.

والعمل بأوامر الإسلام، وتجنب ما نهى عنه هو قمة العقل، وهو أكمل أوجهه وأتم صور الإنسان المسلم، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((فالعقل مقرون بالإيمان بالله، والعمل الصالح، والخير، والسلوك السليم، والصفات الحميدة، وبدون هذه الصفات لا يمكن للإنسان أن يسمى عاقلاً)) (٣٥)

٢- قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام : ((رأس العقل معاشره الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين ومن حرم العقل حرمهما جميعاً)) (٣٦)

أنّ الإنسان المؤمن عادةً يساير ويداري أهل بيته ومن ثمة عامة الناس، إذ إنّهُ يتحمّل أخطاءهم ويلين معهم في التعامل، ومن أهم ما علمنا أسلامنا المحمدي ومنهج أهل البيت هو أن نتربى على ثقافة التسامح، والتعامل مع الناس جميعاً كأئمتهم أهل بيت واحد، ويجب مسايرتهم ومداراتهم، كما في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((عنوان العقل مداراة الناس)).^(٣٧)

٣- وقال الامام الحسن (عليه السلام): ((إنّ العقل أساس العلم، ومن هنا فقد عرّف العقل من خلال لوازمه وآثاره العلميّة))^(٣٨)، يجسد الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) في هذا القول، المقولة المشهورة العقل السليم في الجسم السليم وتطبيقها في منهج أهل البيت (عليهم السلام)، والعقل هو ما يميّز به بين الخير من الشر، والحق والباطل، ويقابله الجنون والسفه، والحمق والجهل باعتبارات مختلفة.^(٣٩)

٤- قال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): ((اليقين معاذ السلامة))^(٤٠)، العقل أو اليقين عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هو المدرك للواقع العملي للإنسان، الموصل لمعرفة وجود الله عز وجل وهذه هي قمة السلامة، هكذا جعل الامام أحسن مراتب الإيمان طهارة القلب وعلو النفس عن دنس الظنون والشرك والشك، وسائر وساوس ابليس وهمزاته وشكوكه، وباليقين بالتغلب على الوسوس والخوف، إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام) في فضل اليقين: ((إنّ الإيمان أفضل من الاسلام، وإنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعزّ من اليقين)).^(٤١)

٥- قال (عليه السلام): ((لا أدب لمن لا عقل له))^(٤٢): يبين الامام ان العقل هو القوة المبدعة التي منحها المولى إلى الإنسان وميزه عن الحيوانات وشرفه على بقية الموجودات، وبالعقل تتنظّم الحياة وتعمّر، وبه يبني الانسان مستقبله القريب، وما هو أعمق وأشمل من ذلك، فالعقل صديق الإنسان ومن لا عقل له لا أدب له، لأن العقل هو صديق الإنسان وعدو الجهل قال الامام الرضا (عليه السلام): ((صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله)).^(٤٣)

٦- قال الامام الحسن بن علي (عليه السلام): ((أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكّر، فإنّ التفكّر أبو كلّ خير وأمه))^(٤٤)، وهذا ما ورد عن ادامة العقل واهميته بالقرآن الكريم والتي ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، وكذلك سنة رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله)، وروايات اهل البيت (عليهم السلام)، ويقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال: ((ان افضل عند الله من أحيا عقله)).^(٤٥)

فالعقل في مكنونه يلور الأحكام والمفاهيم الاسلامية الواجبة، وحوله تتمحور الغايات التي تؤكد العقل والتفكير، وهو أشرف ما خلق الله ؛ لأن بهما يعرف الله، وأن العقل المنحرف نحو المعاصي والمنكرات، ولا يعرف صاحبه من دنياه غير الحصول على ما تشتهيه نفسه وتلبية غرائزه فهو ((كالبهيمة المربوطة همها علفها)) كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام ^(٤٦)

٧- قال الامام الحسن ((أيها الناس إن أكيس الكيس التقى)). ^(٤٧)

يؤكد الامام على صفة الكياسة التي هي صفة اهل البيت والصالحين، والكيس في الإنسان الواسع الصدر أو ضد الحمق، والكياسة هي خلاصة وزبدة العقل والرأي والعقل والكيس هو العاقل والفظن، أو الخفيف الظريف المتوقد الذهن، والكيس من الرجال كيس أي: الحسن الذي يدين نفسه اذا عمل خطأ، ويعمل لما بعد الموت، وأن لا يتبع هوى نفسه، إذ يقول الإمام علي عليه السلام: ((أشرف المؤمنين أكثرهم كيساً)). ^(٤٨)

النتائج والتوصيات

- ١- لقد أكد القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة على أهمية العلم والعقل.
- ٢- إنَّ منهج أهل البيت عليه السلام مليء بالأحاديث والأقوال التي تؤكد على أهمية العلم والعقل.
- ٣- لقد كان الإمام الحسن عليه السلام من أوائل الأئمة الذين أكدوا على أهمية العلم والعقل.
- ٤- تعرّض الإمام الحسن للحديث عن أهمية العلم والعقل من خلال أحاديثه وحكمه المبثوثة في المصادر التاريخية القديمة فضلاً عن المراجع الحديثة التي عرضها الباحثان في هذا البحث.
- ٥- إنَّ العلم والعقل سلاحان مهمان في ترسيخ الإسلام ووحدة المجتمع الإسلامي.
- ٦- للعلم والعقل دور بارز في إرساء الحياة الحرة الكريمة وإرساء قيم السعادة والتعاون بين أبناء المجتمع الإسلامي.
- ٧- تتمنى أن يأخذ العلم والعقل حيزاً كبيراً في الدراسات الحديثة.
- ٨- وضع مناهج دراسية وتربوية تشمل دراسات عن العلم والعقل من ضمن مناهج التربية الأخلاقية توظف لدراسة أقوال الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في مفردتي: (العلم والعقل)، وتوظيف هذه الأقوال والحكم في الحياة العملية من أجل أن تسود العدالة والسعادة في هذا المجتمع.
- ٩- بالعلم والعقل تبنى الدول والشعوب.
- ١٠- التسامح والآخر ونشر العلم وتنمية العقول صمام أمان لا يمكن الاستغناء عنه.

الهوامش

- ١- سورة الزمر ، الآية ٩.
- ٢- موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة، الشيخ محمد الريشهري ، ج ٢، ص ٤٣٠.
- ٣- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ج ١، ص ٢٢٧.
- ٤- الإسلام يقود الحياة، الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٢٣.
- ٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ج ١، ص ١٧٢.
- ٦- (سورة المجادلة: الآية ١١).
- ٧- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ج ١، ص ٦٦
- ٨- الكافي : ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ج ٢، ص ٣٥٢.
- ٩- غُرَرُ الْحِكْمِ وَدُرَرُ الْكَلِمِ يحتوي على كلمات قصار وحكم ومواعظ علي بن أبي طالب : الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي ، ص ٢٣٣.
- ١٠- أصول الكافي : ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ج ١، ص ٤٩.
- ١١- عُدَّةُ الدَّاعِي وَنَجَاحُ السَّاعِي ، جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلبي ، ص ٦٨.
- ١٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي ج ٢٩، ص ١٧٩.
- ١٣- الاحتجاج : العلامة ابي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، ج ٢، ص ٣٦٤.
- ١٤- (سورة المجادلة: الآية ١١).
- ١٥- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر : الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي الرازي، ص ٨٩.
- ١٦- الفصول المهمة في معرفة الأئمة : علي بن محمد أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ، ص ١٤٢.
- ١٧- أمالي الطوسي : الشيخ الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ، ص ٤٢.
- ١٨- أعيان الشيعة : العالم الكبير السيد محسن الأمين العاملي، ج ١، ص ٤٥٣.
- ١٩- مستدرک الوسائل : الميرزا حسين النوري الطبرسي ج ٨، ص ٣٢٨.
- ٢٠- نور الأبصار في مناقب الأئمة الأطهار : مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، ص ١١٠.
- ٢١- (سورة النحل، الآية ٤٣).
- ٢٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، ج ١، ص ٢٠٩.
- ٢٣- الأئمة الاثنا عشر، السيد محسن الحكيم، مؤسسة الامام الحسين وحدة البحوث والكتابات، النجف الاشرف، ٢٠١٢م، ص ٣٧.
- ٢٤- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ج ٤، ص ٤٠٩.
- ٢٥- تحف العقول عن آل الرسول : أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني ، ص ١٧٠.

- ٢٦- بحار الأنوار الجامع لدرر اخبار الائمة الاطهار (عليه السلام)، ج ١، ص ١٧٨... مصدر سابق.
- ٢٧- أهل البيت، الحسن بن علي: توفيق ابو علم، ص ١٤.
- ٢٨- الاختصاص: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ص ٢٨١.
- ٢٩- اعلام الوري باعلام الهدى: ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ص ٢٢٣.
- ٣٠- أصول الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤٦.
- ٣١- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر، ج ٢، ص ١٧٧.
- ٣٢- الحسن بن علي الإمامة المنسية: صالح الطائي، ص ٧٤٧.
- ٣٣- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٧٧٠.
- ٣٤- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، السيد هاشم البحراني الموسوي التوبلي، ج ٥، ص ٣٤.
- ٣٥- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني الرازي، ج ١، ص ١١.
- ٣٦- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، السيد مصطفى الموسوي، ص ٢١٢.
- ٣٧- عيون الحكم والمواعظ، الشيخ كافي الدين ابي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٣٣٩.
- ٣٨- حياة الامام الحسن بن علي (عليه السلام): باقر شريف القرشي، ج ١، ص ٣٥٧.
- ٣٩- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج ٢، ص ٢٤٧.
- ٤٠- تحف القول مصدر سابق ص ١٧٠.
- ٤١- الوافي: محمد محسن بن مرتضى المشهور بلقب الفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٥٤.
- ٤٢- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، السيد مصطفى الموسوي، ص ١١٥.
- ٤٣- مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني، ج ١، ص ٣.
- ٤٤- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، مصدر سابق، ٣/ ٢٤٦٣.
- ٤٥- اعلام الهداية، المجمع العلمي لأهل البيت، ج ٢، ص ٢٢٧.
- ٤٦- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي المدائني، ج ٣، ص ٧٢.
- ٤٧- منتهى الآمال في تواريخ النبي والبيته: الشيخ عباس القمي، ص ٢٤٧.
- ٤٨- غرر الحكم ودرر الكلم: ناصح الدين أبو الفتح الآمدي، ص ١٣٥.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الاحتجاج : العلامة ابي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٦م، الجزء الثاني .

* الاختصاص : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ) ، تحقيق علي اكبر الغفاري، ومحمود الزرندي، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.

* الإسلام يقود الحياة، الشهيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر انتصارات دار الصدر، قم المقدسة، ١٤٢٩هـ.

* أصول الكافي : ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ) ، شرحه ، وصححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ ، الجزء الأول.

* أعلام الهداية : المجمع العلمي لأهل البيت - قم المقدسة، ١٤٢٢هـ ، الجزء الثاني.

* إعلام الوري بأعلام الهدى : ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م.

* أعيان الشيعة، العالم الكبير السيد محسن الأمين العاملي المتوفى سنة ١٣٧١هـ، تحقيق حسن الأمين،

دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣م ، الجزء الأول

* أمالي الطوسي : الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة ت ٤٦٠هـ، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.

* أهل البيت الحسن بن علي : توفيق ابو علم، دار

المعارف مصر، ١٩٨٦م.

* الأئمة الاثنا عشر، السيد محسن الحكيم، مؤسسة الامام الحسين وحدة البحوث والكتابات، النجف الاشرف، ٢٠١٢م .

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ) ، مؤسسة

الوفاء، بيروت، ٢٠١٧م، الجزء الأول.

* تحف العقول عن ال الرسول : أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع الهجري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - ١٩٦٩م.

* جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٩٩٤م، الجزء الثاني.

* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، الجزء الأول.

* الحسن بن علي الإمامة المنسية: صالح الطائي، دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م.

* حياة الامام الحسن بن علي عليه السلام : باقر شريف القرشي، انتشارات مدرسة الايرواني، قم المقدسة، ١٩٩١م، الجزء الأول.

* ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى : محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) ، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

* الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام، السيد مصطفى الموسوي - دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٥م.

* شرح نهج البلاغة : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي المدائني (ت ٦٥٦هـ)

القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني
فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)
،تحقيق بكري أمين، مؤسسة الرسالة، بيروت
١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الجزء التاسع والعشرون .
* مستدرك الوسائل : الميرزا حسين النوري
الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت
لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ، الجزء
الثامن
* مسند الإمام الرضا عليه السلام، جمعه ورتبه الشيخ عزيز
الله العطاردي الخبوشاني، مكتبة الصدوق،
طهران، ٢٠١٧م، الجزء الثالث.
* مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب
التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،
الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م،
الجزء الأول.
* معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ، تحقيق إحسان
عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م
، الجزء الأول
* من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق أبي جعفر
محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
ت ٣٨١هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٣م،
الجزء الرابع.
* منتهى الآمال في تواريخ النبي وال بيته :
الشيخ عباس القمي، دار الرسول الاكرم
، ص، بيروت، ٢٠١٠م.
* موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة :
الشيخ محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث
العلمية الثقافية مركز الطباعة والنشر، قم
المقدسة ١٤٢٥هـ ، الجزء الثاني.

،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب
العربية، القاهرة، ١٩٥٩م الجزء الثالث.
* عُدَّة الدَّاعِي وَنَجَاحُ السَّاعِي ، جمال الدين أحمد
بن محمد بن فهد الحلي (ت ٨١٤هـ)، دار الكتاب
الاسلامي، بيروت، ٢٠١٥م.
* عيون الحكم والمواعظ : الشيخ كافي الدين ابي
الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق
الشيخ حسن الحسيني البيرحندي، مطبعة دار
الحديث- قم المقدسة، ١٣٧٦هـ.
* غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق
الخاص والعام : السيد هاشم البحراني الموسوي
التوبلي : تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ
العربي، بيروت، ٢٠٠١م، الجزء الخامس
* غُرَرُ الْحِكْمِ وَدُرَرُ الْكَلِمِ يحتوي على كلمات قصار
وحكم ومواعظ علي بن أبي طالب، الشيخ عبد
الواحد بن محمد التميمي الأمدي (ت ٥١٠هـ)،
دار الهادي، بيروت، ٢٠١٥م.
* الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد
المالكي المكي الشهير بابن الصباغ، حققه ووثق
أصوله وعلق عليه سامي الغريزي، دار الحديث،
قم المقدسة، ١٣٧٩هـ
* الكافي : ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب
بن إسحاق الكليني الرازي ت ٣٢٩هـ، دار
الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ الجزء الثاني.
* كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر :
الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزّاز
القمي الرازي، تحقيق وتعليق الشيخ محمد
باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية،
طهران، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء
الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان

* الميزان في تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ،
الجزء الثاني .

* نور الأبصار في مناقب الأئمة الاطهار: مؤمن بن
حسن مؤمن الشبلنجي (ت ١٨٩٠م)، مؤسسة

البلاغ المبين، قم المقدسة، ١٩٨٧م.
* الوافي، محمد محسن بن مرتضى المشهور بلقب الفيض
الكاشاني من أعلام القرن الحادي عشر، مكتبة
الامام امير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان، ١٤٣٠هـ،
الجزء الثالث .

اثر المال والاعلام على معسكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام
- دراسة تأريخية -



م.د. محمد عباس حسن الطائي

وزارة التربية

أ.م.د. رشا عبد الكريم النور

مركز الخليج للدراسات والبحوث / جامعة البصرة

م.م. عباس قاسم المرياني

كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الغر المنتجبين وبعد .

يعد المال والاعلام أو الدعاية من اهم الاسلحة التي تستعمل في تحقيق المصالح الشخصية والاهداف المقصودة للوصول الى الغايات والاطماع الدنيوية، لذلك استعان معاوية بن ابي سفيان بسلاحه المرغب الا وهو المال ووجهه للنفوس الضعيفة في شراء ذممهم ودينهم من اجل الوقوف الى جانبه ومساعدته لتحقيق طموحاته ومآربه الدنيوية التي يصبو اليها في الوصول الى دفة الحكم فتارة يستعمل المال لكسب المناصرين، وتارة اخرى للتخلص من اعدائه وخصومه السياسيين والمعارضين له . إن جذور هذه السياسة التي أعتمد معاوية فيها اعتماد كُلي على المال في كسب ود خصومه بعد معركة صفين عام (٣٧هـ) لذا شرع لمحاربة الامام علي عليه السلام بلا عُدَّة ولا عدد، وانما استعان بالمال لشراء الذمم الرخيصة على حد قوله : «والله لا استمِلن بالاموال ثقات علي ، ولا قسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي اخرتهم»^(١) .

سار معاوية على النهج نفسه في محاربة الامام الحسن عليه السلام إذ وجد معاوية الارض الخصبة في الاستعانة بهذا الاسلوب لكسب المناصرين لذلك تغنن معاوية في انفاق المال وبذله ليستميل الاشراف والقادة ورؤساء القبائل والزعماء فكان للمال التأثير المباشر على معسكر الامام المجتبي عليه السلام مما ادى الى فقدان الامام عليه السلام السيطرة على معسكره خصوصاً بعد خيانة قادة جيشه وخير شاهد على ذلك خيانة قائد قواد جيشه عبيد الله بن سعد وبذلك نلاحظ أن معاوية كان مطبقاً لقوله : « البذل يقوم مقام العدل »^(٢) .

اما عن العامل المؤثر الثاني او سلاح معاوية بن ابي سفيان الذي استعان به الا وهو الاعلام او الدعاية إذ استعملها كمحاوله منه للتأثير على عقول الناس والهيمنة على نفوسهم وافكارهم والهدف من ذلك لتضليلهم لكي لا يعرفوا على حقيقة امره . واول عمل قام به معاوية كدعاية اعلامية له هو رفع قميص عثمان واصابع زوجته نائلة فوق منبره تارة، وتارة اخرى يلبسه ليشير عواطف اهل الشام ويشحن نفوسهم لمواجهة جيش الامام علي عليه السلام.

ولما آلت الخلافة الى الامام الحسن المجتبى عليه السلام استعان معاوية بهذه السياسة التي كان بارعاً فذاً بها، فأخذ في ارسال عيونه وجواسيسه داخل معسكر الامام عليه السلام، ليثبتوا الاشاعات وليثيروا الشكوك داخل صفوف جيش الامام عليه السلام وخير شاهد على ذلك عندما وجه معاوية سهامه بإشاعة خبر مفاده ان قيس بن سعد بن عباد قد صالح معاوية فأخذت هذه الاشاعة بالانتشار وكان لها صدى واسع في المعسكر والملاحظ ان جيش الامام عليه السلام تفاعل مع تلك الاشاعة دون ان يشكك بصحتها .

وهكذا يمكن القول ان معاوية بن ابي سفيان كان بارعاً في استعماله المال والاعلام لمواجهة الامام الحسن المجتبى عليه السلام لكونه سبق وان حارب به امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. وللحديث بقية سنوضحها بشكل مفصل في مدار بحثنا هذا ان شاء الله تعالى .

Abstract

Money and the media, or propaganda, are among the most potent tools that are utilized to attain personal interests and objectives and to reach worldly ambitions and goals. Consequently, Mu'awiyah bin Abi Sufyan employed his preferred weapon, money, to purchase the loyalty of weak souls and their religion to achieve his ambitions and worldly objectives. He sought to reach the pinnacle of power, and at times he exploited money to recruit supporters, while at other times he did it to eliminate his enemies and political opponents. The foundation of this policy, which Mu'awiyah adopted, was entirely dependent on money to defeat his adversaries after the Battle of Siffin in 37 AH. Therefore, he resorted to fighting Imam Ali (peace be upon him) without any limitations or constraints. Instead, he relied on money to purchase cheap loyalties, as he stated, 'By Allah, I will utilize money to gain the trust of Ali's followers, and I will distribute wealth among them until my worldly possessions surpass their hereafter. Mu'awiyah followed the same approach when confronting Imam Hassan (peace be upon him). He discovered that using money to gain support was a fruitful strategy. Therefore, he excelled in providing financial incentives and making efforts to defeat nobles, leaders, tribal chiefs, and influential figures. Money had a direct impact on the camp of Imam Al-Mujtaba (peace be upon him), resulting in a loss of control by the Imam, especially after the betrayal of his army commanders. The most glaring example of this betrayal is the treachery of his chief commander, Ubaydullah ibn Sa'ad. Thus, we see that Mu'awiyah adhered to the saying, 'Generosity takes the place of justice.

As for the second influential factor or tool employed by Muawiyah ibn Abi Sufyan, it was propaganda or media. He used it as an attempt to affect people's thoughts and deceive them, to dominate their minds and conceal the truth about his affairs. The first propaganda act carried out by Muawiyah was raising the shirt of Uthman and the fingers of his wife, Na'ilah, above his pulpit at times, and at other times wearing it to stir the emotions of the people of Sham and to instill in them the fervor to confront the army of Imam Ali (peace be upon him).

When the caliphate devolved to Imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him), Mu'awiyah resorted to this policy, in which he was a brilliant and unique expert. He



began sending his spies and informants into the camp of Imam Hassan (peace be upon him) to spread rumors and sow doubt within the ranks of the Imam's army. The best witness to this is when Mu'awiyah directed his arrows by spreading a rumor that Qays ibn Sa'd ibn 'Ubādah had made peace with Mu'awiyah. This rumor spread widely and had a significant impact within the camp. It is noticeable that the Imam's (peace be upon him) army interacted with this rumor without questioning its veracity. Thus, it can be said that Mu'awiyah ibn Abi Sufyan was adept at using money and propaganda to confront Imam Hassan (peace be upon him), as he had previously employed these tactics against the Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (peace be upon him).



المقدمة

بذل معاوية بن ابي سفيان جهوداً كبيرة من أجل الوصول الى السلطة والتشبث بها مهما كلفه ذلك ، وعلى الرغم من رفضه من قبل المسلمين جميعهم إذا ما قلنا اغلبهم ولأجل اسكات اصوات المعارضين له ولتنفيذ مشروعه سلك معاوية شتى الطرق واستعمل كثيراً من الاساليب والسياسيات التي تمكنه من تحقيق هدفه ومبتغاه، فكان أهم عاملين مؤثرين أتخذهما لمحاربة الامام المجتبى (عليه السلام) هما المال والاعلام: فالأول استعان به معاوية مشمراً عن ساعديه ببذل الاموال لكسب ود معارضيه واستمالة نفوسهم الضعيفة فاغدق عليهم الاموال واستطاع بذلك استمالة اغلب قادة الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) إذ يعد لهذا السياسة الاثر الكبير في تفكك معسكر الامام (عليه السلام) . وأما عن الاسلوب الثاني اعني به الاعلام او الدعاية الاعلامية التي تفنن بها معاوية فوجد الارض الخصبة في معسكر الامام (عليه السلام) لبث اشاعته وسمومه عن طريق عيونه وجواسيسه التي اربكت صفوف جيش الامام المجتبى (عليه السلام) في معسكره .

ويمكن القول ان اسهم معاوية قد اصابة الهدف فقد حدثت اضطرابات في المعسكر مما دفع الامام المجتبى (عليه السلام) الى عقد الهدنة .

وبعد أن وفقنا الله تعالى في جمع النصوص التي تخص بحثنا هذا من المصادر الاولية المعتبرة فقد قسّمنا البحث على محورين، الاول الذي جاء تحت عنوان بذل المال لشراء الذمم والمحور الثاني الاعلام وبث الاشاعات وفي الخاتمة توصلنا الى أهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال ما سطرناه في بحثنا هذا ونسأل الله العليّ القدير أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا .

أولاً: بذل المال لشراء الذمم .

سعى معاوية بن ابي سفيان جاهداً في الاستعانة بكافة الاساليب والطرق الملتوية من اجل الوصول الى السلطة فقد استعان بأسلوب بذل المال لشراء الوجوه الاجتماعية التي لعبت دوراً بارزاً في ذلك العهد، فنجد معاوية تارةً يستعمله للتخلص من اعدائه وتارةً اخرى يستخدمه لشراء الذمم فكان معاوية يقول: «البذل يقوم مقام العدل»^(٣)، وسعى معاوية لكسب الثقة من اصحاب الامام علي (عليه السلام) على حد قوله: «والله لا يستملن بالاموال ثقات علي ، ولأقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي اخرتهم»^(٤) .

وقد اكد صعصعة بن صوحان^(٥) على ما انتهج معاوية في شراء ذمم الناس بقوله لمعاوية : « فأما طراؤك اهل الشام فلا اعلم احد اطوع لمخلوق في معصية خالق منهم ، اشتريت اديانهم بالمال ، فان تدره عليهم يمنعوك وينصروك ، وان تقطعه عنهم يخذلوك »^(٦) .

ومن الشواهد التاريخية على ذلك فقد اشترى معاوية آخرة عمرو بن العاص إذ قال عمرو لمعاوية : « لا اعطيك ديني حتى اخذ من دنياك »^(٧) فوهب له مصر بخيراتها^(٨) . وقد اكد على ذلك عبدالله بن عباس عندما وبخ عمرو بن العاص لانضمامه الى صفوف معاوية قائلاً : « انك مال بك الهوى الى معاوية ، وبعته دينك بالثمن الاوكس »^(٩) .

كما سعى معاوية لاستمالة قيس بن سعد بن عبادة فكتب له « فان استطعت يا قيس ان تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل فان بايعتنا على هذا الامر فلك سلطان العراقيين ولن شئت من اهلك سلطان الحجاز مادام لي سلطان وسلني غير هذا ما تحب فانك لا تسألني شيئاً الا اوتيته »^(١٠) . رفض قيس هذا العرض بشدة وكان ممتعضاً بقوله : « فالعجب من اغترارك بي يا معاوية وطمعك في تسومني الخروج عن طاعة اولي الناس بالامرة واقربهم بالخلافة واقولهم بالحق واهداهم سييلا واقربهم الى رسوله وسيلة واوفرهم فضيلة وتامرني بالدخول في طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الامر واقولهم بالزور واضلهم سييلا »^(١١) .

كان معاوية بن ابي سفيان حاذقاً في استعمال سياسة بذل المال لشراء الوجوه فلما علم بمسير الامام علي^(عليه السلام) الى النهروان لمحاربة الخوارج استعمل معاوية اسلوبه المرغب بمكاتبة بعض الوجوه من اهل الكوفة ومناهم وبذل لهم الاموال فما لواله وثاقلوا عن المسير مع الامام علي^(عليه السلام) . وهذا ما اكده البلاذري أن معاوية شنَّ الحرب على الامام علي^(عليه السلام) بعد صفين بغير عدة ولا عدد وانما استعمل المال كوسيلة لجذب القلوب وشراء الوجوه المؤثرة في المجتمع العربي الاسلامي^(١٢) . ولما آلت الخلافة الى الامام الحسن المجتبى^(عليه السلام) عام (٤٠ هـ) استعان معاوية بهذا الاسلوب وعلى نطاق واسع من اجل نيل السلطة والتشبث بها فأخذ في مراسلة قادة جيش الامام الحسن المجتبى^(عليه السلام) ومناهم بأموال طائلة ورغبهم بمكانتهم الاجتماعية التي سيمنحها لهم في حال ترك معسكر الامام الحسن^(عليه السلام) والالتحاق بمعسكره وخير شاهد على ذلك، لما كاتب معاوية قائد

جيش الامام عليه السلام عبيد الله بن عباس بين له أنه قد كاتب الامام المجتبي عليه السلام معاوية وانه يرغب بالصلح معه ورغبه بقوله : « فإن دخلت في طاعتي الان كنت متبوعا ، وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن أجبتني الان أن أعطيك ألف ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر » ^(١٤) .

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن معاوية قد رغب بمكانة اجتماعية لعبيد الله بن عباس في حال التحاقه بصفوف جيش معاوية ورغبه واستماله بالمال أيضاً ، وهذا على ما يبدو ان معاوية كان على دراية بالنفوس الضعيفة التي تلهث خلف الجاه والسمعة والمال ، مما ادى الى ضعف ابن عباس امام مرغبات معاوية وامواله الطائلة « فانسل عبيد الله إليه ليلاً ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده » ^(١٥) .

واتبع معاوية ذات الاسلوب مع قيس بن سعد بن عباد لا استقطابه واستمالته فأرسل له سجلاً وختم في اسفله وقال له : « اكتب في هذا السجل ما شئت » ^(١٦) ؛ لكن قيس بن سعد رفض هذا العرض المغربي مجدداً إذ سبق وان كاتبه معاوية في عهد امير المؤمنين الامام علي عليه السلام . والملاحظ أن الروايات التاريخية تذكر انزعاج عمرو بن العاص واعتراضه على ما فعله معاوية مع قيس بن سعد فقد كان يدفع لمحاربة قيس فقال معاوية له : « على رسلك فانا لانخلص الى قتلهم حتى يقتلوا اعدادهم من اهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فاني والله لا اقاتله ابداً حتى لا اجد من قتاله بدا » ^(١٧) .

لم يكتف معاوية عند هذا الحد وانما سعى بكل طرقه ووسائله واساليبه غير المشروعة في جذب وترغيب قادة جيش الامام المجتبي عليه السلام ، فقد روي أن الامام عليه السلام وجه رجلاً من قبيلة كندة قائداً على أربعة آلاف مقاتل الى الانبار لمقاتلة معاوية ولما علم معاوية بذلك بعث اليه رسلاً وكتب اليه « إنك إن أقبلت إلي وليتك بعض كور الشام ، أو الجزيرة ، غير منفس عليك . وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم ، فقبض الكندي المال ، وقلب على الحسن عليه السلام وصار إلى معاوية ، في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته » ^(١٨) .

نستنتج من هذا النص ان معاوية واسلوبه الحاذق في استمالة الاشخاص كان مؤثراً في النفوس الضعيفة إذ يوعدهم باعطائهم مكانة اجتماعية من خلال توليهم الولايات التابعة له هذا فضلاً

عن ارساله اموالاً طائلةً مما يجعل الفرد الذي لا يعرف حيل ودهاء معاوية يضعف امام مرغباته الدنيوية فيلتحق بصفوف جيش معاوية . وهذا ما يمكن ان نقوله ان اغلب قادة جيش الامام الحسن (عليه السلام) طلاب دنيا وعبيداً لها ، فلما علم الامام المجتبى (عليه السلام) بغدر الكندي قام خطيباً بالناس قائلاً : « هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم ، وقد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه ، وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه ، لا يراقب الله في ولا فيكم »^(١٩) . وعلى ما يبدو ان الامام المجتبى (عليه السلام) قد فقد الثقة بكل من يوليه او يأتمره على جيشه ولربما كان يعلم بسياسة معاوية التي تعمل على استقطاب الاعداء ببذل الاموال لهم وفي الوقت نفسه ان الامام (عليه السلام) كان على علم واطلاع بنفوس جيشه وما يميلون اليه .

ولما رأى معاوية تأثير المال وردوده الايجابي اتجاه معسكره اخذ بمراسلة وجوه اهل العراق وشراء ذممهم فأخذوا يأتون معاوية « فيبايعونه فكان أول من أتاه خلد بن معمر ، فقال : أبايعك عن ربيعة كلها ففعل وبايعه عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي »^(٢٠) .

ولما بلغ الامام المجتبى (عليه السلام) ذلك قال : « يا أهل العراق أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي »^(٢١) .

كما وسع معاوية بكتبه وكثف جهوده لشراء الذمم فكتبه مجموعة من رؤساء القبائل في السر وقد تعاونوا معه وطلبوا منه السير نحوهم وقد « وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به »^(٢٢) .

كانت لهذه المراسلات التي جرت بين معاوية ورؤساء القبائل زادت من مطامع معاوية وقد هم في قتل الامام الحسن (عليه السلام) فدرس معاوية الى « عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وإلى حجر بن الحجر وشبث بن ربعي ، دسيساً أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه انك ان قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم ، وجند من أجناد الشام ، وبنات من بناتي »^(٢٣) .

ونستنتج من كل ذلك أن معاوية قد حارب الامام الحسن عليه السلام بغير عدة ولا عدد وبدون سلاح أو قتال وانما استعمل اساليبه غير المشروعة في شراء ذمم قادة جيش الامام الحسن عليه السلام وتبذيره للاموال إذ سخر بيت مال المسلمين في الشام له ولأهل بيته ولسياسته التي تهدف الى استقطاب الانصار من اجل الوصول الى السلطة دون دفع حقوق الفقراء المسلمين من بيت مالهم بل عمد الى تهيشهم واحتقارهم .

ثانياً : الاعلام وبث الاشاعات .

استعان معاوية بن ابي سفيان بالاعلام كسلاح لخوض الحرب الناعمة ضد الامام علي عليه السلام، إذ كان قد اعتمد عليه معاوية في بث دعاياته المؤثرة في المجتمع العربي الاسلامي للمحاولة في السيطرة على عقول الناس ونفوسهم ، فقد كان لمعاوية باع طويل في هذا المجال، والشواهد التاريخية كثيرة منها استعماله لقميص الخليفة عثمان بن عفان واصابع زوجته نائلة^(٢٤) إذ وظفهم دعاية اعلامية مؤثرة في نفوس الشاميين فأخذ يرتدي القميص تارة واحياناً نجده يرفعه بالقرب من منبره لأثارة حفيظة اهل الشام في الأخذ بثأر الخليفة الذي أتهم بقتله الامام علي عليه السلام وتأليب الناس عليه^(٢٥) .

ومن دعاياته سعيه للتشكيك في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وراح يبث دعاياته المسمومة التي تبثت الريبة والشك في مصداقية الامام علي عليه السلام في روايته للحاديث الشريفة وقد عبر عنها معاوية أنها من الاساطير وهذا ما شاهدناه في كتابه الذي وجهه الى الامام عليه السلام إذ جاء فيه «أما بعد ، فدعني من أساطيرك ، واكفف عني من أحاديثك ، وأقصر عن تقولك على رسول الله ﷺ وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك والخداع لهم ، فقد استغويتهم...»^(٢٦) .

واخذ معاوية أيضاً في تأويل وتفسير احاديث النبي الاكرم ﷺ بتأويل ما انزل الله بها من سلطان لتضليل الناس وغرس ذلك في قلوبهم ليؤثر على عقولهم بأنهم على حق وخير شاهد حديث الرسول الاعظم ﷺ في الصحابي عمار بن ياسر إذ قال فيه : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية »^(٢٧) ولما استشهد عمار في معركة صفين عام (٣٧هـ) اخذ معاوية يلقي التهمة على الامام علي عليه السلام وبث اشاعات بقوله : « أو نحن قتلنا عماراً إنما قتل عماراً من جاء به »^(٢٨) .

لم يكتف معاوية عند هذا الحد وإنما أخذ بتوجيه سهامه في بث الاشاعات من أجل اشغال الفوضى في صفوف المعسكر الاخر ، إذ سعى معاوية بترغيب واستقطاب قادة وامراء جيش الامام علي عليه السلام وخير شاهد قيس بن سعد بن عباد الذي اتخذ الامام عليه السلام عاملاً له على مصر وأمره بإدارتها واصلاح شؤونها وهذا مما اثار حفيظة معاوية بن ابي سفيان ، فقد حاول الاخير في استمالة قيس بالمال تارة وبالمناصب تارة أخرى ؛ لكن قيس بن سعد رفض تلك العروض مما اغلق كل الطرق امام معاوية لجذبه لمعسكره فلجأ معاوية الى طريقه غير الشرعية ببث اشاعات في الشام ويقول لأهلها : « لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعو إلى غزوه فإنه لنا شيعة »^(٢٩) . واصابت سهام معاوية الخفية الهدف إذ وصلت الاخبار الى الكوفة وكانت نتائج تلك الاشاعة عزل قيس بن سعد وتولية محمد بن ابي بكر على مصر بدلاً عنه^(٣٠) .

ولما آلت الخلافة الى الامام الحسن عليه السلام اعتمد معاوية بن ابي سفيان على الاعلام في محاربة الامام الحسن المجتبي عليه السلام ولتقوية معلوماته السرية استعان معاوية بالجواسيس للتجسس على المؤهلات العسكرية واستعدادات الامام المجتبي عليه السلام لمواجهة بل واناط معاوية بجواسيسه مهمة اغتيال الامام المجتبي عليه السلام هذا ما بينه الشيخ المفيد « ولما بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة الناس الحسن عليه السلام دسّ رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من بلقين إلى البصرة ، ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور . فعرف ذلك الحسن عليه السلام فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج فأمر بضرب عنقه ، وكتب إلى البصرة فاستخرج القيني من بني سليم وضربت عنقه »^(٣١) .

وقد علم الامام عليه السلام بدسائس معاوية فكتب له « أما بعد : فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال ، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء ، ... »^(٣٢) .

سعى معاوية جاهداً الى توجيه اسهم الشك والريبة الى معسكر الامام عليه السلام فقد كان معاوية يتفنن بهذا الاسلوب و متمرس ، إذ تمكن من اضعاف جبهة الخصم بنشر الاشاعات التي تدعو الى الفرقة بين جيش الخصم فقد كان لهذا الاسلوب الدور الفعال والكبير في مساعدة معاوية من الوصول الى السلطة . والملاحظ ان جيش الامام الحسن عليه السلام متعدد النزاعات ومختلف



الغايات لم يكن منسجماً لمواجهة العدو وهذا مما هبأ الارض الخصبة لزرع الاشاعات ونشرها في صفوف معسكر الامام (عليه السلام) بكل سهوله وتفاعل معها .

ومن الشواهد التاريخية على ذلك عندما راسل معاوية عبيد الله بن عباس قائد جيش الامام (عليه السلام) ودعاه الانضمام الى صفوفه مبيناً له أن الامام (عليه السلام) قد كاتبه على الصلح وقال له : « فإن دخلت في طاعتي الان كنت متبوعاً ، وإلا دخلت وأنت تابع ... » وليس هذا فحسب وانما اغدق عليه بالأموال الطائلة وهذا ما يوضح لنا ان التشكيك والاشاعة التي لربما تكون متبوعة بالمكانة الاجتماعية اي الجاه والسمعة فضلاً عن المال ومطامع الدنيوية الاخرى (٣٣) . ولما نفذت كل الاساليب والطرق الملتوية في استقطاب قيس بن سعد الذي تولى قيادة جيش الامام المجتبى (عليه السلام) وجه معاوية سهام الشك والريبة، إذ اشاع بين معسكر الامام (عليه السلام) أن قيس قد صالح معاوية واخذت هذه الشائعة صدى واسعاً بين الجند، والملاحظ أن الجند قد تفاعلوا معها ولم يشككوا بصحة هذه الاشاعة من عدمها، لأنهم اعتبروا عبيد الله بن عباس الذي كان من اقرباء الامام (عليه السلام) قد غدر ولم يوفِ لخليفته فكيف بقيس؟! (٣٤) .

وبما أن الاعلام كان له دور اساسي لذا كانت الاشاعة مؤثرة في نفوس الجند وامتازت بسرعة الانتشار وذلك لتوفر الارض الخصبة لها بالتفاعل معها، فقد عمل معاوية على خلخلة معسكر الخصم من خلال بث اشاعات اكثر تأثيراً التي ساعدت على زرع الخوف وازعاف معنويات جيش الامام (عليه السلام) إذ ذاع في معسكر الامام (عليه السلام) عن طريق اعوانه خبر مفاده، أن قائد جيش الامام الحسن (عليه السلام) قيس بن سعد قد قتل فاضطرب الجند واخذوا يسرقون بعضهم بعضاً وتعرض سرداق الامام (عليه السلام) الى السرقة (٣٥) .

وعمّت الفوضى اكثر عندما انتشر خبر أن الامام (عليه السلام) قد صالح معاوية وهذا مما عرض حياة الامام (عليه السلام) الى الخطر كمحاولة للاغتيال فقد استولوا على خيمته وسرقوا كل ما فيها وسرقوا حتى بساطه الذي كان جالساً عليه وليس هذا فحسب بل أرادوا قتله (٣٦) . واراد معاوية في تثبيت هذه الشائعة فقد ارسل معاوية وفد من قبله وكان على رأس الوفد المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وغيرهم وذلك للتفاوض مع الامام المجتبى (عليه السلام) ؛ لكنهم لم



يتمكنوا من الوصول الى نتيجة ولما خرجوا من خيمة الامام عليه السلام وهم يقولون ويسمعون الناس : « إن الله قد حقن بابل رسول الله الدماء ، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح »^(٣٧) . ويبدو ان سهام المغيرة قد اصابته الهدف وذلك لعلمه سهولة انتشار الاشاعات في معسكر الامام عليه السلام وهذا مما اثارته حفيظة الخوارج فقد حاولوا اغتيال الامام عليه السلام إذ كمن له احدهم وطعنه في فخذه وحملوا الامام المجتبى عليه السلام الى المدائن لحمايته ومعالجته^(٣٨) .

الخاتمة

- ١- أن سياسة الدولة الاموية متعددة الاشكال والصور فتارة تستعمل التهيب وتارة اخرى تلجأ الى الترغيب فما كان للمال سوى أداة من أدوات الترغيب لكسب المناصرين .
- ٢- كان معاوية بن ابي سفيان حاذقاً في استعمال المال والاعلام فقد تفنن في ذلك من أجل الوصول الى السلطة ، إذ سبق وأن استعان بهذه السياسة أثناء محاربته للأمام علي عليه السلام .
- ٣- سعى معاوية بن ابي سفيان في بث دعايات مؤثرة في المجتمع العربي الاسلامي للسيطرة على نفوس الناس وعقولهم وكان بارعاً في انتهاجه لهذا الأسلوب ، إذ استعمله على نطاق واسع في محاربة الامام علي عليه السلام وعلى وجه الخصوص الامام الحسن عليه السلام فقد بث معاوية جواسيسه وعيونه في معسكر الامام الحسن عليه السلام فوجد الارض الخصبة التي ساعدته في زرع بذور الفتن والفرقة في صفوف جيش الامام عليه السلام .

الهوامش

- ١- ابن حزم ، وقعة صفين ، ص ٤٣٦ .
- ٢- البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٥٨ .
- ٣- المصدر نفسه .
- ٤- ابن حزم ، وقعة صفين ، ص ٤٣٦ ؛ المرعشي ، شرح لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، ج ٣١ ، ص ٣٧٣ ؛ الاميني ، موسوعة الغدير ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- ٥- وهو صعصعة بن صوحان بن حجر بن حارث العبدي ، ابو طلحة ، احد خطباء العرب البلغاء ، ومن سادات قومه عبد قيس ، موالياً للإمام علي عليه السلام شارك في معركة الجمل وصفين مع الامام علي عليه السلام ، توفي في عهد معاوية بن ابي سفيان . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٢٤ ، ص ٨٢ .
- ٦- البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ١١٧ ؛ الطوسي ، الامالي ، ص ٥ .
- ٧- اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .
- ٨- الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .
- ٩- ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
- ١٠- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- ١١- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ، ص ٦١ .
- ١٢- الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
- ١٣- البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .
- ١٤- ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٤٢ ؛ ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ، ج ١٦ ، ص ٤٢ .
- ١٥- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٦ ، ص ٤٣ .
- ١٦- الصنعاني ، المصنف ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ .
- ١٧- ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ .
- ١٨- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ .
- ١٩- المصدر نفسه ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٤٤ ، ص ٤٤ .
- ٢٠- البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٣ ، ص ٣٩ .
- ٢١- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٩ .
- ٢٢- المفيد ، الارشاد ، ج ٢ ، ص ١٢ .
- ٢٣- الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
- ٢٤- نائلة : وهي نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي ، كانت خطيبة وشاعرة ، تزوجها عثمان بن عفان ، وشهدت مقتل عثمان ، ألقت بنفسها على عثمان لكي تتلقى الضربة فقطعت اصابعها . ينظر : كحالة ، اعلام النساء ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .
- ٢٥- الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ؛ ابن الطقطقا ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية

- ص ٦٩؛ ابي الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٦٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ١٦٨ .
- ٢٦- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٣٥ .
- ٢٧- البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٠٧ .
- ٢٨- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩ .
- ٢٩- المصدر نفسه، ص ٥٥٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٧١ .
- ٣٠- ابن مسكويه، تجارب الامم، ج ١، ص ٥١٠ .
- ٣١- الارشاد، ج ٢، ص ٩؛ آل ياسين، صلح الحسن عليه السلام، ص ٧٦ .
- ٣٢- ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ص ٢٧٠ .
- ٣٣- ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٤٢؛ ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٤٢ .
- ٣٤- اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٥؛ القرشي، حياة الامام الحسن عليه السلام، ج ٢، ص ٩٦ .
- ٣٥- المصدر نفسه .
- ٣٦- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٢٢ .
- ٣٧- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٥ .
- ٣٨- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٥ .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية:

- * ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٥٢م).
- * الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م).
- * البخاري، ابي عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).
- * صحيح البخاري، (استنبول: دار الفكر، ١٩٨١م).
- * البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
- * انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).
- * فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان، ١٩٥٦م).
- * ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).
- * النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: مطبعة كستاتسوماس، د. ت).
- * ابن ابي الحديد، عز الدين ابي حامد بن الحميد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
- * شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (د. م: دار احياء الكتب، ١٩٦٢م).
- * ابن حنبل، ابو عبدالله ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ١٠٧١م).
- * مسند الامام احمد ابن حنبل، (بيروت: دار صادر، د. ت).
- * ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
- * تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر في ديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٧١م).
- * الذهبي، شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
- * سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنوطي، (بيروت: دار الكتاب، ١٩٨٧م).
- * ابن سعد، محمد ابن سعد ابن منيع الزهيري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م).
- * الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، د. ت).
- * ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن احمد الملكي (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).
- * الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق: سامي الغريزي، (قم المقدسة: دار الحديث، ١٤٢٢هـ).
- * الصدوق، محمد بن علي بن الحسين القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).
- * علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق، (النجف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٩م).
- * الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- * تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).
- * الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
- * الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، (قم المقدسة: دار الثقافة، ١٤١٤هـ).
- * ابن عبد البر، ابي عمر يوسف النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ٨٧٠م).
- * الاستيعاب في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد

- البجاوي، (بيروت : دار الجليل، ١٩٩٢م).
- * ابن عساكر، ابي القاسم علي ابن الحسين بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).
- * تاريخ مدينة دمشق، تحقيق : علي شيري، (بيروت : دار الفكر، ١٤١٥هـ).
- * ترجمة الامام الحسن عليه السلام، تحقيق : محمد باقر، (بيروت : مؤسسة المحمودي، ١٩٨٠م).
- * ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل ابن علي ابن محمود (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م).
- * المختصر في اخبار البشر، تحقيق : علاء الدين، (بيروت : دار المعرفة، د.ت).
- * ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م).
- * مقاتل الطالبين، تحقيق : كاظم مظفر، ط ٢، (قم المقدسة : دار الكتاب، ١٩٦٥م).
- * ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله ابن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
- * الامامة والسياسة، تحقيق : طه محمد الزينبي، (د.م : د.ت).
- * ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- * البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق : علي شيري، (بيروت : دار احياء التراث، ١٩٨٨م).
- * المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).
- * بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تحقيق : محمد الباقر، ط ٢، (بيروت :

- دار احياء التراث، ١٩٨٣م).
- * ابن مسكويه، ابو احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).
- * تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق : ابو القاسم امامي، ط ٢، (طهران : دار سروش، ٢٠٠١م).
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م).
- * الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليه السلام، ط ٢، (بيروت : دار المفيد، ١٩٩٣م).
- * اليعقوبي، احمد ابن ابي يعقوب ابن جعفر (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).
- * تاريخ اليعقوبي، (بيروت : دار صادر، د.ت).
- * ثانيا : المراجع الثانوية :-
- * الاميني، عبد الحسين احمد النجفي .
- * موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والادب، (بيروت : دار الكتاب، ١٩٧٧م).
- * الزركلي، خير الدين .
- * الاعلام، (بيروت : دار العلم، ١٩٨٠م).
- * القرشي، باقر شريف .
- * موسوعة أهل البيت عليه السلام (حياة الامام الحسن عليه السلام).
- * آل ياسين، رضى .
- * صلح الحسن عليه السلام، (بيروت : مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٢م).

صلح الإمام الحسن عليه السلام، في روايات أهل السنّة
- دراسة تأريحيّة -



م.د. محمد منصور حسين البياتي
المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

ملخص البحث

قام البحث على دراسة صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، من الناحية التاريخية بناءً على مرويات المذهب السني، إذ سلّط الضوء على دراسة تلك المرويات وضمّ المتناثر منها في بطون أمّات الأصول التاريخية؛ لتكوين رؤية واضحة اتجاه ملابسات الصلح من إيمان أصل ثبوت الحادثة في مصادر التاريخ الإسلامي، وإثبات نصّ الوثيقة التي قام عليها الصلح وما دار حولها من غموض وملابسات تثير شكوك المتلقّي حول صحّة الوثيقة أو تماميّة بنودها؛ لما أثبتت المصادر التاريخية حذف عدد منها وإن كان غير متعمّد، وتنزلاً عن ذلك أوضح البحث شروط الصلح المثبتة في الوثيقة الحاليّة وما تحقق منها وفق المعطيات التاريخية؛ ليتضح من خلال ذلك أنّ الصلح لم يحقّق من تلك الشروط المتفق عليها شيئاً سوى انتقال الحكم من الإمام الحسن (عليه السلام)، إلى معاوية، كما بيّن البحث الأسباب التي دعت إلى الصلح بناءً على الشواهد التاريخية والنصوص المروية على لسان الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لينتهي المطاف إلى إثبات عدد من النتائج التي توصل إليها البحث وفقاً لمنهج البحث العلمي، وبعيداً عن الميل أو التعصب أو الانتماء المذهبيّ.

Abstract

The present study endeavors to provide a comprehensive perspective of Imam Hassan's (peace be upon him) peace treaty by scrutinizing Sunni narratives. By amalgamating relevant information from esteemed historical sources, this research intends to construct a coherent understanding of the circumstances of the treaty. This entails validating the event's occurrence in Islamic historical sources, verifying the authenticity of the treaty document, and elucidating the intricacies and ambiguities surrounding the document that led to doubts regarding its validity or the completeness of its terms since historical sources have confirmed the omission of several conditions, albeit unintentionally.

In light of these omissions, the research meticulously outlines the substantiated terms of the peace treaty as documented in current sources and evaluates their fulfillment based on historical evidence. This analysis reveals that the peace treaty failed to uphold any of the agreed-upon conditions except for the transfer of power from Imam Hassan (p.b.u.h.) to Mu'awiyah. Furthermore, this research delves into the factors that necessitated the peace treaty by referring to historical evidence and narratives attributed to Imam Hassan (p.b.u.h.). In conclusion, the research formulates a set of findings based on a rigorous scientific methodology, free from bias, prejudice, or sectarian affiliation.

المهاد

شهد مسار الأمة الإسلامية منعطفات خطيرة كادت تؤدّي إلى انحراف الدين الإسلامي عن وجهته السماوية التي جاء بها الرسول الأعظم ﷺ؛ سواء أكان ذلك بظهور الفتن الداخلية مثل: اقتتال أبناء الأمة الإسلامية فيما بينهم، أو بظهور التيارات الفكرية المنحرفة عن جادة الدين والشرعية، وكان من أبرز تلك المنعطفات استيلاء بني أمية على سدة الحكم، إلا أنه وعلى الرغم من كلّ التحديات الكبيرة وقف رجال البيت النبوي بوجه كلّ من أراد شرّاً بالرسالة الإسلامية؛ فكان صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، الترس والسور المنيع الذي حفظ الدين الحنيف والأمة الإسلامية من الضياع في تلك الفترة؛ وذلك بحفاظه على ركنين أساسيين، هما: روح الشعائر الإسلامية التي جاء بها الدين الحنيف المتمثلة بالفرائض والسنن، والحفاظ على الثلة المؤمنة التي تفهم تطبيق ما جاء به الدين الإسلامي، والتي يمكن تسميتها بالخط الرساليّ البديل عن شخص النبي والإمام، وهم مجموعة من المخلصين الذين وصفهم الإمام الحسن (عليه السلام)، بقوله: «لما رأيتُ الناس تركوا ذلك إلّا أهله خشيتُ أن تجثوا عن وجه الأرض فأردتُ أن يكون للدين في الأرض ناعي»^(١)، وقوله لحجر: «فصالحْتُ بقيّاً على شيعتنا خاصّة من القتل»^(٢)، كما استطاع الإمام الحسن (عليه السلام)، من خلال شروط الصلح كشف حقيقة معاوية وسعيه إلى نيل السلطة لا لأجل خدمة الدين بل لقهر عباد الله وسلب حقوقهم والبطش بهم، وقتل كل من ينوي مخالفته ولو بقول الحق، والوصول إلى الشهوات الدنيوية والرذائل، والابتعاد عن تطبيق الدين الإسلامي وشرعه الحنيف.

لا ريب أن مصطلح (الصلح)، لا يعني تسالم الإمام الحسن (عليه السلام)، مع معاوية وتصالحه على نحو الوئام والمحبة وترك ما كان بينهما من عدااء ونزاع، وإضفاء سمة الشرعية على حكومته، فهذا الفهم إن حصل عند عدد من المسلمين أو غيرهم فهو مجرد وهم وخيال، نتيجة الفهم الخاطئ «لظرف الذي جرى في استعمال مفردة (صالح)، وحركة معناها الحرفيّ التداوليّ في النصّ»^(٣)، الدال وفق سياقات محددة على معانٍ متعددة، فعند تتبع سياقها التداوليّ في تلك المدة يجد دلالة هذا المصطلح (الصلح)، ظاهرة في معنى الهدنة وترك القتال بين طرفين لأمد محدود، وهذا المعنى ظاهر بشكل صريح في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، بقوله: «فصالحْتُ بقيّاً على

شيئتنا خاصّة من القتل، فرأيتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو في شأن»^(٤)، وعليه يكون صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، اقتضته الظروف الآنية في تلك المرحلة، فتحتم على الإمام الحسن (عليه السلام)، بما اتصف به من صفات كاملة للقيادة الريادية الحكيمة أن يهادن معاوية، حفاظاً على المصلحة العليا للأمة الإسلامية، حتّى لو كلّفه ذلك فقد الرئاسة السياسيّة التي يلهث وراءها معاوية ويسعى إلى نيلها ولو على حساب مصلحة الدين والأمة.

تناول البحث دراسة صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، مع معاوية بعدّة نقاط يمكن بيانها بالنحو الآتي:

أولاً: إثبات الأصول التاريخيّة للصلح

تخطى رصانة الأصول والمصادر في البحث التاريخي أولوية؛ للتعويل عليها في إثبات الوقائع والأحداث في المنهج التاريخي؛ لأنّه في الغالب «يدرس التاريخ بواسطة الأصول التاريخيّة»^(٥)، وعليه يكون في أكثر الأحيان إثبات صحّة حادثة مستنداً إلى متانة الأصل التاريخي، إلا أنّ هذا لا يعني كون الحوادث التاريخيّة موجودة فقط في بطون الكتب وما كان محفوظاً في الذاكرة الشفاهيّة فهو غير صحيح؛ لأنّ «الكتابة تمثّل وسيلة فقط للحفظ»^(٦)، وليست وسيلة لصحّة الخبر؛ كون الظروف التي قد تحيط بالمجتمعات تجعل الحقائق مغيبّة ومحظوراً تداولها في العلن، وهذا الأمر عملت به حكومة بني أمية ضدّ مخالفيها وبخاصّة أهل البيت (عليهم السلام)، جهاراً نهائياً؛ إذ «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته»^(٧)، بل تمادى معاوية في بغضه لأمير المؤمنين (عليه السلام)، أكثر ف«وضع قومًا من الصحابة، وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب في مثله»^(٨)، إلا أنّه رغم ذلك كلّه لا يمكن إخفاء الحقيقة بالكامل وعلى مرّ العصور كما قيل: إنك «تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت وتستطيع أن تخدع كلّ الناس بعض الوقت ولكن لا تستطيع أن تخدع كلّ الناس كلّ الوقت»^(٩)، وهذا لا يعني فتح الباب أمام التشكيك في التاريخ الإسلاميّ ورميه بتهم التآمر والتزوير وإنّما ينبغي التعامل مع الأحداث التاريخيّة الحساسة بعين الناقد الحذر.

على الرغم من ذلك كله يمكن استقصاء ثبوت صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، في مصادر التاريخ الإسلامي وفقاً للمنهج التاريخي؛ إذ يمكن عدّ حادثة الصلح من «وقائع التاريخ الإسلامي السياسي»^(١٠)؛ الرئيسة والمهمّة عند أبناء الأمّة على مرّ العصور؛ لما أنتجه من تحوّل حفظ به جسد الإسلام من التمزّق والضياع؛ ولذلك ضمت المصادر المختلفة بنحو صريح توثيق حادثة الصلح بعشرات المصادر المعتمدة^(١١)، والتي يمكن بيان عدد منها بالنحو الآتي:

١. الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)^(١٢).
 ٢. أنساب الأشراف، للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)^(١٣).
 ٣. الأخبار الطوال، لابن قتيبة (ت ٢٨٢هـ)^(١٤).
 ٤. تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)^(١٥).
 ٥. تاريخ الطبري، للطبري (ت ٣١٠هـ)^(١٦).
 ٦. الفتوح، لأحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ)^(١٧).
 ٧. المستدرک على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)^(١٨).
 ٨. تجارب الأمم، للرازي (ت ٤٢١هـ)^(١٩).
 ٩. السنن الكبرى، للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)^(٢٠).
 ١٠. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)^(٢١).
 ١١. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)^(٢٢).
 ١٢. الصواعق المحرقة، ابن حجر العسقلاني (ت ٩٧٤هـ)^(٢٣)، وغير ذلك من المصادر المختلفة.
- وما لا شكّ فيه أنّ شهرة الحادثة التاريخية بين عدد كثير من الرواة يمكن عدّه علامة مميزة لإثبات تلك الواقعة التاريخية؛ لأنّ النفس البشريّة غالباً تركز إلى ما هو شائع ومشهور وتصدّق به رغم تقادم الزمان عليه؛ لأنّ الشهرة تجعل الحوادث التاريخية «حقائق واضحة على نحو يجعل من الصعب الكذب أو الخطأ بشأنها»^(٢٤)، وبخاصّة عندما تكون الشهرة مدعومة بالقرائن الدالة على صدق الخبر، وعليه يمكن القول: إنّ صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، مع معاوية ما لا يمكن الشكّ أو التشكيك بأصل حدوثه في التاريخ الإسلامي؛ لكونه ثابت بشكل مشهور في عشرات المصادر المعتمدة.

ثانيًا: وثيقة بنود الصلح

أثبتت المصادر المعتبرة لجمهور المسلمين توثيق بنود الصلح بوثيقة تضمّ عدّة شروط^(٢٥)، ولعلّ كتاب أنساب الأشراف للبلاذريّ هو أقدم مصدر وصل إلينا مثبتًا وثيقة بنود الصلح بالنصّ الآتي: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن عليّ معاوية ابن أبي سفيان، صالحه على أن يُسلّم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنّه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون إذ كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي غائلة سرًّا ولا علانية، و(على أن)، لا يخيف أحدًا من أصحابه، شهد عبد الله بن الحرث، وعمرو بن سلمة»^(٢٦)، كما أثبت ابن أعثم نصًّا آخر ضمّ تفاوتًا يسيرًا على النصّ السابق، وهو: «هذا ما اصطلاح عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على:

[أولًا] أن يسلم إليه ولاية أمير^(٢٧) المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ،

وسيرة الخلفاء الصالحين.

[ثانيًا] وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدًا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

[ثالثًا] وعلى أن الناس آمنون إذ كانوا من أرض الله، [في] شامهم، وعراقهم، وتهمهم، وحجازهم.

[رابعًا] وعلى أن أصحاب عليّ وشيعته آمنون، على أنفسهم، وأموالهم، ونسائهم، وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه.

[خامسًا] وعلى أنّه لا يُبغي للحسن بن عليّ، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت النبي ﷺ، غائلة سرًّا وعلانية، ولا يخيف أحدًا منهم في أفق من الآفاق. شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان»^(٢٨).

يتضح من النصين عدد من الالتفاتات يمكن بيانها بالنحو الآتي:

١. اتبع الإمام الحسن (عليه السلام)، رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، في خطوات الصلح؛ إذ بدأ بذكر العبارة ذاتها: (هذا ما صالح عليه...)، وذكر اسمه الشريف من دون لقب أو وصف يثير حفيظة معاوية، وهذا الأمر لم تشر إليه المصادر من كونه متفق عليه مسبقاً بين الطرفين أم لا.

٢. وثيقة الصلح موجزة، فهي لم تركّز على بيان تفصيلات البنود التي قام عليها الصلح، وهذا الأمر لم ترصده المصادر التاريخية ومرت عليه بنحو الاستطراد والعجالة، ولعل ذلك يرجع إلى عدّة احتمالات منها: إنّ الوثيقة التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية هي ذاتها المتفق عليها بين الإمام الحسن (عليه السلام)، ومعاوية، كما يحتمل أنّه سقط منها جزء سواء أكان يسيراً أم كبيراً، فلم تصل إلينا بنحو كامل كما اتفق عليها الطرفان حينها؛ بسبب الكوارث التي مرت بها الأمة على مر التاريخ أو بسبب سياسة التزييف التي عمل بها معاوية ومن اتبعه وقد أثبتت المصادر التاريخية اعترافه بذلك بعد الصلح لأهل المدينة قائلاً: «فإني والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك، ولكنني خالستكم بسيفي هذا مخالسة»^(٢٩)، وهذا الاحتمال تؤيده الشواهد التاريخية؛ لأنّ من البنود التي ضمّها الصلح هو ترك شتم أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)^(٣٠)، إلا أنّ الوثيقة الحالية خالية من هذا البند، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على وجود جزء محذوف لم يصل إلينا، وعليه تكون هذه الوثيقة الحالية غير تامة ولا يمكن الاعتماد عليها في بيان شروط الصلح؛ لأنّه من الممكن أن توجد شروطاً أخرى كثيرة قد حذفت.

٣. الظاهر من الوثيقة كون أمر الحكم بيد الطرف الأوّل هو الإمام الحسن (عليه السلام)، بخلاف الطرف الثاني (معاوية بن أبي سفيان)؛ فلذلك أثبتت المصادر التاريخية موافقة معاوية المطلقة على أيّ شروط يضعها الإمام الحسن (عليه السلام)؛ «فدفع معاوية إليه صحيفة بيضاء وقد ختم في أسفلها وقال له: اكتب فيها ما شئت»^(٣١)، إلا أنّ الصواب هو إنّ ذلك لا يدلّ على ضعف معاوية اتجاه الإمام الحسن (عليه السلام)، وإنّما يدلّ على رغبة معاوية الاستيلاء على الحكم بالسرعة الممكنة كما سيتضح من خلال البحث.

ثالثاً: بنود الصلح

ضمّت وثيقة الصلح السابقة عدّة بنود اشترطها الإمام الحسن (عليه السلام)، على معاوية لتحقيق الصلح وتسليم الأمر له، وهذه الشروط يمكن بيان ما كان ظاهرًا وصريحًا منها بالنحو الآتي:

١. العمل فيهم بكتاب الله، وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله)، وسيرة الخلفاء الراشدين الصالحين المهديين.

٢. لا يحق لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده.

٣. يكون الأمر من بعده شوري بين المسلمين.

٤. تحقيق الأمن للناس جميعًا من دون فرق على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم.

٥. الأمن لشيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأصحابه وعدم التعرض لهم بمكروه.

٦. عدم الاعتداء على أموال وممتلكات شيعه أمير المؤمنين (عليه السلام).

٧. عدم البغي للإمام الحسن والحسين وأهل البيت (عليهم السلام)، سرًا ولا جهراً.

٨. عدم إخافة أحد من أتباع أهل البيت (عليهم السلام).^(٣٢)

يتضح ممّا سبق أنّ الصلح قائم على عدد من الشروط، التي تكوّن بمجموعها الصلح، وهذا يعني: أنّه عند تخلف أحد الشروط يكون الصلح غير تامّ؛ لذلك يتوجب تتبع المصادر التاريخية لمعرفة ما تحقق منها، وبخاصّة أنّ كثيراً من المصادر التاريخية تثبت أنّ معاوية «لم ينفذ للحسن (عليه السلام)، من الشروط شيئاً»^(٣٣)، رغم محاولة معاوية التظاهر في بعض المحافل الإعلامية التزامه بالصلح، ومن ذلك لما قدم «المدينة فدخل دار عثمان، فقالت عائشة بنت عثمان بن عفّان: واأبتاه وبكت فقال معاوية: ابنة أخي إنّ الناس أعطونا طاعة تحتها حقد، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب، ومع كلّ إنسان سيف وهو يرى أنصاره، فإنّ نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا يكون أو لنا، ولأنّ تكوّن ابنة عمّ أمير المؤمنين خيراً من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين»^(٣٤)، وعليه وفقاً للمعطيات الأولى، يكون الصلح من الناحية العمليّة غير متحقق، ومعاوية معتدّ على الأمّة وغاصب للحقّ (الخلافة)، من صاحب الحقّ الشرعيّ، والمبايع من قبل المسلمين، والمفترض الطاعة عليهم وهو الإمام الحسن (عليه السلام)، وهذا الأمر سيتضح بشكل جليّ عند تتبع ما تحقق من شروط الصلح تاريخياً^(٣٥):

أثبتت المصادر التاريخية مخالفة معاوية لكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله)، جهاراً نهاراً ومن دون رادع سواء أكان ذلك على مستوى تصرّفاته الخاصة أم على مستوى تعاملاته مع الرعيّة، بفصائح وجرائم متتهكاً بها القيم والأعراف البشريّة التي توجب حفظ كرامة الإنسان في كل الملل والأديان، بل أثبتت المصادر التاريخية اعتراف معاوية بعدم قدرته على تطبيق أهون الشروط وهو اتباع سيرة الخلفاء الراشدين^(٣٦)؛ وذلك لما دخل المدينة فخطب بهم قائلاً: «ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك، وحاولتها على مثل سنّيات عثمان فأبت عليّ»^(٣٧)، ويمكن بيان عدد من مخالفات معاوية لبنود الصلح بما روته المصادر المعتبرة بالنحو الآتي:

١. سنّ سبّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، إذ أثبتت المصادر المعتبرة عند المذاهب الإسلاميّة ذلك من قبل معاوية وعماله، وبخاصّة في الأيام الأولى من الصلح^(٣٨) عندما بعث عماله للسيطرة على المدن، ومنهم بسر بن أرطاة حين أرسله لقتل المعارضين من أتباع أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، «فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشمّ علياً»^(٣٩)، ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه بقوله: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلن أسبّه لأنّ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمير النعم سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبوة بعدي. وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قال: فتناولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً فأتى به أرمّد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٤٠)، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي»^(٤١)، ودلالة الحديث صريحة لا تحتمل التأويل، مع أنّ سبّ المؤمن حرام وهو من الكبائر ومرتكبه مع الإصرار عليه فاسق بنص الأدلّة الصريحة، نحو قوله (صلى الله عليه وآله): «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»^(٤٢)، فما بالك بسبّ من أخلص الله عزّ وجلّ، حتى نال بذلك أعلى الرتب بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولم يكتف بذلك فقط بل أصدر أمراً إلى عماله بسبّ

أمير المؤمنين علناً في صلاة الجمعة!، بل وقدم الخطبة على صلاة العيدين؛ لئسمع الناس لعنه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛ «وذلك أن الناس، إذا صلوا، انصرفوا لئلا يسمعو لعن علي»^(٤٣)، وهذا الأمر لم يقتصر على الشام فقط بل كان مشهوراً معروفاً بين عامة المسلمين كما يظهر من كلام «الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر، إلى خلافة عمر بن عبد العزيز»^(٤٤).

٢. قتل كبار الشيعة وإخافتهم وتشريدهم، إذ أثبتت المصادر التاريخية قيام معاوية بقتل الصحابة الذين يتمتعون بمكانة عالية عند عامة المسلمين، ومن هؤلاء: حجر بن عدي، وهو من الصحابة المعروفين بالشرف وحسن السيرة «وكان شريفاً، أميراً مطاعاً، آمراً بالمعروف، مقديماً على الإنكار، من شيعة علي (عليه السلام)»^(٤٥)، فلما خالف أمر معاوية في لعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أخذه والي الكوفة زياد بن أبيه «وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية، فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزروا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهداء قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلمه قوم في ستة منهم، فوقف عنهم، فقتل سبعة»^(٤٦) منهم، وهذه الحادثة وسابقتها تثبت بشكل قاطع مخالفة معاوية شرط العمل بالكتاب والسنة وغيره من الشروط التي أوجبت عليه توفير الأمن للرعية وعدم البغي لشيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أو إخافتهم.

٣. استحلاله الربا، وهذا الشيء ثابت روايته عند عامة المسلمين في زمن عمر بن الخطاب، إذ روى الشافعي ومالك وغيرهما ذلك: بـ «أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ينهى عن مثل هذا، فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أخبره عن رسول الله، ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض»^(٤٧)، وهذا يظهر بشكل واضح وصريح عقيدة معاوية بالشرع الإسلامي.

٤. شرب معاوية الخمر روى أحمد بن حنبل عن «عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله ﷺ»^(٤٨)، ولا محالة شرب الخمر عند المذاهب الإسلامية من «أكبر الكبائر وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شارها في غير حديث»^(٤٩)؛ فيكون معاوية بناء على هذا الحكم ملعوناً؛ لكفره بأحكام الله تعالى وشرعه.

٥. تعامل معاوية بالمعاملات المحرمة، وفي ذلك ما رواه البلاذري عن «الأعمش عن أبي وائل قال: كنت مع مسروق بالسلسلة، فمرت به سفائن فيها أصنام من صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها فقالوا: بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند تباع له، فقال مسروق: لو أعلم أنهم يقتلونني لغرقتها، ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني، والله ما أدري أيّ الرجلين معاوية، أرجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا أم رجل زين له سوء عمله»^(٥٠). وحكم بيع التماثيل «محرم بإجماع العلماء»^(٥١).

٦. عهد معاوية بالخلافة إلى ابنه يزيد، وهذا الأمر مخالفة صريحة لشرط الصلح، وإن حاول أتباعه تزويق فعله وترقيعه بشتى الأعذار والأكاذيب، والتي منها قول ابن خلدون: «والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه»^(٥٢).

انطلاقاً مما سبق يمكن القول بضرر قاطع: إن معاوية بن أبي سفيان لم يف للإمام الحسن (عليه السلام)، بأي شرط من شروط الصلح؛ فمع كل هذه المحرمات وغيرها التي اقترفها، أنني له باتباع كتاب الله تعالى، وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ؟، وعليه يكون الصلح غير متحقق أصلاً؛ لانتفاء تحقق شروطه من قبل معاوية، وهذا الأمر لم يكن خافياً على المؤرخين وأصحاب العلم بل هم على دراية وعلم به؛ لذلك أثبتوا هذه الحقيقة من دون تردد في كتبهم بشكل مجمع عليه، فقرروا حقيقة مفادها: أن معاوية «لم ينفذ للحسن (عليه السلام) من الشروط شيئاً»^(٥٣)، بل أثبتت الكتب التاريخية اعتراف معاوية صراحة بعدم إيفائه للإمام الحسن (عليه السلام)، بالشروط، ف«عن أبي إسحاق قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين، لا أفي به، قال أبو إسحاق: وكان والله غداراً»^(٥٤).

بناء على ما سبق يمكن الجمع بين ثبوت الصلح وبين عدم تحقق شروطه؛ إذ يمكن القول: إنَّ الإمام الحسن (عليه السلام)، شرط على معاوية شروطاً لا يمكنه الإيفاء بها؛ لكون هذه الشروط تحتم على معاوية التخلي عن ملذاته ومغانمه الشخصية وصرف وقته وجهده لخدمة الإسلام والمسلمين، وهذه الأمور لا يمكن لمعاوية تطبيقها والالتزام بها، فبذلك أظهر الإمام الحسن (عليه السلام)، عجز معاوية للعيان، ومن دون منازع، كما أظهر حقيقة معاوية التي يمكن أن تكون غير معروفة لكثير من المسلمين وبخاصة من يقطن بلاد الشام؛ إذ عمل معاوية إبان فترة حكمه على خداعهم وتزييف الحقائق لديهم، وبخاصة في أمر الخلافة التي كان يتبجح بخطبه على المنابر بأنَّه أحق الناس بالخلافة، ومن ذلك بقوله: «من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه»^(٥٥)، بل اعترف معاوية بعد الصلح مباشرة في خطبة صلاة الجمعة أنَّه لم يقاتل من أجل الدين ولا من أجل مصالح المسلمين بل لأجل حصوله على الحكم والإمارة «فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا قد عرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم»^(٥٦).

رابعاً: أسباب الصلح

تضافرت عدّة أسباب مجتمعة أدت إلى قبول الإمام الحسن (عليه السلام)، بالصلح، وهذه الأسباب يمكن اجمالها بنقطتين رئيسيتين هما:

١. علم الإمام الحسن (عليه السلام)، بقضاء الله تعالى، المحتوم من استيلاء معاوية على الحكم، وفي هذا المعنى ورد عنه (عليه السلام)، قوله: «أبي كان يحدثني أنَّ معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنَّه سيظهر، إن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه»^(٥٧). وروي أنَّه: «قام رجل إلى الحسن بن عليٍّ بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين - أو يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنبنني رحمك الله، فإن النبي ﷺ، رأى بني أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾»^(٥٨)، يا محمد - يعني نهرًا في الجنة - ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(٥٩)، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد، قال الفضل: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص»^(٦٠).

٢. ضعف جبهة الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لتشتت أتباعه، وخيانة بعضهم، وتناقل آخرين، وعدم الرغبة في القتال من قبل عامة الشعب، وهذا المعنى نجده واضحاً في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، وفي عدة مواضع، جاء منها في رده على بشير الهمداني: «ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه»^(٦١)، وفي مورد آخر بين الإمام الحسن (عليه السلام)، خيانة عدد من أشرف العراق ومبايعتهم معاوية بقوله: «يا أهل العراق، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أنوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي»^(٦٢)، وعلى التقديرات كلها فالظاهر من المصادر التاريخية أن ضعف جبهة الإمام الحسن (عليه السلام)، مرت بمراحل عدة يمكن بيان عدد منها بالنحو الآتي:

أ- عمل معاوية بإضعاف الدولة الإسلامية منذ حكم أمير المؤمنين (عليه السلام)، بمساعدة جمع من أذنبه المناوئين من الخوارج وغيرهم، وهذا الأمر مسلم به؛ إذ أثقلت فترة حكم الإمام علي (عليه السلام)، بكم كبير من الحروب الفكرية والعسكرية، التي أدت بمجملها إلى ضعف الدولة الإسلامية وبخاصة المناطق التي كانت مشهورة بولائها لأمر المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ عمد معاوية إلى إرسال شراذمه وشذاذه؛ لإخافتهم ونهب أموالهم وقتلهم كما حصل ذلك في مدن: مكة، والمدينة، واليمن؛ وأثبت ذلك المؤرخون، ومنهم المسعودي قوله: «وقد كان بسر بن أرطاة العامري - عامر بن لؤي بن غالب - قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء، ولم يبلغه عن أحد أنه يالئ علياً أو يهواه إلا قتله»^(٦٣)، وقال ابن الأثير: «سار بسر بن أرطاة إلى اليمن لقتل شيعة علي»^(٦٤)، ولم يكتف بقتل الرجال بل سبى نساءهم^(٦٥)، ولما وصل خبر بسر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، عنف جماعته بقوله: «إن بسر بن أرطاة قد غلب على اليمن، والله ما أرى هؤلاء القوم إلا سيغلبون على ما في أيديكم، وما ذلك بحق في أيديهم، ولكن بطاعتهم واستقامتهم لصاحبهم، ومعصيتكم لي»^(٦٦).

ب- عمل معاوية على تشتيت عدد من قادة جيش الإمام الحسن (عليه السلام)، بأساليب شتى سواء بنشر الشائعات بين الجيش التي تؤكد أنّ الإمام الحسن (عليه السلام)، قد سلّم الأمر لمعاوية، أو الإغراء بالمال، ومن هؤلاء القادة الذين بعث إليهم معاوية من يمثّله: قيس بن سعد، إذ أرسل إليه قائلاً: «على طاعة من تقاتل؟ وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك»^(٦٧)؛ لثنيه عن نصره الإمام الحسن (عليه السلام)، والالتحاق به.

ج- جرأة المندسين والخوارج بمحاولتهم زعزعة ثقة الناس بالإمام الحسن (عليه السلام)، بشتى الذرائع؛ إذ كمن «رجل من بني أسد بن خزيمة - من بني نصر بن تعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، يقال له: الجراح ابن سنان، وكان يرى رأي الخوارج - إلى مظلم ساباط فقعد له فيه ينتظره، فلما مرّ الحسن به دنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً كان معه وقال: أشركت يا حسن - كما أشرك أبوك من قبل - وطعنه بالمعول في أصل فخذه فشقّ في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه ثم اعتنقا وخرّا إلى الأرض، ووثب عبدل (بن) لاهز بن الحصل - وبعضهم يقول: عبد الله بن الحصل - فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظييان بن عمارة التميمي بأنفه فقطعه وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات»^(٦٨)، وقيل إنّ أغلب أهل العراق حينها لم يكونوا راغبين بالحرب؛ فلذلك لما أخذ الإمام الحسن (عليه السلام)، البيعة من أهل العراق وأمرهم بالسمع والطاعة خافوا منه وارتابوا؛ فلذلك كادوا له وطعنوه ونهبوا فسطاسه، وفي ذلك روى البخاري: «فطفق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال فلم يلبث الحسن (عليه السلام) بعدما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنة أشوته فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً»^(٦٩).

بناءً على ما سبق يمكن القول: قد اتّضح تظافر عدّة عوامل أوجبت بمجمليها على الإمام الحسن (عليه السلام)، مهادنة معاوية والاحتفاظ بما بقى لديه من المؤمنين المخلصين من القتل، ولم يبتن على سبب واحد كما قيل: إنّ الصلح منطلق من تفرّق الناس عن الإمام الحسن (عليه السلام)^(٧٠)، وعدم قدرته على الاحتفاظ بالحكم، بل إنّ ضعف الكوفيين على القتال هو جزء السبب^(٧١).

الخاتمة

انتهت الدراسة إلى تقرير عدة نتائج يمكن بيانها بالنحو الآتي:

١. بين البحث أن الصلح حقيقة تاريخية لا خلاف فيها في مصادر التاريخ الإسلامي.
٢. كشف البحث أن الصلح ضمّ عددًا من البنود شكّلت بمجموعها وثيقة تحتم على الطرفين الالتزام بها إلا أن الطرف الثاني: معاوية بن أبي سفيان لم يلتزم بأيّ من بنودها، وقد أثبتت المصادر الإسلامية ذلك وإن حاول معاوية ومن تبعه وضع التبريرات الواهية لذلك.
٣. بين البحث أن للصلح أهدافًا عدة منها: كشف حقيقة معاوية بيان عجزه على الإيفاء بأبسط الشروط النافعة للأمة الإسلامية.
٤. أوضح البحث أن الصلح أو جفته أسباب متعددة حتمت على الإمام الحسن (عليه السلام)، مهادنة معاوية، منها: قضاء الله تعالى المحتوم باستيلاء معاوية على الحكم، ومنها ضعف جبهة الإمام الحسن (عليه السلام).
٥. أوضح البحث أن بنود الصلح قد فقد جزء منها؛ بسبب سياسة سلطة بني أمية التي عملت على طمس الحقائق وتزييفها على الأمة الإسلامية، أو بسبب الكوارث الطبيعية التي أصابت التراث الإسلامي.

الهوامش

- ١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١٣، ص ٢٨٠.
- ٢- الأخبار الطوال، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠م، ص ٢٢٠.
- ٣- الاستعمال التداولي وأثره في فهم النص (دراسة نصية في بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام)، محمد منصور حسين، بحث منشور: مجلة تسنيم، العددان: الثالث عشر والرابع عشر، ٢٠٢٠، المجلد السابع، ص ١٥٤.
- ٤- الأخبار الطوال، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
- ٥- التاريخ ومنهج البحث التاريخي، قاسم يزبك، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ٩٥.
- ٦- مفهوم التاريخ، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط ٤، ٢٠٠٥، ٩٨.
- ٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، ج ١، ص ٤٤.
- ٨- المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٣.
- ٩- في فلسفة التاريخ، أحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ٨٩.
- ١٠- المصدر نفسه، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٧٨.
- ١١- ذكرت المصادر الشيعة حادثة الصلح بعشرات المصادر المعتبرة وعلى مرّ العصور المختلفة، يمكن بيان عدد منها بالنحو الآتي:
 ١. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ج ٢، ص ٦٤٥.
 ٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمود، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ١٢٨.
 ٣. الهداية الكبرى، الخصبّي (ت ٣٣٦هـ)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٤، ١٤١١هـ، ص ١٩٢.
 ٤. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٣١٦.
 ٥. تحف العقول، بن شعبة الحراني (ت ٤هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ص ٣٠٨.
 ٦. دلائل الإمامة، ابن جرير (ت ٤هـ)، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٦٦، ونوادير المعجزات، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ١٠١.
 ٧. كفاية الأثر، الخزاز القمي (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ، ص ٢٢٥.
 ٨. الاختصاص، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، ص ٨٢، والافصاح، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، ص ٤٨، والفصول المختارة، تحقيق: علي ميري، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، ص ٣٣٦.
 ٩. الأمالي، المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تعليق: محمد النعساني، مكتبة المرعشي، ط ١، ١٣٢٥هـ، ص ١٢٣.

حدود ما اطلعت عليه وجدت توثيق رواية المذهب السني لحادثة الصلح مشهوراً عندهم شهرة عظيمة تفوق ما هو ثابت في المصادر الشيعية كماً ونوعاً؛ وأغلب الظن أن الذي حمل رواية المذاهب الأخرى على الاهتمام الزائد لإثبات حادثة الصلح في مصادرهم بنحو يفوق توثيق رواية الشيعة هو الجانب السياسي؛ كون يمكن أن يكون للإعلام الأموي الدور البارز في نشر الصلح؛ وذلك لإضفاء الشرعية على حكومتهم، ومن جانب آخر يمكن أن يكون الدافع المذهبي للراوي دور في ذلك؛ لإمكان عد هذه الحادثة من وجهة نظرهم دليلاً على مشروعية الخلافة لغير أهل البيت (عليهم السلام)، على مَرَّ الحكومات المتعاقبة بعد الصلح ومنها الأموية والعباسية.

١٢- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر بيروت، ج ٦، ص ٥٣.

١٣- أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق: محمد باقر المحمود، دار التعارف، سوريا، ط ١، ١٣٩٧ هـ، ج ٣، ص ٤١

١٤- الأخبار الطوال، مصدر سابق، ص ٢١٨.

١٥- تاريخ يعقوبي، يعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢١٥.

١٦- تاريخ الطبري، الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج ٤، ص ١٢٦

١٧- الفتوح، أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ، ج ٢، ص ٢٩٠.

وابن اعثم وان عدّه الواقدي من الشيعة وتبعه عدد من الأعلام على ذلك إلا أن الأمر خلاف ذلك بل ظاهر الرجل سنياً «كما يظهر من مطالعة كتابه (الفتوح)، وهو الذي قال في بعض مواضع كتابه: إن هاهنا أخباراً وروايات صحيحة لم أذكرها لئلا يتخذها الشيعة حجة علينا». ينظر: سفينة النجاة، محمد عبد الفتاح، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة: أمير، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٩ هـ، ص ٢٤٨.

١٨- مستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، ج ٣، ص ١٧٤

١٩- تجارب الأمم، ابن مسكويه الرازي، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش للنشر، طهران، ط ٢، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٥٧٣.

٢٠- السنن الكبرى، البيهقي، دار الفكر، بيروت، ج ٨، ص ١٧٣

٢١- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص ١٨٩،

٢٢- تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٨٠.

٢٣- الصواعق المحرقة، ابن حجر العسقلاني، شركة الطباعة، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٥ هـ، ص ١٣٦.

٢٤- التاريخ ومنهج البحث التاريخي، قاسم يزبك، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٢٥- أغفلت معظم المصادر الشيعية توثيق بنود الصلح كما في المصادر السنية، فبحدود ما اطلعت عليه لم أجد مصدراً شيعياً متقدماً وبخاصة في القرنين الثالث والرابع قد وثق بنود الصلح، وهذا الأمر يضعنا أمام عدّة خيارات منها:

١. يكشف ذلك أن بنود الصلح غير ثابتة نسبته للإمام الحسن (عليه السلام)، عند علماء الشيعة بنحو معتبر ومعتد به، وهذا الاحتمال يمكن اقتناصه من عدّة مصادر سنية منها كتاب أنساب الأشراف نفسه؛ حيث ورد فيه أن معاوية



هو من أرسل إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، شروط الصلح بوثيقة نصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية ابن أبي سفيان إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) وأشد ما أخذته الله على أحد من خلفه من عهد وعقد (أن)، لا أبغيك غائلة ولا مكروها، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج (فسا)، و(دراجر)، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك، شهد عبد الله بن عامر، وعمرو بن سلمة الهمداني وعبد الرحمان ابن سمرة، ومحمد بن الأشعث الكندي» (الفتوح / ج ٣، ص ٤١).

لكن عند مقارنة وثيقة الصلح المنسوبة للإمام الحسن (عليه السلام)، وبين الوثيقة التي بعث بها معاوية تجد اختلافًا بينًا بينهما؛ فوثيقة معاوية قد أكدت على أمور دنيوية خاصة يمكن إجمالها بثلاث نقاط هي:

أ- أمر الرئاسة والسلطة؛ حيث وعد معاوية الإمام الحسن (عليه السلام)، في ذلك بقوله: (أن لك الأمر من بعدي)، وهذا من الواضح لا يعدو كونه أمرًا خاصًا دنيويًا، وقد أثبتت المصادر رفض الإمام الحسن (عليه السلام)، الخلافة بعد معاوية؛ وذلك حين عاتبه أحدهم بقوله: «إن الناس يزعمون إنك تريد الخلافة قال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى ثم أثريها بأتياس الحجاز» (تاريخ مدينة دمشق / ج ١٣، ص ٨٠)، وفي موضع آخر روي رفضه لولاية الأمر بعد معاوية بقوله: «أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه» (الفتوح / ج ٣، ص ٢٩٠)، فالإمام الحسن (عليه السلام)، وفقًا للمعطيات التاريخية إنّه رفض الخلافة بعد معاوية لعلمه بمآل الأمور ولعلّ من ذلك قوله: «أبي كان يحدثني أنّ معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنّه سيظهر، إنّ الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه» (الإمامة والسياسة / ج ١، ص ١٤١). وبالإضافة لما سبق يمكن الإجابة عن إشكال مفاده: إنّ رفض الإمام الحسن (عليه السلام)، للخلافة مخالف لثوابت عقيدة أهل البيت (عليهم السلام)، التي تعتقد بأنّ الحكم هو حق منحصر فيهم فقط، ويمكن الجواب عن ذلك بعدة احتمالات: أولاً: إنّ علم الإمام الحسن (عليه السلام)، بوفاته في فترة حكم معاوية تجعله يعرض عن الحكم. وثانياً: علم الإمام الحسن (عليه السلام)، إنّ الحكم الدنيوي المسلوب من أهل البيت (عليهم السلام)، على يد معاوية لا يرجع إليهم إلا على يد قائم أهل البيت (عليه السلام). وثالثاً: يريد الإمام الحسن (عليه السلام)، إيصال رسالة للأمة إنّ الحكم الدنيوي الذي يلهث وراءه معاوية لا حاجة لأهل البيت به؛ لأنّه حكم من أجل الدنيا وملذاتها فهو خال من طاعة الله تعالى وخدمة الدين وأهله.

ب- الإغراء بالمال؛ حيث أكد معاوية وأطنب في بيان هذا الأمر بقوله: (وعلى أن أعطيك في كلّ سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج (فسا)، و(دراجر)، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك)، وهذا الأمر لا غبار عليه من كونه أمرًا دنيويًا خاصًا، وقد أثبتت المصادر رفض الإمام الحسن (عليه السلام)، ذلك بقوله: «وأما المال، فليس لمعاوية أن يشرط لي في المسلمين» (الفتوح / ج ٣، ص ٢٩٠).

ج- إعطاء الأمان له فقط، وهذا المعنى ظاهر بقوله: (لا أبغيك غائلة ولا مكروها)، ولا ريب من عدّ هذا الأمر دنيويًا خاصًا، في حين تضمّ وثيقة الصلح المنسوبة للإمام الحسن (عليه السلام)، أهدافًا سامية تؤكد على تحمّل المسؤولية العامّة للأمة الإسلامية في حاضرها وقابلها، ولا تقيم للأمر الدنيويّة الشخصية وزنًا؛ فلذلك



جاءت الشروط مقدّمة فيها المصلحة العامّة بشكل واضح وجليّ؛ فلذلك يمكن القول: إنّ وثيقة الصلح بمجمعلها لا تخدش بثوابت منهج أهل البيت (عليهم السلام)؛ كون شروط الصلح لو عمل بها معاوية تجعله مأموراً بالكتاب والسنة وليس أمراً، وخادماً للأمة وليس مخدوماً.

٢. يمكن أن تكون مصادر شيعيّة متقدّمة قد أثبتت وثيقة الصلح إلا أنّها لم تصل إلينا؛ لضباغ تلك المصادر وفقدانها، وهذا الاحتمال غير بعيد؛ لما منيت به الأمة الإسلاميّة من فقدائها كم كبير من تراثها العلميّ أثر الحروب والكوارث الطبيعيّة وغيرها ذلك.

٣. أغلب المصادر الشيعيّة التي ذكرت حادثة الصلح ذكرتها بنحو الاستطراد ولم تقف عند تفصيلاتها والتي منها إثبات وثيقة بنود الصلح؛ فعملها كانت في حينها ترى ذلك أمراً بيّناً ومتسالمًا عليه؛ فاكتفت بما أثبتته مصادر المذاهب الأخرى.

٢٦- أنساب الأشراف، البلاذري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤١/٤٢.

٢٧- هكذا جاءت في المصدر، وأغلب الظنّ أنّه تحريف: (من ولاية أمر...).

٢٨- الفتوح، أحمد بن أعثم، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٠/٢٩١.

٢٩- البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٤١.

٣٠- الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٠٥.

٣١- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤١.

٣٢- هذه البنود مستخلصة من الوثيقة المذكورة من قبل البلاذري وابن أعثم، وأمّا غيرها من البنود التي لم تثبتها هذه الوثيقة وإنّما ذكرتها المصادر استطراداً فلم نذكرها ضمن التعداد.

٣٣- الطبري، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٤، وتاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٧٢، وفتح الباري، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٥٦.

٣٤- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٢٥.

٣٥- عند تتبع مفردات الصلح من الجانب اللغوي سيجد الباحث أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) تمكّن من خلال ابرام بنود الصلح أن يوصل للأمة الإسلاميّة رسالة مفادها: كشف سريرة بني أميّة الخبيثة، والتي كانت غالبية الأمة الاسلاميّة آنذاك غير عارفة بحقيقتهم ومنخدعة بما يدّعوه من ظاهر كاذب ومزيف. ينظر: الاستعمال التداولي وأثره في فهم النص (دراسة نصيّة في بنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام))، مرجع سابق، ص ١٥٤.

٣٦- بناء على رأي أبناء العامّة بأنّ المراد بهم: أبو بكر وعمر وعثمان، وقد أثبتنا في بحث مستقلّ بأنّ هذا العنوان لا ينطبق على الثلاثة، ينظر: المرجع السابق.

٣٧- البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٤١.

٣٨- بل وثبت ذلك في زمن أمير المؤمنين (عليه السلام)، منها: ما رواه الطبري بقوله: «كان إذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمر وأبا الأعور السلمي وحبّيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليا وابن عباس والأشتر وحسنا وحسينا»، (تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣)، وإن حاول التدليس الأموي تبرير ذلك اللعن ردّاً بالمثل على أمير المؤمنين (عليه السلام)، إلا أنّ ذلك مجرد

افتراء؛ لوجود نصّ معارض يثبت ردع أمير المؤمنين بعض أتباعه من لعن معاوية وشتمه؛ وذلك عندما «خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟ قال: بلى، قالوا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتبترأون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول».

(شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ١٨١)

٣٩- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ص ٤١٥.

٤٠- آل عمران، ٦١.

٤١- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، ج ٧، ص ١٢٠، ١٢١.

٤٢- صحيح البخاري، البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١، ج ١، ص ١٨.

٤٣- تاريخ يعقوبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٢٣.

٤٤- شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٤، ص ٥٦.

٤٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣، ص ٤٦٣.

٤٦- تاريخ يعقوبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٠، ٢٣١.

٤٧- الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، ص ٤٤٦، والموطأ، لمالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٦٣٤.

٤٨- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، ج ٥، ٣٤٧، ومجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٥، ص ٤٢، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ١٢٧.

٤٩- الكبائر، الذهبي، دار الندوة، بيروت، ص ٨١.

٥٠- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٣٠.

٥١- شرح زاد المستنقع، محمد الشنقيطي، الموقع الإلكتروني: <http://www.islamwed.net>

٥٢- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٢١٠.

٥٣- الطبري، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٤، وتاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٧٢، وفتح الباري، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٥٦.

٥٤- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٩٦٥، ص ٤٥.

٥٥- صحيح البخاري، مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٨.

٥٦- تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٥٩، ص ١٥.

٥٧- الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤١.

٥٨- الكوثر، ١.

٥٩- القدر، ١، ٢، ٣.

٦٠- البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٠.

- ٦١- الأخبار الطوال، مصدر سابق، ص ٢٢١.
- ٦٢- أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩.
- ٦٣- مروج الذهب، المسعودي، دار الهجرة، قم، ١٩٨٤، ج ٣، ص ٢٢.
- ٦٤- الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٤٠.
- ٦٥- تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: عمرو عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٧، ج ٥، ص ٣٦٩.
- ٦٦- مروج الذهب، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٢.
- ٦٧- تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٥.
- ٦٨- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٥.
- ٦٩- تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٣.
- ٧٠- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ج ٥، ص ١٦٦، والكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٠٥، ومجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٤٥.
- ٧١- كما أن الصلح لم يبتن على الرأي القائل: إنَّ السبب الموجب للصلح واحد: وهو السبب ذاته الذي ابتنى عليه صلح الحديبية في عهد رسول الله محمد ﷺ، بل هو أيضًا جزء السبب كما تبين. (قراءة جديدة في صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، السيد سامي البدري، مركز فجر عاشوراء، النجف الأشرف، ط ٢، ٢٠١٧، ص ٥٠).

المصادر والمراجع

- * الأخبار الطوال، ابن قتيبة، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
- * الاختصاص، الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- * الاستعمال التداولي وأثره في فهم النص (دراسة نصية في بنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام))، محمد منصور حسين، بحث منشور: مجلة تسنيم، العددان: الثالث عشر والرابع عشر، ٢٠٢٠، المجلد السابع.
- * الافصح، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- * الأمالي، المرتضى، تعليق: محمد النعساني، مكتبة المرعشي، ط١، ١٣٢٥هـ.
- * الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
- * أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق: محمد باقر المحمود، دار التعارف، سوريا، ط١، ١٣٩٧هـ.
- * تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: عمرو عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- * تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- * تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- * تاريخ الطبري، الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- * التاريخ ومنهج البحث التاريخي، قاسم يزيك، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- * تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- * تاريخ العقول، بن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- * دلائل الإمامة، ابن جرير، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط١، ١٤١٣هـ. نواذر المعجزات، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ط١، ١٤١٠هـ.
- * الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.
- * سفينة النجاة، محمد عبد الفتاح، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة: أمير، قم المقدسة، ط١، ١٤١٩هـ.
- * السنن الكبرى، البيهقي، دار الفكر، بيروت.
- * شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دمشق.
- * الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: جلال الدين الحسيني.
- * الفصول المختارة، تحقيق: علي ميري، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- * في فلسفة التاريخ، أحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- * الفتوح، أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- * قراءة جديدة في صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، السيد سامي البدر، مركز فجر عاشوراء، النجف الأشرف، ط٢، ٢٠١٧.
- * الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر بيروت.
- * المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
- * الصواعق المحرقة، ابن حجر العسقلاني، شركة

- الطبعة، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٥ هـ.
- * مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠ هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمود، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- * كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- * كفاية الأثر، الخزاز القمي، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١ هـ.
- * معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، لبنان، ١٩٧٩.
- * صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
- * صحيح البخاري، البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.
- * الموطأ، مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- * مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- * مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٩٦٥.
- * مروج الذهب، المسعودي، دار الهجرة، قم، ١٩٨٤.
- * الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت.
- * الهداية الكبرى، الخصيبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٤، ١٤١١ هـ.

صورة الإمام الحسن عليه السلام في الاستشراق الايطالي
: لومرافيشيا فاجلييري (انموذجا)



م.د. نزار ناجي محمد

المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

ملخص البحث

كانت وما زالت الدراسات الاستشراقية مشار جدل بين الباحثين حول مدى جدية ومنهجية تلك الدراسات ومحاولة تقصي البعد الفكري والمعرفي فيها؛ لما لها من أهمية في مجال الدراسات التي تعنى بالحضارة الإسلامية ورموزها كونها تمثل رؤية الآخر لتراثنا الحضاري ، وما تحويه في الجانب الآخر من صورة سلبية وغير موضوعية للشخص والاحداث التاريخية لموروثنا الإسلامي، وفي ظل هذا الجدل القائم تطلب الأمر الاهتمام بكل ما دونه الاستشراق عن الشرق سواء أكان سلباً أو إيجاباً، وفي ظل تنوع العوامل التي كانت ولا زالت تحرك الاستشراق تطلب الأمر إلى تكثيف دراساتهم عن التشيع بصورة عامة وأهل البيت (عليه السلام) بصورة خاصة لما لهم من دور وتأثير في الأحداث التاريخية في مراحل الإسلام المبكرة ، وما رافق الشرق من تطور للأحداث السياسية المعاصرة في الشرق من سطوع نجم التشيع خاصة بعد الثورة الإسلامية في إيران ، وفي ضوء أهمية هذين الاتجاهين كانت هناك صورة مشوهة دونت عن الإسلام ورموزه خلال العصور الأوربية الوسطى أثرت على عقلية الفرد الغربي والأوربي بصورة خاصة تم الاعتماد عليها وجعلها الصورة الحقيقية عن الواقع التاريخي الإسلامي ، وفي الجانب الآخر هناك من قام بدراسة ذلك التاريخ بكل منهجية وموضوعية فرسم صورة قريبة من الواقع ، لذا لابد من دراسة المعطى الاستشراقي في مختلف مراحل التاريخ؛ لمعرفة مدى موضوعية ذلك النتائج المتراكمة عبر السنين عن الشرق ، لذا ستعمل الدراسة على دراسة ما كتبه إحدى الكاتبات الايطاليات وهي المستشرقة لورا فيشيا فاجلييري عن الإمام الحسن (عليه السلام) في دائرة المعارف الإسلامية (موسوعة الإسلام) ، وكيف كانت تلك الصورة المقدمة في ظل اعتمادها على الروايات التأسيسية المشوهة في المصادر الإسلامية عن الإمام الحسن (عليه السلام) والصورة المدونة عن شخصيته في كتابات المستشرقين الأوائل .

Abstract

Orientalist studies have long been a contentious topic among researchers, with debates surrounding their seriousness and methodology, as well as their capacity to investigate the intellectual and epistemological dimensions. Given their significance in the field of Islamic civilization and its symbols, these studies are important, as they represent the perspective of others towards our cultural heritage, and the negative and biased image they often portray of the historical figures and events of our Islamic heritage. In light of these ongoing debates, it is crucial to examine them all, orientalism has written about the East, whether positive or negative, and to study the diverse factors that have driven Orientalism both in the past and present, and it is necessary to orientalist scholars to intensify research about Shi'ism and the Ahlulbayt (peace be upon them), for they got important and influential role in historical events during the early stages of Islam.

Furthermore, contemporary political developments in the East, such as the rise of Shi'ism, especially after the Islamic Revolution in Iran, have highlighted the importance of these studies. Additionally, the distorted image of Islam and its symbols that was recorded during the European Middle Ages has influenced the mentality of the Western and European individual in particular, to such an extent that this image was relied upon and became the dominant view of Islamic historical reality for them. However, there are also scholars who have studied history with objectivity and methodology, presenting a more accurate image of reality.

Therefore, it is essential to study Orientalist data in its various historical stages, and to assess the extent of its objectivity over the years in regards to the East. Accordingly, this research examines the views expressed by the Italian writer and orientalist, Laura Veccia Vaglieri, regarding Imam Hassan (peace be upon him) in the Encyclopedia of Islam, and how these perspectives were presented in light of her reliance on distorted founding narratives in Islamic sources about Imam Hassan (peace be upon him) and the image of his personality recorded in the writings of early Orientalists.

أولاً : الاستشراق والمستشرق

الاستشراق هو ترجمة للمصطلح الانكليزي Orientalism ، وهو يتعلق بالشرق كما تم وصفه ، وتعريفه ، وتحليله ، وإنتاجه من قبل أوروبا والغرب ، ويشير إلى الخطاب الذي انتجه الغرب عن الشرق ، والذي يضم مجموعة واسعة من النصوص الأدبية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والتاريخية ، واللغوية ، والفلسفية ، والسياسية ، والانثروبولوجية ، والطبوغرافية التي تراكت عبر السنين عن الشرق ^(١).

وعلى الرغم من أن المصطلح في مدلوله الأساسي أو المتداول يشير إلى الاهتمام العلمي أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية ، بما في ذلك الشرقيين الاقصى والأدنى بما يتضمنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة ^(٢)، فهو قد يشمل كذلك شمال أفريقيا وشرق أوروبا سواء أكانت دولاً إسلامية أو غير إسلامية ، لذا هناك من ينبذ ذلك المصطلح - أي مصطلح الاستشراق - ويعده غير دقيق ؛ لأن الأمر لا يتعلق بتاريخ الإسلام في الشرق فحسب بل في كل البلدان التي يشهد فيها تواجد الإسلام والمسلمين ، أي يأخذ المصطلح بعداً دينياً وليس جغرافياً ^(٣).

أما المستشرق فهو مصطلح يطلق على الشخص المهتم بالحضارة الشرقية عندما تتوفر لديه مجموعة من المعلومات أو جزء منها على الأقل حول الشرق ^(٤)، لذا يعرف المستشرق « هو المتخصص في الدراسات الشرقية » ^(٥)، ان الاستشراق والمستشرق كمصطلحين كانا منذ الولادة مترابطين وهو ما قد يكشفه أي باحث في مجال الدراسات الاستشراقية من خلال تعريف مصطلح الاستشراق وبدايات ظهور المصطلحين في الأوساط المعرفية الغربية ^(٦)، ويبدو أن المراحل التي مر بها الاستشراق جعلت كتاب الشرق والغرب يختلفون في ايجاد تعريف جامع ومانع لحركة الاستشراق ^(٧)، ونحن إذا قمنا باستعراض كل المفاهيم التي دونت حول مصطلح الاستشراق فإننا لن ننتهي أبداً ؛ لأن التطور المستمر للظاهرة الاستشراقية يكشف عن جوانب دفيئة من قبل ، أو كانت ناقصة ليست وافية بالغرض ، والمجال الذي يُعالج تلك الظاهرة ، ومن أجل هذا فإن إعطاء تعريف جامع ومانع لعلم الاستشراق هو ضرب من المحال ، وكل تعريف نجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون

شاملاً جامعاً مانعاً لذلك المصطلح^(٨)، لذا لا يتسع المجال في هذه البحث للحديث عن هذا المصطلح بشكل موسع، وعن بدايات ظهوره في القواميس العربية والغربية، والأطوار والمراحل التي مر بها الاستشرق، ودوافعه المتعددة، واتجاهاته، ونزعاته لذا نحيل القارئ للمصادر المتخصصة في هذا المجال^(٩).

ثانياً : المدرسة الإيطالية والمستشرق لورا فيشيا فاجلييري

تُعدّ إيطاليا ذات صلة كبيرة بالشرق منذ القدم ترجع إلى فترة ما قبل الميلاد؛ نظراً لقرب إيطاليا جغرافياً من بعض البلاد العربية وإفريقيا، وعند فتح العرب صقلية توطدت هذه الصلة بين إيطاليا والعالم الإسلامي ثقافياً، وكان لوجود مركز الديانة المسيحية (الفاتيكان) أهمية كبيرة في حركة التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة تنصير الشرقيين^(١٠)، بدأ اهتمام إيطاليا بالدراسات الشرقية منذ عام (١٠٧٦م) حين عينت جامعة بولونيا : Bologna بعلوم العرب، ثم تولى اهتمام الجامعات الإيطالية بدراسة الثقافة العربية وآثارها ولغتها وآدابها واللغات السامية، وتم فتح المعاهد المتخصصة للدراسات الشرقية مثل (معهد الدراسات الشرقية) الملحق بكلية الآداب في جامعة روما (١٩٠٥م)، وكان فيه قسم لفقهاء اللغة السامية والآثار المصرية، واللغة والآداب العربية والعلوم الإسلامية، وفصول لتعليم اللغات العربية، والفارسية، والتركية، وتم انشاء المجالات الخاصة بالدراسات الاستشرافية ومنها (مجلة الدراسات الشرقية : Rivista degli Studi Orientali) (١٩٠٧م)، ومجلة (أركيون : Archeion) (١٩١٩م) في روما، ثم أصبحت عام (١٩٣٨م) المجلة الرسمية لمجمع تاريخ العلوم العالمي، ثم تولى فتح المعاهد وصدور المجالات المتعلقة بالشرق، وبعض تلك المعاهد ذات طابع ديني هدفه نشر المسيحية في الشرق مثل (المعهد البابوي للشرق) (١٩١٨م) يعنى بدراسة الشرق المسيحي وفقهاء اللغات السامية، ويصدر مجلات باسم (الشرقيات المسيحية : Orientalia Christiana) (١٩٢٣م)، وكان هناك حرص لدى المؤسسة المسيحية في الفاتيكان على جمع المخطوطات الشرقية، وشراء بعضاً منها من الدولة العثمانية، وتصوير القسم الآخر، فكانت ما يعرف بالمكتبة الفاتيكانية، وانتشرت الطباعة في إيطاليا انتشاراً واسعاً بعد انتشار المكتبات^(١١)، فكان الاستشراق الإيطالي في بدايته يعنى بالأمور

الدينية؛ لأن معظم مؤسساته نشأت بجهود الرهبان ورجال الدين المسيح، إلى أن تحول في بداية القرن العشرين وصارت له اهتمامات سياسية، واقتصادية، وثقافية، بخاصة بعد الغزو الإيطالي إلى ليبيا (١٩١٢م)، لذا صار الاستشراق يعنى بأساليب الحياة في البلدان العربية خاصة التي وقعت تحت الاستعمار الإيطالي^(١٢).

ولعل اهتمام الاستشراق الإيطالي بالأمور الدينية يرجع لوجود المؤسسة الدينية (الفاتيكان) في إيطاليا وعدّها المدافع عن الديانة المسيحية، وأمام نجاح الفتوحات الإسلامية وانتشارها على أراضٍ واسعة كانت تُعدّ مناطق نفوذ لسلطة رجال الكنيسة في روما، فقد عدّ الدين الإسلامي عقيدة منافسة لها، وسبباً في فقدانها تلك الأراضي الشاسعة، لذا تحتم عليها التصدي لهذه العقيدة والوقوف في وجه توسعاتها باتجاه الأراضي المسيحية، وتشويه صورة الدين الإسلامي في تلك المناطق لذا نجد المستشرقين الإيطاليين يتخذون موقفاً سلبياً في أغلب الأحيان من الإسلام.

أما المستشركة لورا فيشيا فاغلييري (فاجلييري) : L. Veccia Vaglieri فهي مستشركة إيطالية، بحاتة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها، وهي أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي في إيطاليا، حيث يصنفها البعض من الكتاب المنصفين في الحديث عن الإسلام، من أثارها رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر (مجلة طرابلس ١٩٢٤ - ٢٥)، وترجمة الشيخ أبي عبد الله الفاسي، مع سرد بمصنفاته (مجلس طرابلس ١٩٢٤)، وقد زاد عليها جويدي في المجلة نفسها (١٩٢٥م)، ونبذه عن ابن مسعود والإمام يحيى و اليمن (الشرق الحديث، ١٤، ١٩٣٤م)، وتقاليده رمضان في مُتعدّد البلدان الإسلامية (حوليات المعهد الشرقي بنابولي، ١٠، ١٩٣٧م، ١٩٣٨م)، الخلاف بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج (حوليات المعهد الشرقي بنابولي، ١٩٣٢ - ٥٢، ومؤتمر المستشرقين ١٩٥١م، ج ٢، ١٩٥٧م)، ولها كتاب بعنوان الدفاع عن الإسلام مكتوب بالإيطالية ومترجم للعربية^(١٣)، ولها العديد من المقالات في دائرة المعارف الإسلامية، ومنها موضوع الدراسة وهو مقالها في دائرة المعارف الإسلامية (موسوعة الإسلام) في طبعته الثانية، إذ تم إسناد كتابة مقال الإمام الحسن (عليه السلام) إليها، لذا ستركز الدراسة على تلك الصورة التي قدمتها فاجلييري عن الإمام الحسن (عليه السلام) في هذا المقال.



ثالثاً: صورة الإمام الحسن (عليه السلام) والمستشركة الإيطالية لورا فيشيا فاجلييري

اندفع المستشرقون لدراسة التشيع بصورة عامة وتراث أهل البيت (عليهم السلام) بصورة خاصة ، فلم يتركوا شاردة أو واردة عن أهل البيت (عليهم السلام) إلا ركزوا عليها وبينوا ما فيها في دراساتهم ، وكانت في مقدمة تلك الاهتمامات هو دراسة شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لما لها من دور محوري في الرسالة الإسلامية لاسيما وهي بداية التحول من منصب الخلافة الإسلامية الذي عهده المسلمون في عهد الخلفاء إلى ملك عضوض يتلاقفها بنو أمية تلاقف الكرة ، لذا انصب تركيز المستشرقين على هذه الشخصية وكيف كان تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن هذا المنصب السياسي لصالح الأمويين ، لذا انحسرت طروحات المستشركة فاجلييري حول قضايا مختلفة تناولتها في كتاباتها حول سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) وهي:

١ - شبهة كثرة الزواج والطلاق وحب للشهوات

تذكر المستشركة الإيطالية فاجلييري: «واستقر الحسن في المدينة يعيش عيشة هادئة في الظاهر على الأقل دون أن ينشغل بالسياسة وظل كشأنه يخرج من زيجة إلى زيجة حتى أطلق عليه لقب المطلاق ، فقد تزوج ستين أو سبعين أو تسعين زوجة ، وكانت له ٤٠٠ سريّة ويبدو إن هذه الحياة الحافلة بالمتع الحسية لم تثر مع ذلك نقداً كثيراً له»^(١٤).

لم يكن هذا التشويه لسيرة الإمام الحسن (عليه السلام) نابعاً من الكتابات الاستشراقية ، بل هو اعتماد على الرواية التأسيسية الإسلامية التي كتبت على فترات زمنية مختلفة تخللها الكثير من التأثيرات وتلاعبت بها الميول والأهواء حتى وصلت إلينا بالشكل التي هي فيه ، فلا شك ان سخونة المواقف السياسية وتبدلات الدول والكيانات السياسية تدفع إلى الكتابة التاريخية المتحيزة وغير المنصفة ، والأكثر أهمية انها تدفع إلى خلق مرويّات وابتداعها فضلاً عن تزيفها وتُعديّلها وتكيفها بالشكل الذي تريده السلطة المهيمنة على التدوين التاريخي ، لهذا كان معاوية بن أبي سفيان يكتب إلى عماله في عدم الرواية في فضائل الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته ولعنه على المنابر ، فكانت هذه مرحلة من مراحل التغيب والتلفيق والصناعة للرواية التاريخية ، لذا كان الحقد والبغض لأهل البيت قد اديا دوراً مركزياً في الصراع وتحريف الحقائق التاريخية ، زيادة على ذلك الخصومات والتنافر بين الفرق والجماعات^(١٥) ،



لذا فالتدوين التاريخي الإسلامي تعرض إلى عمليات مقصودة أو غير مقصودة من التشويه والكذب والدس ، وأن تلك العمليات من التحريف والتشويه للحقائق لم تكن بفعل التغيرات الاستشراقية ، إنما هو اعتماداً على أصول الرواية التاريخية الإسلامية ، وهي نتيجة علمية وعملية منظمة ومنتظمة دعمتها وغذتها واعلنت عنها السلطات الأموية والعباسية التي احتضنت الرواة والمؤرخين وشجعتهم على تدوين الأخبار وتوجيهها بالاتجاه التي ترتضيها وهو ما ساهم في طمس الحقائق التاريخية المرتبطة بسير الأئمة (عليهم السلام) ^(١٦).

استند الاستشراق على ما ذكره ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) في طبقاته على أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان كثير الزواج والطلاق ^(١٧)، وكانت هذه الروايات المغرضة صادرة من أقلام السلطة الأموية والعباسية ، والمتتبع لتلك المرويات سيجد ضعف في سندها لوجود عدد كبير من الكذابين والوضاعين ، ومن ناحية المتن فالروايات متناقضة مع بعضها البعض ، زيادة على مجهولية تلك الزوجات والخلاف الكبير حول أعدادهن ^(١٨)، وما يكذب تلك المرويات أن أي واحدة من زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) المزعمات أو اللاتي خطبن لم يرفضن أو يترددن بقبول الزواج منه كونه كثير الزواج أو الطلاق ^(١٩)، أو حتى ذكرن مثل ذلك الفعل منه وهو ما يحتم الشك في المرويات التي تحدثت عن كثرة الزواج أو الطلاق وهو ما تحاول المرويات لصقة بسيرة الإمام الحسن (عليه السلام) .

ولم يثر كثرة الزواج والطلاق النقد على الإمام الحسن (عليه السلام) من قبل أعدائه أو الناقمين من سياسته ، وهو ما اشارت إليه المستشرقة فاجلييري في حديثها عن مثل تلك الزيجات الكثيرة؟ ، ولم توضح فاجلييري لماذا لم تثر هذه الميزة بحبه للزواج والطلاق الناقمين عليه وعلى سياسته ، التي قد يتبين من خلال هذا القول زيف مثل تلك الروايات التي كان الغاية منها تشويه سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) .

وإذا ما احتكنا للحسابات والظروف الطبيعية التي احاطت بسيرة حياة الإمام الحسن (عليه السلام) لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التي عاشها التي لم تكن تسمح له بأن يقضي جل وقته في زيجات غير مبررة ، فلم تمهله الاحداث والانقلابات والخيانات فرصة لالتقاط أنفاسه فضلاً عن التفكير بتلك الأمور ^(٢٠)، لهذا ذهبت المستشرقة فاجلييري إلى أن مثل تلك الزيجات كانت بعد الصلح مع معاوية ، على الرغم من أن الروايات لا تذكر شيئاً عن تلك الزيجات بعد تلك

الفترة كما تراها المستشرقة فاجلييري سوى رواية أو روايتين قد لا تصمدان أمام النقد العلمي خلال فترة العشر سنوات بعد الصلح مع معاوية^(٢١)، لذا ما ذكرته المستشرقة يعد تحجياً منها، فكل ما ثبت له من زيجات لم تُعدَّ العشرة زوجات في مختلف مراحل حياته^(٢٢)، ويبدو أن تلك الصورة المشوهة التي وضعت عن الإمام الحسن عليه السلام كانت مقاربه مع صورة أحد رجالات السلطة الأموية وهو المغيرة بن شعبة الذي كان يتفاخر بكثرة الزواج والطلاق فقيل تزوج تسع وثمانين امرأة^(٢٣)، ولا يستبعد أن تكون الصورة المنسوجة عن الإمام الحسن عليه السلام بكثرة الزواج والطلاق صورة مقتبسة من حياة رجالات السلطة الأموية بقصد التشويه وتجهيل العامة من الناس، فالذي يشبه النبي ﷺ بالخلق والخلق من البعيد أن يتصف بكثرة الزواج والطلاق، لما ذكره النبي ﷺ من أن الطلاق هو ابغض الحلال إلى الله ومن المحال أن يخالف حفيده شريعة جده، لذا علينا التدقيق بما جاء في المصادر الإسلامية ومعرفة الغرض من تشويه صورة بعض الشخصيات وفي المقابل ورفع مكانة شخص آخر.

ولم تكن المستشرقة فاجلييري الوحيدة التي وصفته بتلك الصفات فقد سبقها المستشرق الفرنسي هنري لامنس حين وصفه بأنه ميال إلى الشهوات قضى حياته في الزواج والطلاق حتى أحصى له حوالي مائه زيجة حتى أطلق عليه لقب المطلاق، حتى كان إفراطه بتلك الملذات سبباً في تعجيل وفاته^(٢٤).

وكذلك المستشرق دوايت روندلسن بقوله: «وقد قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق حتى بلغ من تزوجهن المئة، وسمي المطلاق»^(٢٥).

لذا إتكا الكثير من المستشرقين على الرواية التأسيسية الإسلامية التي نسجت بأقلام سلطوية وجعلوا منها صورة حقيقية ومشوهة لسيرة الإمام الحسن عليه السلام.

٢- التبذير وحب الأموال الدافع الأساسي للصلح

تذكر المستشرقة أن الدوافع المادية هي التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يتنازل عن الخلافة لصالح معاوية فتقول: «من المرجح أيضاً أنه كان مدركاً بأن قضيته خاسرة، فإذا كان صحيحاً أن علياً جرى على انفاق ما في خزانة الدولة (كل أسبوع فيما قيل) يوزعه على المستحقين فلا يبقى منه شيئاً، فإن ذلك يجعل الحسن محتاجاً إلى المال»^(٢٦).

جعلت المستشرقة فاجلييري حب الإمام الحسن (عليه السلام) للمال دافعاً أساسياً لتنازله لتعوده على البذخ والحياة المترفة في حياة أبيه كما تراها فاجلييري .

وفي مكان آخر ذكرت المستشرقة فاجلييري شروط الصلح التي استغلها الإمام الحسن (عليه السلام) لصالحه وطلب ما يُريد من الأموال؛ لحاجته الماسة لتلك الأموال ولعتياده حياة الترف والبذخ فتقول: « في بعض الروايات أن معاوية أعطى للحسن كامل الحرية، وقد ندم الحسن على أنه لم يطلب منه أكثر، أما تعويض معاوية له بالمال فقد بلغ مليوناً من الدراهم (حصّة سنوية، علاوة على منحه نقداً خمسة ملايين من مال الكوفة) ، ودخل كورة فارس (دار ابجر د؟ فسا؟ الاهواز) ، لم يستطع الحسن قط أن يحصله، لأن أهل البصرة كانوا معادين له مقررّين ان هذا الدخل كان لهم » (٢٧) .

بالتأكيد مثل تلك الصورة عن الإمام الحسن (عليه السلام) تجعله ميالاً لكسب الأموال وهمه الرئيس هو استحصالها، وقد اتضح من كلام المستشرقة الايطالية فاجلييري ميله الشديد في هذا الجانب، حتى تم استغلال الصلح لهذا الأمر حتى انه ندم على عدم استغلاله بنود الصلح الاستغلال الامثل !!

وذهبت المستشرقة الايطالية فاجلييري أن معاوية أعطى للحسن كامل الحرية أو تفويض مطلق لكنها ترجع وتطرح سؤالاً وهو: (لكن فيما يتعلق بماذا؟) (in respect of but what?) (٢٨)، ولا نعلم هذه العبارة الاعتراضية الموجودة في طبعة الموسوعة بطبعتها الثانية هي من المستشرقة، أو هو استفهام من دائرة التحرير على كلامها؟؛ لأنها لم تبين بماذا تخص تلك الحرية الكاملة أو التفويض، هل في تدوين شروط الصلح مع معاوية حسب ما يُريد الإمام الحسن (عليه السلام)؟ أو غير ذلك، وعلى ما يبدو كان قصدها الحرية الكاملة في مطالب الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لأن العبارة التالية لها تؤكد ذلك، إذ تقول: وقد ندم الإمام الحسن (عليه السلام) على أنه لم يطلب منه أكثر، على الرغم من ان نص البلاذري خالي من أي شروط قد وضعها الإمام الحسن (عليه السلام) في الصحيفة التي تم فيها كتابة الصلح (٢٩)، كما سيأتي الحديث عنها .

ولم تكتف المستشرقة فاجلييري على هذا النحو بل زادت من هذه الشروط حيث ذكرت طلب الإمام الحسن (عليه السلام) من معاوية تقريب وتفضيل بني هاشم دون غيرهم، والتفكير في الحصول على الأموال ليس له فقط بل يجب إشراك أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وذلك ما

طلبة من شروط للصلح فتقول المستشرقة الايطالية فاجلييري : « ان يؤدي [أي معاوية] للحسين مليونين من الدراهم (وهذا الشرط يبين أن الحسن كان يفكر في أخيه) ، وأن يفضل الهاشميين (العلويين والعباسيين) على بني عبد شمس (الأمويين) في العطاء والمنح (وهل هذا الشرط مقبول) »^(٣٠).

فما ذكر بخصوص الأموال التي تحصل عليها الإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح مع معاوية ، فقد كان للسلطة والصراعات السياسية بين الموالين لأهل البيت عليه السلام والموالين لبني أمية دور كبير في تقديم صورة غير حقيقية أو واقعية عن الإمام علي أو ولده عليه السلام ، وهذا ما دفع اقلام السلطة لجعل شروط الصلح مع معاوية هي مادية بالدرجة الأساس ، لتوهم القارئ ان الصراع كان صراعاً مادياً الغرض منه الحصول أو الاستحواذ على الأموال ، فلو كانت الأموال في عهد الإمام علي عليه السلام تصرف لمستحقيها وهو ما سبب شحة في الأموال على ما تذكر المستشرقة فاجلييري فكيف سيصرف الإمام الحسن عليه السلام على حياة البذخ والترف تلك التي اعتادها في حياة أبيه كما تراها فاجلييري .

والسؤال الذي يمكن أن يعكسه كلام المستشرقة فاجلييري هو : لماذا لم تصرف الأموال على مستحقيها في خلافة بني أمية ؟!! ، فهذا يدل على أن غاية بني أمية من السيطرة على السلطة كانت دنيوية على العكس من خلافة الإمام علي عليه السلام وهو ما أكدته قول معاوية بعد عقد الصلح لأهل العراق بقوله : « والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذل وأنتم كارهون »^(٣١) . فقد انتهت تكديس الأموال في خزائن السلطة الأموية إلى ترفها وانحلال حكامها وبذخ معيشتهم ، وفقر عامة الناس من المستحقين لذلك المال ، وهذا هو الفرق بين الحكام المتسلطين وبين من هم رحمة للعالمين .

وما ذكرته المستشرقة فاجلييري من حاجة الإمام الحسن عليه السلام إلى الأموال بعد الحياة التي عاشها في خلافة أبيه واعتياده حياة البذخ والاسراف جعلته في حاجة ماسة لعقد الصلح مع معاوية ، فقلة المال كانت السبب في ميله الشديد لطلب المزيد من الأموال في خلافة حكام بني أمية ، فلو كان الإمام راغب في الأموال وتجميعها لاستحصل الكثير منها في خلافة أبيه

لا العكس ، ولو كان هم الإمام الحسن (عليه السلام) تقريب الهاشميين وتفضيلهم في العطاء في عهد حكام بني أمية كشرط من شروط الصلح كما تذكر المستشرقة فاجلييري، فهذا يدل على ان تقريب عثمان لبني أمية (٣٢) كان مشروعاً كما يريد الرواة ، وبالتالي الخروج على السلطة في عهد عثمان بن عفان كان بغير ذي حق ، فهكذا كان يراد من تلك الروايات وهو وضع روايات تأسيسية عن أحقية عثمان أو بني أمية في تقريب الأقرب فالأقرب أي التمايز في العطاء ؛ ولأن الصورة التي قدمت عن الإمام الحسن (عليه السلام) في المصادر الإسلامية هي صورة مشوهة فقد جعلت من صلحه مع معاوية ذا دافع مادي بالدرجة الاساس وهو ما تحاول سلطة التدوين في وقتها تثبيته واذاعته على عامة الناس ، وتلقف المستشرقون مثل تلك الاكاذيب على انها حقيقة ثابتة .

ويذكر ان بعض تلك الأموال التي طالب بها الامام الحسن (عليه السلام) كانت الغاية منها توزيعها على ابناء الشهداء الذين قتلوا مع أبيه في حرب الجمل وصفين (٣٣)؛ لأنه كان يدرك تماماً الأساليب الأموية التي ستتبعها بمنع عطائهم كونهم قاتلوا بالصد من السلطة الأموية لذلك أراد الإمام الحسن (عليه السلام) ان يضمن لهم مورداً مادياً يستطيعون به مواجهة مصاعب الحياة في ظل السطوة الأموية التي ستتبع تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة ، مع ذلك لم يكن معاوية راغباً بمثل هذه البنود لكنه قبلها على مضض ثم لم يفي بتلك الشروط بعد تسلمه السلطة فهو القائل : « ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به » (٣٤) ، وكان منعه تلك الأموال بأمر معاوية نفسه بعد تحريضه أهل البصرة على منع حصول الإمام على تلك الأموال (٣٥) ، ولم توضح المستشرقة الايطالية فاجلييري هذه الحقائق ؛ لأنها ستكشف زيف تلك المرويات وزيف ما تدعيه .

ولو توقفنا قليلاً عند ما تم ذكره من الحصول على كوره فارس (دار ابجرود وفسا) فالمصادر التاريخية تذكر أن فتحها عنوة (٣٦)، وطالما كان فتحها عنوة فتعدّ أرضها أرض خراج لا فيئ ، وهذا الخراج لا يحق للإمام الحسن (عليه السلام) مصادرته بل يقسم على المسلمين ، والمصدر الوحيد الذي قال انها فتحت صلحاً هو البلاذري (ت ٢٧٩هـ) (٣٧)، لكن انطلاق الجيوش كانت من البحرين وعمان لا البصرة (٣٨)، وبهذا تكون نصيب فيئها لصالح هذه

المناطق أي عمان والبحرين ، ومع ذلك يحق للإمام قسمة فيئها بين المسلمين ، ولا يحق له أخذها سواء أكانت فيئاً أو خراجاً ، وان معاوية أن صح ذلك الخبر فقد وهب ما لا يملك . وذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ان هذه الشروط المالية قد قدمها معاوية بنفسه ولم يطلبها الإمام الحسن (عليه السلام) فقد ورد كتاب معاوية الذي قال فيه : «إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي ولك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله محمد ﷺ وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد أن لا أبغيك غائلة ولا مكروها ، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال ، وعلى أن لك خراج فسا ودار ابجرد تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك»^(٣٩) ، وما كان رد الإمام الحسن (عليه السلام) الذي ذكره البلاذري خالياً من أي شروط بعد ان ارسل معاوية ورقة مختومة اسفلها ليشترط الإمام الحسن (عليه السلام) ما يريد من شروط للصالح فجاء فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية ابن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، وأن يكون الأمر شورى ، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم ، وعلى أن لا يبغى للحسن ابن علي غائلة سرا ولا علانية ، و (على أن) لا يخيف أحداً من أصحابه»^(٤٠) .

لذلك كل تلك الشروط المالية هي مما قدمه معاوية وتنصل عنه بعد ذلك كما جاء عن لسانه بان كل ما اعطاه للحسن يضعه تحت قدميه بعد ان نال مبتغاه .

٣- التشكيك في بعض شروط الصلح

كعادة الاستشراق في التشكيك بالنصوص التي لا تتفق مع رأي الباحث وانتقاء كل ما يؤيد افكارهم وطروحاتهم حتى بات التشكيك من أهم الاساليب الاشتراكية في رد النصوص الإسلامية وبطريقة انتقائية فتقول المستشرق فاجلييري: «وتزيد بعض الروايات شروطاً أخرى يتعين علينا مع ذلك أن نشك في أنها اقحمت من بعد لتخفيف الانتقادات التي وجهت للحسن ولإظهار أنه أثار بعض المسائل استمسك بها تدعيماً لرأيه وهذه الشروط هي : حق الحسن في أن يسترد الخلافة بعد وفاة معاوية (ولكن فكرة التدبير السابق لهذا الاستخلاف لم تكن قد

ظهرت بعد، ونحن نعلم مبلغ الصعوبات التي واجهت معاوية من بعد لضمها موافقة الجماعة الإسلامية على هذا الاستخلاف. وقد نستخلص من رسالة لمعاوية بأنه صور هذا الأمر بأنه ممكن في المستقبل دون أن يتخذ أي إجراء من ناحيته)، وفي رواية أخرى أن معاوية أخذ على نفسه عهداً بالآلا يستخلف أحداً وأنه يترك الأمر شورى (على أنه إذا كان الأمر كذلك فإن معاوية لم يفكر في استخلاف ابنه ولا كان يستطيع ذلك)»^(٤١).

طالما كان هناك خلاف في المصادر حول تلك الشروط فلا يمكن التأكيد على شروط ونبد الأخريات بحجة تخفيف الانتقادات الموجهة للإمام الحسن (عليه السلام) على ما تقول فاجلييري، فهي هنا تتقي ما يخدم توجهاتها البحثية.

وجاء في نص البلاذري (ت ٢٧٩هـ) عن كتاب الصلح ما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية ابن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين؟! وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم، وعلى أن لا يبغى للحسن ابن علي غائلة سرا ولا علانية، وعلى أن لا يخيف أحدا من أصحابه»^(٤٢).

وما ورد في نصوص إن الإمام الحسن (عليه السلام) طلبها لنفسه بعد معاوية فهي في كتب متأخرة بعض الشيء مثل ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)^(٤٣)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)^(٤٤)، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)^(٤٥)، وفي نص البلاذري أن هذا شرط أن تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) هي من كلام معاوية وليس من شروط الإمام الحسن (عليه السلام) فقد كان الإمام رد عليه برسالة الصلح واشترط أن تكون الخلافة من بعده شورى بين المسلمين^(٤٦)، وفي كلتا الحالتين خالف معاوية شروط الصلح ولم يلتزم بها، فهو لم يجعلها شورى ولم يعيدها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) على ما ورد في الرأي الثاني على فرض صحته.

ولو فرضنا جدلاً صحة ما جاء في القول الثاني أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد طلبها لنفسه بعد معاوية، ما هي الضمانات التي قدمها معاوية لهذا الشرط؟!، لاسيما وهو معروف بالغدر للطرف الآخر^(٤٧)، فلا بد من وجود بنود تضمن فيها هذا الشرط، لذا نرى أن هذا

الشرط هو من الزيادات التي قد طرأت على بنود الصلح من قبل الرواة؛ لعدم توفر ما يؤيده في وثيقة الصلح ، وهي محاولة لتشويه صورة الإمام الحسن (عليه السلام) وجعل بنود الصلح ذات دوافع سلطوية ذنوبية ، ولهذا ذهبت بعدها المستشرق فاجلييري إلى القول: « وبعد ذلك بسنوات اجتمع الشيعة وأظهروا إنكارهم لموقف الحسن؛ لأنه لم يسأله عهداً مكتوباً باستخلاف الحسن بعد وفاته » (٤٨).

هذا القول من المستشرق فاجلييري لم يحدد من هم الشيعة الذين انكروا لموقف الإمام الحسن (عليه السلام) ؟ ، وهو إمام مفترض الطاعة في العقيدة الشيعية ؟!

٤- صفات الإمام الحسن (عليه السلام) الجسمانية والخلقية .

تحاول المستشرق فاجلييري نفي كل فضيلة للإمام الحسن (عليه السلام) فبعد ان تكلمت عن صفات الإمام الحسن (عليه السلام) الجسمانية والخلقية تعود وتقول : « ان خلو المصادر عن أي مدح في ذكائه أو مهارته أو إقدامه ، أمر يدعو إلى التساؤل . لقد كان الحسن شخصية تتألق بما انعكس عليها من نور انبعث من جده وأبيه » (٤٩).

تحاول المستشرق فاجلييري نفي كل فضيلة إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وتعزو تألق شخصيته إلى تأثير جده وأبيه ، وهذا الكلام يعد تحجياً من المستشرق فاجلييري ؛ لأن خلو المصادر عن ذكر صفاته هو دليل على التدخل السلطوي في الكتابة التاريخية ، فيبدوا تأثر المستشرق فاجلييري بالرواية التاريخية الشائعة و السائدة التي وضعتها وصنعتها السلطات الأموية والعباسية ، بدفعها وتوجيهها وتشجيعها مادياً واجتماعياً وإدارياً لرواة يعدّون روّاداً في رواية الأحداث للقرن الأول للهجرة؛ لأن يزيّفوا أو يحرفوا أو يكيّفوا ، والأكثر أهمية أن يغيبوا دور أهل البيت (عليهم السلام) التاريخي ومواقفهم وصفاتهم ، لذا لا مبالغة في القول إن التدوين التاريخي الإسلامي عامة قد تعرض إلى عمليات مقصودة وغير مقصودة من التشويه والتزوير والكذب بدافع معين أو بجملة من الدوافع منذ بواذر نشوء التدوين في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، لذا عمدت السلطات الحاكمة إلى طمس الحقائق التاريخية المرتبطة بأهل البيت (عليهم السلام) (٥٠).

فقد عملت السلطة الأموية بعد توليها أمور الخلافة على الكتابة لكافة الامصار الإسلامية في سب ولعن الإمام علي (عليه السلام) ويشار إلى ذلك في المنابر حتى تربي عليها الصغير

وهرم عليها الكبير ، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً ، وقد وضعوا قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة فيه تقتضي الطعن والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً أي مالاً ليرغبهم ويرغب غيرهم في الخوض بتشويه صورة الإمام علي (عليه السلام) والطعن فيه وفي ولده فاختلقوا للسلطة ما يرضيها من روايات في ثلبهم ، وقد منعوا من اظهار فضائل آل البيت وعاقبوا على ذلك الراوي لها ، حتى ان الراوي إذا روى حديثاً لا يتعلق بفضل الإمام علي أو ولده (عليه السلام) بل بشرائع الدين لا يذكر اسمه خوفاً من ملاحقة السلطة له ^(٥١) ، فهذه هي سياسة تجهيل العامة من الناس التي مارسها السلطة الأموية تجاه آل البيت حيث كانوا يعدّون الإمام علي (عليه السلام) لصاً من اللصوص ، أو انهم لا يعلمون له قرابة من رسول الله ، فلم يعلموا سوى بني أمية يرثونه ^(٥٢) ، فعلى هذا المنوال كانوا يعملون على تجهيل العامة بمنزلة ومكانة الإمام علي (عليه السلام) ولده تارة بالترهيب والتهديد والوعيد ، وبالترغيب وبذل الأموال تارة أخرى ، فليس بالغريب من وجود كل هذا التحريف في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) ؛ لأنه يعد المنافس القوي للسلطة الأموية ، والفرع الحسني هو الخطر المحدق بالسلطة العباسية بكثرة ثوراتهم ^(٥٣) ، فلا غرابه بقيام السلطات التدوينية بتشويه صورة الإمام الحسن (عليه السلام) وجعل اهدافه من السلطة مادية بحتة وهو ما ينعكس على احفاده من الفرع الحسني ^(٥٤) ، فمن خلال هذا التشويه اقتبس المستشرقون الصورة التي يعتقدون بصحتها عن الإمام الحسن (عليه السلام) وقد استمدوها من مصادرنا الإسلامية .

ولعل هذا الرأي من المستشركة فاجلييري يتماهى مع ما ذكره المستشرق الفرنسي هنري لامنس حينما صور الإمام الحسن (عليه السلام) أنه كان قليل النشاط والذكاء ، لم يهتم بأي اهتمام بالشؤون العامة في حياة أبيه ، وكان قعيد المهمة ^(٥٥) ، فلعل المستشركة وقعت تحت تأثير من سبقها من المستشرقين الذي وضعوا تلك الصورة المشوهة عن الإمام الحسن (عليه السلام) .

٥- الرغبة بتسمية الإمام الحسن (عليه السلام) بـ (حرب) .

تحاول المستشركة الاستناد على ما جاء في المصادر الإسلامية عن رغبة الإمام علي (عليه السلام) بتسمية أبنه البكر بـ (حرب) فتقول في هذا الجانب : « وسماه النبي الحسن في حين أن أباه كان يريد أن يسميه حرباً » ^(٥٦) .

ولنقف قليلاً عند تلك الرواية التي تحاول المستشرقة فاجلييري الاتكاء عليها إذ جاء عند ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ): «عن هانيء ابن هانيء عن علي قال: لما ولد حسن سميته حرباً، قال فجاء رسول ﷺ فقال أروني ابني قال ماذا سميتموه، فقلت سميته حرباً، فقال رسول ﷺ لا ولكن اسمه حسن، لما ولدت حسينا سميته حرباً فجاء رسول ﷺ فقال أروني ابني ما سميتموه فقلت سميته حرباً، فقال لا ولكن اسمه حسين فلما ولدت الثالث سميته حرباً فجاء رسول ﷺ فقال: أروني ابني ماذا سميتموه فقلنا: سميناه حرباً فقال: لا ولكن اسمه محسن ثم قال: إني سميتهم ببني هارون شبرة وشبيراً يقول: حسن وحسين» (٥٧).

فمن خلال النص اعلاه نجد الاضطراب في ذلك النص فلا نعلم لماذا هذا الاصرار من الإمام علي وزوجته البتول (عليها السلام) على تسميه أولادهم بتلك التسمية على الرغم من رفض النبي ﷺ ذلك الاسم؟!، والاصرار على تكرار ذلك الفعل على الرغم من رفضها لثلاث مرات من الرسول؟!، وقد اوضحت بعض الروايات سبب اختيار اسم حرب يرجع لحب الإمام علي (عليه السلام) للحرب فهو يهم بتسميه ولديه في كل مرة بتلك التسمية لولا تدخل النبي ﷺ وتغيير تلك التسمية (٥٨)، فالرواية تريد الايحاء ان الإمام علي (عليه السلام) كان يعيش في عمق وجدانه هاجس الحرب والقتال، لتكون نتيجة ذلك ميله الشديد لممارسة قتل الناس، وإزهاق أرواحهم مما يعني: أن حروبه في عهد النبي ﷺ نابعة من سجية دموية لديه وبذلك يصبح حقد الناس عليه، ونفورهم منه مبرراً إلى حد كبير (٥٩).

ثم من هو هاني بن هاني فهو مجهول ولا يعرف من هو، لذا لا يمكن الاطمئنان لما ورد في مثل هكذا روايات لما فيها من مخالفة لفعل النبي ﷺ والاصرار على مخالفه الإمام علي (عليه السلام) بتسميه ابنائه زياده على مجهولية الراوي. وقد ورد في احدى الروايات ان التسمية لم تكن حرباً بل كانت على أسم عمه حمزة وقد غيره النبي ﷺ بتسميته به (الحسن) (٦٠)، وهي تخالف ما سبق، وفي ظل هذا الاضطراب في المرويات من الصعب التسليم في ما ورد فيها دون تدقيق وتمحيص لتلك المرويات، وقد ورد في احدى الروايات ان النبي ﷺ هو أول من سماه بالحسن بعد أن أتت به أمه الزهراء (عليها السلام) لأبيها ليسميه (٦١)، من دون تلك الزيادات الواردة في الروايات التي تدلل على التدخل السلطوي في تدوينها، لكن المستشرقة فاجلييري كانت انتقائية في اختيارها للرواية التي تخدم توجهاتها البحثية لما في تلك الرواية من ضعف وخلاف في الفكر بين النبي ﷺ والإمام علي (عليه السلام).

٦- التشكيك في مكانة الإمام الحسن (عليه السلام).

حاولت المستشرقة فاجلييري التشكيك في مكانة الإمام الحسن (عليه السلام) فتقول في هذا الجانب : « وأهم من ذلك عبارات بعينها تنسب إليه أي إلى النبي ﷺ يستخلص منها الشيعة أشياء مثل (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) »^(٦٢)، ولم توضح ما هو الذي يستخلصه الشيعة من مثل هذه الاحاديث لكنها في مقال الإمام الحسين (عليه السلام) أوضحت تلك عبارات واضحة فتقول : « (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وهذا القول مهم جداً في نظر الشيعة ذلك أنهم اتخذوه مبرراً من المبررات الأساسية لحق سلالة النبي في الإمامة »^(٦٣).

وهذا القول من المستشرقة الايطالية فاجلييري قد اهتمت فيه الشيعة على وجه الخصوص باستغلال تلك الأحاديث؛ لبيان أحقية أهل البيت والإمامين الحسن والحسين (عليه السلام) على وجه التحديد بالإمامة ، وجعلت من بعض الأقوال وأهميتها حصراً على الشيعة دون غيرهم ، ولعل المستشرقة الايطالية فاجلييري لم تفرق بين الإمامة كمنصب ديني وبين الخلافة كمنصب سياسي لقيادة الأمة ، فالإمامة لا تشترط فيها ان يكون الإمام خليفة وصاحب سلطة سياسية ، كما هي النبوة التي لا تشترط ان يكون فيها صاحب الرسالة ذو سلطة سياسية ، وهي تتهم الشيعة على وجه الخصوص باستغلال تلك الاحاديث لصالحها مع أنها صادرة عن النبي ﷺ ؛ لبيان منزلة ومكانة الإمامين الحسن والحسين (عليه السلام) عند النبي ﷺ وقد وردت في مصادر لا تنتمي للمذهب الشيعي^(٦٤)، وهذا يؤكد المكانة المهمة لهما عند عامة المسلمين وهو ما تحاول المستشرقة فاجلييري التشكيك فيه .

٧- استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام)

حاولت المستشرقة فاجلييري وضع احتمالين لوفاة الإمام الحسن (عليه السلام) فتقول : « توفي الحسن بعد مرض طويل بعض الشيء أو مات بالسم دسسته له في قول كثير في المصادر زوجة من زوجاته اسمها جعدة بنت الأشعث ، ويقال: أن معاوية أغراها بذلك فقد وعدها بمبلغ كبير من المال وأنه سوف يزوجهها ولده يزيد . على أننا يجب أن نذكر أن الحسن لم يكن بحال حريصاً على أن يكشف عن شكوكه لأخيه الحسين خشية أن ينزل انتقامه بعد وفاته بشخص بريء . وقد عد الشيعة الشيخ اليميني الأشعث خائناً استأجره معاوية ، وأنه من المحتمل كثيراً أن الحقد عليه قد انتقل إلى ابنته »^(٦٥).

قدمت المستشرقة فاجلييري احتمالية وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) كوفاة طبيعية بسبب المرض الذي أصابه منذ مدة طويلة ، على الاحتمال الثاني الذي يقول انه قد تم دس السم له من إحدى زوجاته ، ويبدو ان المستشرقة فاجلييري تعتقد بالرأي الأول؛ لذلك قدمته حتى مع الكثرة في المصادر التي تقول بان وفاته كانت بدس السم له من إحدى زوجاته على ما تذكر هي نفسها ، لذا هي ترى ان الرأي الأول هو الأصح ؛ لأن هناك حقداً تجاه الأشعث بن قيس وقد انتقل هذا الحقد إلى ابنته لذا هي ترجح الرأي الأول الذي يقول ان وفاته طبيعية بسبب المرض ، وان من المؤكد اعتمادها على الرأي الأول بناءً على ما جاء في المصادر التي قالت بانه قد مات بالمرض لمدة طويلة وحاولت تغييب الفاعل والمخطط الحقيقي لعملية الاغتيال ^(٦٦) ، إلا انها أغفلت بعض النصوص التي صرحت بأن الفاعل الحقيقي لم يكن إحدى زوجاته كما يشاع في المصادر ، فيذكر ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ما نصه : « وقد سمعتُ بعض من يقول : كان معاوية قد تلف لبعض خدمه أن يسقيه سماً » ^(٦٧) ، لذا كان المدبر الأول لذلك العمل هو معاوية بن أبي سفيان من خلال بعض الخدم ، وما ذكر في المصادر هو محاولة إلحاق دس السم إلى الإمام إلى إحدى زوجاته ودفع الشبهة عن معاوية كونه المحرض الأول للقتل .

وقد جاء في نص آخر في حديث الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) يطلب منه ان يعلمه من قام بدس السم إليه فقال الإمام الحسن (عليه السلام) لأخيه : « يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانيه دعه حتى التقى أنا وهو عند الله فأبى ان يسميه » ^(٦٨) ، فكلمات (دعه) - أنا وهو - أبي ان يسميه (تدل على ان الفاعل رجل لا امرأة .

وهناك من يقول انها لم تكن جعدة بنت الأشعث إذ ورد ان الفاعلة غيرها وهو ما جاء في النص الآتي: « دس معاوية إلى ابنه سهيل بن عمرو امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت » ^(٦٩) ، وهذا يدل على الاضطراب في شخصية الفاعل ، وسواء أكانت جعدة بنت الأشعث أو ابنة سهيل بن عمرو أو أحد خدم الإمام الحسن (عليه السلام) فإن جميع الروايات تتفق ان الموجهة والمحرض لسم الإمام الحسن (عليه السلام) هو طرف واحد وهو معاوية بن أبي سفيان لا بسبب المرض الذي ترجحه المستشرقة فاجلييري ، وحتى الرواية التي ذكرت مرضه بعد قدومه المدينة ذكرت انه قد سقي العسل فمات منها ^(٧٠) ، لذا المجمع عليه هو استشهاد الإمام من خلال السم الذي دُس إليه وليس بسبب المرض كما تحاول المستشرقة تقديمه وجعله السبب الأبرز لوفاته .

الخاتمة

قدمت المستشرقة لورال فيشيا فاجلييري صورة عن الإمام الحسن (عليه السلام) لعلها لا تختلف عما قدمه المستشرق الفرنسي هنري لامنس من صورة سلبية، على الرغم من ان المقال المقدم في دائرة المعارف الإسلامية (موسوعة الإسلام) قدم كبديل وتغيير لمقال لامنس، فوقعت تحت تأثير ما كتبه سابقها من طروحات استشراقية، ولا ينكر أحد انه بمقارنة بسيطة بين مقال الطبعة الأولى ومقال الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية الذي قدمته المستشرقة فاجلييري عن الإمام الحسن (عليه السلام) نلمس تغيراً وان كان طفيفاً عن مقال الطبعة الأولى الذي كان أكثر عدوانية وعدم انصاف، ولكنها في بعض المفاصل من المقال وقعت تحت تأثير الدراسات السابقة وانساق معها، وهذا يدل على مدى تطور الدراسات الاستشراقية في حديثها عن التاريخ والحضارة الإسلامية، لكنها لم تستطع التخلص من الصور المسبقة التي رسمها المستشرقون الأوائل.

٣٠٣

عملت المستشرقة فاجلييري على انتقاء النصوص وتصيدها من المصادر الإسلامية وبما يخدم توجهاتها البحثية، والاتكاء على بعض الروايات الضعيفة والتي قد لا تصمد أمام النقد العلمي، لذا فالصورة التي قدمتها في ذلك المقال في بعض مفاصلها لم تكن منصفة وحقيقية عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام).

وكتوصيات يمكن تقديمها للباحثين في مجال الدراسات الإسلامية هو توخي الدقة في عملية النقل من المستشرقين خاصة فيما يتعلق بدائرة المعارف الإسلامية بطبعتيها الأولى والثانية، بوصفها أحد المصادر المهمة في الدراسات التاريخية؛ لما فيها من صور غير حقيقية عن الحضارة الإسلامية ورموزها وشخصياتها.

1-J. A. Cuddon , Dictionary of Literary terms & Literary theory , P. 618 .

٢- الرويلي و البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، ص ٣٣ .

٣- يوهان فوك ، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين ، ص ٢١٣ .

٤- محمد حسن زماني ، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين ، ص ٤٢-٤٥ .

5-J.D.J. Waardenburg , (Mustashrikun) , The Encyclopaedia of Islam , 2 nd. ed. , V.VII/ P.735 .

وينظر كذلك عن بدايات ظهور مصطلح المستشرقين حتى القرن العشرين ينظر الصفحات P.P. ٧٣٥-٧٥٣).

٦- ينظر تعريف المصطلح في القواميس الغربية : عبد الجبار ناجي ، الاستشراق في التاريخ ، ص ٦٣-٧٤ ؛ وبدايات ظهور ذلك المصطلح : ص ١١٤-١١٨ .

٧- ينظر : أحمد سماعيلوفتش ، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص ٢١-٣٢ . وينظر الاطوار والمراحل التي مر بها الاستشراق ص ٧٠-٨٦ ؛ أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ص ٩-١٨ . وينظر المراحل التي مر بها الاستشراق ص ١٩-٤٠ ؛ ناجي ، الاستشراق في التاريخ ، ص ٦٤-٧٤ .

٨- ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي ، ج ١ / ص ١٧ .

٩- سماعيلوفتش ، فلسفة الاستشراق ، ص ٢١-٢١٩ ؛ السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ص ٩-٤٠ ؛ ناجي ، الاستشراق في التاريخ ، ص ٦٤-٧٤ .

١٠- محمد فتح الله الزيايدي ، الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٨١ .

١١- العقيلي ، الاستشراق ، ج ١ / ص ٤٠٥-٤١٦ .

١٢- الزيايدي ، الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٨٢ ؛ سعدون الساموك ، الاستشراق ومناهجه ، ص ١٢٣-١٢٤ .

١٣- للمزيد من التفاصيل ينظر : العقيلي ، المستشرقون ، ج ١ / ص ٤٦٦ ؛ يحيى مراد ، معج أسماء المستشرقين ، ص ٧٣٨ ؛ وينظر مقدمة المترجم لكتابها دفاع عن الإسلام ، ترجمة منير بعلبكي ، ص ٥-١٨ .

14- L. VECCIA VAGLIERI , (AL - HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed . , V. III / P.242 .

فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦١ .

١٥- ينظر ما ذكره في هذا المجال : ابن أبي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ / ٥٦-٧٣ ؛ ايلرنغ ليروك بيترسون ، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة ، ص ١٤-٣٧ . (قسم منه كلام المترجم والجزء الأخير هو تقديم المؤلف للكتاب) .

١٦- عبد الجبار ناجي ، التشيع والاستشراق ، ص ٨٥-٨٦ .

١٧- ينظر ما ذكره ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٧٤-٣٧٧ .

١٨- علي زهير هاشم الصراف ، دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد ٧ ، العراق ، ٢٠١٦م ، ص ٨٠ .

- ١٩- الكعبي ، صورة أصحاب الكساء ، ص ٦٣٩ .
- ٢٠- المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ .
- ٢١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦/ ص ٣٧٣-٣٧٨ ، ص ٣٩٨ .
- ٢٢- المصدر نفسه / ص ٣٥٢ .
- ٢٣- ينظر ترجمة المغيرة بن شعبة : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣/ ص ٢١-٣٢ ؛ وينظر عن أخبار المغيرة بن شعبة : ابو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ج١٦/ ص ٣٢١-٣٣٤ .
- 24- H. Lammens , (AL- HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 1ed ., V. II/ P. 274.
- هنري لامنس ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، مج ١٤ / ص ٣٥٥ . (وقد جمعت اللجنة المكلفة بترجمة دائرة المعارف مقال الطبعة الأولى ومقال الطبعة الثانية في الطبعة الثانية من دائرة المعارف مع تمييزها بعلامة لمقالات الطبعة الثانية) .
- ٢٥- دوايت روندلسن ، عقيدة الشيعة ، ص ٨٩ .
- 26- L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed ., V. III / P.242 .
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦١ .
- 27- L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed ., V.III / P. 241 .
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط٢ ، مج ١٤ / ص ٣٥٩ .
- 28- L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed ., V.III / P. 241.
- والنص الانكليزي الموجود هو نقلاً عن الطبعة الانكليزية
- ٢٩- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣/ ص ٤١-٤٢ .
- 30- L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed ., V.III / P. P. 241-242.
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦٠ .
- ٣١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٦/ ص ٤٦ .
- ٣٢- ينظر كلام الإمام علي (عليه السلام) في تقريب عثمان بن عفان بنبي أمية . الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) نهج البلاغة ، ص ٤٩ .
- ٣٣- الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ / ص ٢١٢ .
- ٣٤- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٦/ ص ٤٦ .
- ٣٥- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣/ ص ٤٠٥ .
- ٣٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧/ ص ٤٩-٥٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣/ ص ٤٢ ؛ ابن



- كثير ، البداية والنهاية، ج ٧/ ص ١٤٦ ؛
- ٣٧-البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢/ ص ٤٧٨
- ٣٨-المصدر نفسه. ص ٤٧٦ .
- ٣٩-البلاذري أنساب الأشراف ، ج ٣/ ص ٤١ .
- ٤٠-البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٣/ ص ٤١ - ٤٢ .
- 41-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P.P. 241-242 .
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦٠ .
- ٤٢-البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٣/ ص ٤١ - ٤٢ .
- ٤٣-الاستيعاب ، ج ١/ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .
- ٤٤-سير اعلام النبلاء ، ج ٣/ ص ٢٧٨ .
- ٤٥-فتح الباري ، ج ١٣ / ص ٥٥ - ٥٦ .
- ٤٦-البلاذري أنساب الأشراف ، ج ٣/ ص ٤١ - ٤٢ .
- ٤٧-ينظر قول الإمام علي عليه السلام في معاوية : نهج البلاغة ، ص ٣١٨ . وينظر قول أبو إسحاق : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٦ / ص ٤٦ .
- 48-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P. 242 .
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦٠ .
- 49-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P. 242 .
- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦٢ .
- ٥٠-عبد الجبار ناجي ، التشيع والاستشراق ، الصفحات ٨٥ - ٨٦ ، ٤٧٣ .
- ٥١-ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ٥٦ - ٧٣ .
- ٥٢-المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣ / ص ٣٢ - ٣٣ .
- ٥٣-ينظر ثورة محمد وإبراهيم ابنا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧/ ص ٥٣٩ - ٦٠٩ .
- ٥٤-ينظر ما ذكره الخليفة المنصور العباسي في جعل اسباب الصلح مادية بحته الغرض منها تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام والفرع الحسيني الذي ثار ضد السلطة العباسية في وقتها بحركة محمد بن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية) وأخيه إبراهيم . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ / ص ٣٠٠ - ٣٠١ .
- 55- H. Lammens , (AL- HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 1ed .,V. II/ P. 274 .
- هنري لامنس ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ١ ، مج ١٤ / ص ٣٥٥ .



56-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P. 240 .

- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٥٧ .
 ٥٧- ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ج ٥ / ص ٢٣١ . وينظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٥٦ .
 ٥٨- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٥٦ .
 ٥٩- جعفر مرتضى العاملي ، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، ج ٣ / ص ٨٩ - ٩٠ .
 ٦٠- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٥٧ .
 ٦١- المصدر نفسه.

62-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P. 240 .

- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٥٧ .

63- L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HUSAIN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2ed, V. III / P. 607 .

- مادة (الحسين بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٤٣١

٦٤- ينظر مثلاً : (من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني) ورد عند : أبي يعلى الموصلي ، مسند أبي يعلى الموصلي ، ج ١١ / ص ٧٨ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير، ج ٣ / ص ٤٨ ؛ المعجم الأوسط ، ج ٥ / ص ١٠٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١٣ / ص ١٨٨ - ١٩٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ / ص ٩٨ - ٩٩ ؛ وينظر حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) على سبيل المثال لا الحصر : ابن حنبل ، مسند، ج ٣ / ص ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٢ ؛ ج ٥ / ص ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ ٤٤ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٥ / ص ٣٢١ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٥ / ص ٥٠ ؛ أبو يعلى الموصلي ، مسند ، ج ٢ / ص ٢٩٥ .

65-L. VECCIA VAGLIERI , (AL – HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,V.III / P. 242 .

- فاجلييري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ ، مج ١٤ / ص ٣٦١ .
 ٦٦- ينظر على سبيل المثال : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٨٨ ؛ وينظر البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٣ / ص ٥٥ .
 ٦٧- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ص ٣٨٦ .
 ٦٨- المصدر نفسه .
 ٦٩- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٣ / ص ٥٥ .
 ٧٠- المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- * ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م).
- * الكامل في التاريخ، (د. ط.، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥ م).
- * ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م).
- * السير والمغازي، تح: محمد حميد الله، (د. ط.، د. م.، معهد الدراسات والابحاث، د. ت.).
- * البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).
- * أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله، (د. ط.، مصر، دار المعارف، ١٩٥٩ م).
- * فتوح البلدان، (د. ط.، القاهرة، النهضة المصرية، د. ت.).
- * الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).
- * سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط ٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣ م).
- * ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
- * فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (ط ٢، بيروت، دار المعرفة، د. ت.).
- * ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م).
- * شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١، د. م.، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م).
- * ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م).
- * مسند أحمد بن حنبل، (د. ط.، بيروت، دار

صادر، د. ت.).

- * الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م).
- * تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، (ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٨ م).
- * سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، (ط ٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م).
- * ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ / ٩٤١ م).
- * الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، (ط ١، القاهرة، الشركة الدولية للطباعة) مكتبة الخانجي، (٢٠٠١ م).
- * الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م).
- * نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، (ط ١، بيروت، د. نا.، ١٩٦٧ م).
- * الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٨٩٤ م).
- * علل الشرايع، تحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم، (د. ط.، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦ م).
- * الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م).
- * المعجم الأوسط، (د. ط.، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.).
- * المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط ٢، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥ م).
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).

- * تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك)
 (تاريخ الطبري)، تح: نخبة من العلماء، (ط ٤، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣ م).
- * ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م).
- * الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، (ط ١، بيروت، دار الجليل، ١٩٩٢ م).
- * ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م).
- * تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، (د. ط.، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦ م).
- * أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م)
- * الاغاني، (د. ط.، د. م.، دار أحياء التراث، د. ت.) .
- * ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
- * البداية والنهاية، تح: علي شيري، (ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م).
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م).
- * مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط ٢، قم، دار الهجرة، ١٩٨٤ م).
- * النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف (ت ٣٠٣ هـ / ٩٢٥ م)
- * السنن الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م).
- * أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٨ م).
- * مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، (ط ١، د. م.، دار المأمون للتراث، ١٩٨٧ م).
- ثانياً: المراجع الثانوية
- * بيترسون، ايلرلنغ ليروك .
- * علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، (ترجمة: عبد الجبار ناجي، ط ١، قم، مطبعة الاعتماد، ٢٠٠٨ م).
- * الحجاج، ساسي سالم .
- * نقد الخطاب الاستشراقي، (ط ١، بنغازي، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢ م).
- * دونالدسن، دوايت
- * عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م. (ط ٢، بيروت، مؤسسة المفيد، ١٩٩٠ م).
- * الرويلي، ميجان وسعد البازعي .
- * دليل الناقد الأدبي، (ط ٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢ م).
- * زماني، محمد حسن .
- * الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، (ط ١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠ م).
- * الزيايدي، محمد فتح الله .
- * الاستشراق أهدافه ووسائله، (ط ١، طرابلس، دار قتيبة، ١٩٩٨ م).
- * الساموك، سعدون .
- * الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (ط ١، عمان، دار المناهج، ٢٠١٠ م).
- * السايح، أحمد عبد الرحيم .
- * الاستشراق في ميزان نقد الفكر الاسلامي، (ط ١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦ م).
- * سميلوفتش، أحمد .
- * فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (د. ط.، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨ م).

* بن أبي طالب (، دائرة المعارف الإسلامية،
ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، مج ١٤ ، ط ٢ ،
القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٩ م .

* فاجلييري ، لورا فيشيا ، مادة (الحسين بن علي
بن أبي طالب) ، دائرة المعارف الإسلامية،
ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد ، مج ١٤ ، ط ٢
، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٩ م .

* لامنس ، هنري ، مادة (الحسن بن علي بن أبي طالب)
، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: إبراهيم زكي
خورشيد ، مج ١٤ ، ط ١ ، القاهرة ، دار الشعب ،
١٩٦٩ م .

* Lammens, H. , (AL- HASAN B. ALI
B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia
of Islam , 1ed ., Leiden , E. J. Brill,
1927 , V. II .

* VAGLIERI , L. VECCIA , (AL –
HASAN B. ALI B. ABI TALIB) , The
Encyclopaedia of Islam , 2nd. ed .,
Leiden , E. J. Brill , 1986 , V. III .

* VAGLIERI , L. VECCIA , (AL – HU-
SAIN B. ALI B. ABI TALIB) , The Ency-
clopaedia of Islam , 2ed ., Leiden ,
E. J. Brill , 1986, V. III .

* Waardenburg , J. D. J. . ,
(Mustashrikun) , The Encyclopae-
dia of Islam , 2nd. ed ., Leiden , E. J.
Brill , 1993 , V. VII .

خامساً: البحوث والمجلات

* الصراف ، علي زهير هاشم ، دراسات المستشرقين
عن الإمام الحسن السبط (عليه السلام) ، مجلة دراسات
استشراقية ، العدد ٧ ، العراق ، ٢٠١٦ م

* العاملي ، جعفر مرتضى .

* الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، (ط ١ ، قم ،
ولاء المنتظر ، ٢٠٠٩ م).

* العقيقي ، نجيب .

* المستشرقون ، (ط ٤ ، القاهرة ، دار المعارف ،
د.ت.).

* فاجلييري ، لورا فيشيا .

* دفاع عن الإسلام ، ترجمة: منير البعلبكي ، (ط ٥
، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١ م).

* فوك ، يوهان .

* الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين
، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش ،
ط ١ ، القاهرة ، زهرة الشرق ، ٢٠٠٦ م).

* مراد ، يحيى .

* معجم أسماء المستشرقين ، (ط ١ ، بيروت ، دار
الكتب العلمية ، ٢٠٠٤ م).

* ناجي ، عبد الجبار .

* الاستشراق في التاريخ ، (ط ١ ، بيروت ، المركز
الأكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٣ م).

* الشيع والاشتراق : عرض نقدي مقارنة
لدراسات المستشرقين عن العقيدة الإسلامية
و اثمتها ، (ط ١ ، بيروت ، منشورات الجمل ،
٢٠١١ م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

* Cuddon , J. A. .

* Dictionary of Literary terms &
Literary theory , Revised by : C. E.
Preston , ed.5, Published by the
Penguin Croup , London , 1999 .

رابعاً: الموسوعات

* فاجلييري ، لورا فيشيا ، مادة (الحسن بن علي

